بسم اللّه الرحمن الرحيم

جهـود الإمام الحافظ زين الدين أبـي الفرج عبد الرحمن بن أحمـد الدمشقي المعـــروف بابن رجـــب الحنبـلي في التفسيـــــر

(٧٣٦ – ٧٩٥ هـ)

إعداد

د / عبد المحسن أحمد محمد علي

المدرس بقسم التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة - جامعة الأزهر - فرع أسيوط

ملخص بحث ابن رجب الحنبلي

هذا البحث عبارة عن استعراض لجهود ابن رجب الحنبلي مشتملا التعريف به ومصنفاته، ومصادره في التصنيف، وجهوده في التفسير من خلال كتبه الخاصة بهذا العلم، وكذا من خلال مؤلفاته التي تحدث فيها عن فنون أخرى من العلوم، وضمنها بعض القضايا التفسيرية، وقد توصل البحث إلى ما يلي:

١-ابن رجب الحنبلي عالم جليل من علماء القرن الثامن الهجري ، جمع بين كثير من الفنون والعلوم مثل التفسير والحديث والفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ وغير ذلك .وأن جهوده في التفسير لم تقتصر على ما صنفه فيه من كتب ورسائل ، بل شملت القضايا التفسيرية التي أوردها في كتبه ورسائله الأخرى ، وهو وإن كان لم يفسر القرآن الكريم كله بل فسر كثيراً من آياته ، إلا أنه بذل جهوداً ملموسة فيما فسره من آيات الذكر الحكيم .

٢-أنه بذل جهداً كبيراً في الترجيح بين الأقوال في التفسير أو التوفيق والجمع بينها، كما اهتم بدراسة القضايا اللغوية في القرآن الكريم، مثل بيان معاني مفرداته ، وذكر بعض الصور البلاغية والفروق اللغوية بين الألفاظ القرآنية ، وإعراب بعض الكلمات والجمل ، وغير ذلك .

الكلمات الدالة:

جهود-ابن رجب-التفسير

المقدمة

الحمد لله العلي الأعظم ، الذي خلق الإنسان وعلمه بالقلم ، وأشهد ألا لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي أضاء بنور العلم الظُلَم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خير من قرأ وعلَّم ، فاللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ الأمم .

أما بعد ،،،

فقد حبا الله – تعالى – الأمة الإسلامية بعلماء أجلاء ومفسرين نبلاء على مر العصور ، بذلوا جهداً عظيماً في خدمة القرآن الكريم وتفسيره واستخراج ما فيه علوم ومعارف وما اشتمل عليه من درر ولآلئ ، إما عن طريق سوره وآياته في كتب ومجلدات اقتصرت على التفسير، فبينت معاني ألفاظه وجمله، واستنبطت ما فيه من فوائد وأحكام ومقاصد ولآلئ ودرر وعبر وعظات ، مثل : ابن جرير الطبري وابن كثير وابن عطية والفخر الرازي والقرطبي وغيرهم ، أو عن طريق تفسير بعض آياته في ثنايا كتبهم ومؤلفاتهم المتنوعة التي اهتمت بكثير من العلوم والمعارف ولم تقصر على علم التفسير ، وهي لا تقل فائدة وأهمية عما ذكره الآخرون في كتبهم التي عَنيت بالتفسير خاصة ، مثل ابن تيمية وابن قيم الجوزية و" أبو حامد الغزالي " وابن منظور من أهل اللغة وغيرهم ، وقد جمع بين هذين الأمرين في التفسير العالم الجليل الإمام الحافظ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، فصنف كتباً ورسائل خاصة بتفسير بعض سور وآيات القرآن الكريم مثل كتابه : تفسير سورة الفاتحة، وتفسير سورة النصر، وتفسير سورة الإخلاص ، ورسالته في تفسير قوله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ}(فاطر/٢٨) ، وقد سطر في تفسير هذه الآية الكريمة أكثر من أربعين صحيفة اشتملت على كثير من الفوائد واللطائف والدرر ، وألف كتباً أخرى في العقيدة و في شرح الحديث النبوي ، وفي الفقه وقواعده ، وفي المواعظ والحكم، وفي التاريخ والسير، وفي الزهد والرقائق، وفي غيرها من العلوم، وقد حوت هذه الكتب كثيراً من القضايا التفسيرية ، واشتملت على أنواع كثيرة في التفسير منها : التفسير بالمنقول، والتفسير بالمعقول ، والتفسير الموضوعي، وتفسير آيات الأحكام، واستنباط الفوائد والدلائل والمقاصد وغير ذلك ، خاصة كتابه فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، وجامع العلوم والحكم ، ولطائف المعارف، وأهوال القبور ، والذل والانكسار ، وغيرها ، لذا رأيت أن أسبح في بحور كتبه سواء التي اقتصر الحديث فيها على تفسير القرآن الكريم، أو التي صنفها في العلوم والمعارف الأخرى ، وألتقط درره في التفسير وأُظهر جهده فيه ، فاخترت هذا البحث وأسميته : " جهود الإمام الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي المعروف بابن رجب الحنبلي في التفسير : ٧٣٦ – ٧٩٥ هـ " حتى نتعرف على جهد هذا العالم الجليل في خدمة كتاب الله تعالى ونستفيد من بحر علمه ، بعد التعريف به وبمصنفاته ومصادره في التفسير .

أسباب اختيار الموضوع :

١- مكانة هذا العالم الجليل وفضله وغزارة علمه ، حيث كان أحد العلماء الأجلاء والمفسرين النبلاء ، والمحققين الفضلاء ، فأردت الوقوف على سيرته وبيان فضله وعلمه .

٢- رغبتي في قراءة كثير من مؤلفات هذا العالم النبيل والبحث فيها ؛ والاستفادة منها ، لتنوعها وعظم فوائدها .

٣- كثرة القضايا التفسيرية التي أوردها في كتبه ورسائله وتنوعها وأهميتها .

٤- رغبتي في استخراج كثير من القضايا التفسيرية من مؤلفات ابن رجب الحنبلي وبيان ما بذله فيها من جهد عظيم ، يذكر فيشكر .

٥- أنه قد تعالت بعض الأصوات والصيحات في هذا العصر بالتخلي عن كل ما يمد إلى التراث الإسلامي بصلة والتقليل من شأن علمائه ، فأردت أن أبين جهد أحد علماء التراث وهو ابن رجب الحنبلي، في فن من فنون العلم وهو التفسير ، وكيف بذل الغالي والنفيس من وقته وجهده في خدمة كتاب الله – تعالى – وتحرى الدقة فيما ينقله ويكتبه ، فكيف تنادي هذه الأصوات بعد ذلك بالتخلي عن التراث الذي خلفه لنا علماء الإسلام المحققين المدققين ويقللوا من شأن هؤلاء العلماء ، والذين منهم هذا العالم الجليل .

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذا الموضوع في الأمور التالية :

١- بيان جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير، ودورها في خدمة النص القرآني .

٢- إظهار منهج هذا العالم الجليل وطريقته في تناوله للقضايا التفسيرية .

٣- المساهمة في إحياء تراث عالم من علماء الإسلام في عصر يحاول فيه بعض من ينتسبون إليه التخلي التراث وعلمائه .

٤- المساهمة في المكتبة الإسلامية ولو بجهد ضئيل متمثل في هذا البحث .

منهج البحث :

١- المنهج الاستقرائي : وذلك بتتبع وتقصي جهود هذا العالم الجليل والمفسر النبيل في كثير من مؤلفاته التي اشتملت على قضايا تفسيرية قيمة، وذِكر بعض الأمثلة على ذلك ، والإحالة إلى بعض الأمثلة الأخرى في مصادرها .

٢- المنهج الوصفي : وذلك بوصف جهود ابن رجب في التفسير ومنهجه في ذلك ، ووضعها تحت عناوين مناسبة لها، وأصول تفسيرية صحيحة .

٣- المنهج التحليلي : وذلك بإبراز جهوده في التفسير، وتحليلها بأسلوب علمي سليم، وبيان ما يحتاج إلى بيان منها .

هذا وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى ثلاثة فصول وكل فصل إلى عدة مباحث بيانها فيما يلي :

الفصـــل الأول : ابن رجب الحنبلي بين التعريف والتصنيف ومصـادره في التـأليف ، وقد قسمته إلى خمسة مباحث وهي :

المبحث الأول : التعريف بابن رجب الحنبلي ، وقد قسمته إلى تسعة مطالب وهي :

المطلب الأول : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته .

المطلب الثاني : مولده ونشأته .

المطلب الثالث : أسرته .

المطلب الربع : طلبه للعلم ورحلاته فيه .

المطلب الخامس : عبادته وزهده .

المطلب السادس : علمــه وفضله .

المطلب السابع : مذهبه الفقهي .

المطلب الثامن: عقيدته .

المطلب التاسع : مناصبه العلمية .

المبحث الثاني : شيوخه ومن تلقى عنهم العلم وتلاميذه ومن تلقوا عنه ، وقد قسمته إلى مطلبين هما :

المطلب الأول : شيوخه ومن تلقى عنهم العلم .

المطلب الثاني : تلاميذه ومن تلقوا عنه .

المبحث الثالث : مصنفات ابن رجب الحنبلي ، وقد قسمته إلى سبعة مطالب وهي :

المطلب الأول : مصنفاته في العقيدة .

المطلب الثاني : مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن .

المطلب الثالث : مصنفاته في الحديث وعلومه .

المطلب الرابع : مصنفاته في الفقه وقواعده .

المطلب الخامس : مصنفاته في الفضائل والشمائل .

المطلب السادس : مصنفاته في السيِّر والتراجم .

المطلب السابع : مصنفاته في المواعظ والرقائق.

المبحث الرابع : مصادر ابن رجب في التفسير ، وقد قسمته إلى أربعة مطالب وهي :

المطلب الأول : مصادره من كتب الحديث وشروحه .

المطلب الثاني : مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن .

المطلب الثالث : مصادره من كتب الفقه .

المطلب الرابع : المصادر الأخرى .

المبحث الخامس : وفاته .

الفصل الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير من خلال كتبه ورسائله التي صنفها في هذا العلم ، وقد قسمته إلى أربعة مباحث وهي :

المبحث الأول : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة الفاتحة ، وقد قسمته إلى سبعة مطالب وهي :

المطلب الأول : اهتمامه بموضع نزولها .

المطلب الثاني : اهتمامه بعدد آياتها وحروفها وكلماتها .

المطلب الثالث: عنايته بأسمائها .

المطلب الرابع : اهتمامه ببيان فضائلها وخصائصها .

المطلب الخامس : استنباطه لبعض الأحكام الفقهية التي اشتملت عليها السورة الكريمة .

المطلب السادس : بيانه لبعض مقاصدها .

المطلب السابع : تفسيره لبعض ألفاظها وطريقته في ذلك .

المبحث الثاني : جهوده في رسالته المسماة : الكلام على قوله تعالى : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨) ، وقد قسمته إلى خمسة مطالب وهي :

المطلب الأول : اهتمامه بما دلت عليه الآية الكريمة من فوائد وتحرير أقوال المفسرين في ذلك والترجيح بينها

المطلب الثاني : : عنايته بذكر بعض اللطائف المتعلقة بالآية الكريمة .

المطلب الثالث : اهتمامه بنقل أقوال السلف – رضي الله عنهم – في تفسيرها .

المطلب الرابع : اهتمامه ببيان أوجه كون العلم يوجب الخشية:

المطلب الخامس : بيانه لوجه كون العلم يستلزم الخشية والخشية ملازمة للعلم .

المبحث الثالث : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة النصر ، وقد قسمته إلى مطلبين وهما :

المطلب الأول : اهتمامه ببيان موضع ووقت نزولها .

المطلب الثاني : تفسيره لكلماتها وآياتها ومنهجه في ذلك .

المبحث الرابع : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة الإخلاص ، وقد قسمته إلى ستة مطالب وهي :

المطلب الأول : اهتمامه ببيان فضائلها .

المطلب الثاني : حديثه عن سبب نزول هذه السورة العظيمة .

المطلب الثالث : تفسيره لكلماتها وآياتها .

المطلب الرابع : اهتمامه بإعراب بعض ألفاظها و جملها .

المطلب الخامس : عرضه لبعض مقاصدها .

المطلب السادس : بيانه لبعض اللطائف التفسيرية التي اشتملت عليها السورة الكريمة .

الفصل الثالث : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير من خلال كتبه ، ورسائله التي صنفها في غير هذا العلم وقد قسمته إلى خمسة مباحث وهي :

المبحث الأول : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير بالمأثور وقد قسمته إلى أربعة مطالب وهي :

المطلب الأول : جهوده في تفسير القرآن بالقرآن .

المطلب الثاني : جهوده في تفسير الآيات القرآنية بالسنة النبوية .

المطلب الثالث : جهوده في تفسير القرآن المبين بأقوال الصحابة والتابعين .

المطلب الرابع : جهوده في أمور أخرى تتعلق بالتفسير بالمأثور .

اولاً : جهوده في عرض بعض القراءات القرآنية .

ثانياً : جهوده في أسباب النزول .

ثالثاً : جهوده في الناسخ والمنسوخ .

المبحث الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير بالرأي ، وقد قسمته إلى تسعة مطالب وهي :

المطلب الأول : تفسيره لمفردات الألفاظ القرآنية ورجوعه في ذلك إلى اللغة العربية .
المطلب الثاني : شرحه للآية أو الآيات القرآنية بالتفصيل أحياناً .
المطلب الثالث : بيانه أحياناً للمعنى الإجمالي للآية أو الآيات .
المطلب الرابع : إعرابه لبعض ألفاظ القرآن الكريم وجمله وتصريفه لبعض كلماته .
المطلب الخامس : بيانه لبعض الصور البلاغية في الآيات القرآنية .
المطلب السادس : استنباطه لبعض ما دلت عليه الآيات القرآنية من فوائد ودلائل بهية .
المطلب السابع : تفصيله لمجملات بعض الآيات القرآنية .
المطلب الثامن : بيانه لبعض الكليات القرآنية من خلال ذكره للآيات الدالة عليها .
المطلب التاسع : قيامه بدفع ما يوهم ظاهره التعارض في بعض الآيات القرآنية .

المبحث الثالث : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير غريب القرآن الكريم ، وقد قسمته إلى مطلبين وهما :

المطلب الأول : تعريف غريب القرن الكريم .
المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير غريب القرآن الكريم .

المبحث الرابع : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير الموضوعي ، وقد قسمته إلى مطلبين وهما :

المطلب الأول : تعريف التفسير الموضوعي .

المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير الموضوعي .

المبحث الخامس : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام ، وقد قسمته إلى مطلبين وهما :

المطلب الأول : تعريف آيات الأحكام .

المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام .

الخاتمة : نسأل الله حسنها .

فهارس الموضوعات .

الفصـــل الأول

ابن رجب الحنبلي بين التعريف والتصنيف ومصـادره في التـأليف

المبحث الأول : التعريف بابن رجب الحنبلي

المطلب الأول : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته :

هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السَّلامي (١)، البغدادي ثم الدمشقي، الحنبلي، الشهير بابن رجب، كان يقلب أولاً بجمال الدين (٢)، ثم لُقب بزين الدين ، ويكنى بأبي الفرج (٣) .

المطلب الثاني مولده ونشأته :

ولد في بغداد بمدينة السلام في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وسبعمائة من الهجرة، ونشأ بها في بداية حياته ، ثم رحل مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمائة، واستقر بها معظم حياته (٤) .

المطلب الثالث : أسرته :

لم تذكر كتب التراجم والتاريخ التي ترجمت لابن رجب أحداً من أسرته سوى ثلاثة وهم :

١- جده : وهو رجب بن حسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي أبو الثناء، ويقال له رجب لكونه ولد في رجب، ولد سنة ٦٧٧ هـ تقريباً وسمع ثلاثيات البخاري (٥) وحدث بها ... وكان يقرئ حسبة ومات في
خامس صفر سنة ٧٤٢ هـ (١) .

---

(١) نسبة إلى مدينة السلام ببغداد، انظر الأنساب المتفقة في الخط المتماثله في النقط والضبط للقيسراني ص ٧٩ .

(٢) لقبه به الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر النابلسي، انظر المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمي : ١ / ٤٧٠ .

(٣) انظر : تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣/ ٤٨٨ ، وطبقات الحفاظ للسيوطي ص : ٥٤٠ ، و إنباء الغمر بأبناء العمر في لبن حجر العسقلاني : ١ / ٤٦٠ ، ٤٦١ ، و الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر : ١ / ١٠٨ ، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد الدمشقي : ٦ / ٣٣٩ .

(٤) تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ٢٤٣ ، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة : ٥ / ١١٨ : وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي : ١ / ٣٣٩ .

(٥) هي ما اتصل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الحديث بثلاثة رواة وتبلغ ثلاثيات البخاري وهي أعلى الأسانيد مع المكرر اثنين وعشرين حديثاً، وبإسقاط المكرر ستة عشر حديثاً الغالب منها عن مكي بن إبراهيم وهو من حدثه عن التابعين ، انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة : ١/ ٥٢٢ ، و منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، لحمزة محمد قاسم : ١ / ٢٠ .

٢- والده و هو " الشيخ الإمام الحبر أحمد بن رجب بن الحسن بن محمد بن مسعود السلامي الحنبلي البغدادي نزيل دمشق ، ولد ببغداد ونشأ بها ، وقرأ بالروايات وسمع من مشايخها ، ورحل إلى دمشق بأولاده فأسمعهم بها وبالحجاز والقدس ، وجلس للإقراء بدمشق وانتفع به ، كان ذا خير ودين وعفاف ، مات سنة ٧٧٤هـ وله معجم مفيد " (٢) ، كان مشغولاً دائماً بالعلم حتى عن زوجه (٣) .

ولم تذكر - أيضاً - كتب التراجم والتاريخ - فيما أعلم - شيئاً عن ذريته فيحتمل أنه لم يعقب أو أعقب لكن ذريته غير مشهورة في أوساط العلماء وفنون العلم .

المطلب الرابع : طلبه للعلم ورحلاته فيه :

إن البيئة العلمية التي عاش فيها ابن رجب الحنبلي ساعدته على طلب العلم منذ صغره، فجده وأبوه كانا عالمين جليلين - كما سبق - واعتناء أبيه به وحرصه على تعليمه منذ نعومة أظافره ، وإسماعه لكثير من العلوم خاصة علم الحديث ، وكذا مجاورته لكثير من العلماء .

فقد حضر لأحد مشايخه وهو عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل الزريراتي البغدادي ت ٧٤١ هـ (٤) : وهو صغير لا يكاد يميز حيث قال : "وحضرت درسه وأنا إذ ذاك صغير لا أحقه جيدًا " (٥) ، وكان يحضر - أيضاً - مجالس العلم لجده وهو صغير حيث قال : " قُرِأَ علي جدي أبي أحمد ابن رجب بن الحسن غير مرة ببغداد وأنا حاضر في الثالثة و الرابعة والخامسة " (٦) .

وجلس أيضاً إلى بعض مشايخه وهو صغير يقرأ عليهم ويتلقى عنهم العلم حيث قال : " وأخبرنا الربيع علي بن عبد الصمد بن أحمد البغدادي بها - أي ببغداد - قراءة عليه، وأنا في الخامسة " (٧) ، وقال ابن قاضي شهبة : " اشتغل بسماع الحديث باعتناء والده بعد البضع والخمسين " (٨) .

ومما ساعده أيضاً على طلب العلم مبكراً أنه " كان يسكن بالمدرسة السكرية (٩) بالقصاعين " (١) (١) وقد درَّس في هذه المدرسة علماء أجلاء ومعلمين نبلاء تتلمذ على أيديهم ابن رجب ونهل من علمهم واغترف من معينهم ، وكان رحمه الله " ليس له شغل إلا الاشتغال بالعلم " (٢) .

---

(١) الدرر الكامنة لابن حجر : ٦ / ٢٣٦ .

(٢) انظر ديوان الإسلام لابن الغزى : ٢ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، و إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ لابن حجر : ١ / ٤٢ ، ٤٣

(٣) راجع الجوهر المنضد ص : ٥٢

(٤) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب : ٥ / ١٠٤ - ١٠٦ .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب : ٥ / ١٠٥ .

(٦) الذيل طبقات الحنابلة لابن رجب : ٣ / ٤٥٨.

(٧) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب : ١ / ١٥١ .

(٨) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣ / ٤٨٨ .

(٩) اسمها مدرسة دار الحديث السكرية بالقصاعين داخل باب الجابية بدمشق درَّس بها الإمام عبد الحليم بن تيمية وسكن بها ودرس بها - أيضاً - ابنه أحمد ابن تيمية، وكذا الإمام محمد بن أحمد شمس الدين الذهبي وغيرهم انظر : الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي : ٢ / ٥٦- ٦٠ .

أما عن رحلاته – رحمه الله تعالى – فقد رحل إلى كثير من البلاد قاصداً علماءها ومشايخها يتتلمذ على أيديهم، ويَحصل منهم على إجازات علمية، حيث رحل إلى دمشق : فقد جاء في تاريخ ابن قاضي شهبة أنه " قدم مع والده من بغداد إلى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمائة وفيها أجازه الشيخ شمس الدين ابن النقيب مدرس الشامية " (٣) ، ورحل كذلك إلى بلاد الحجاز والقدس مع والده وتلقى عن علمائها قال ابن العماد الحنبلي عن والده : " ولد ببغداد ونشأ بها وقرأ القرآن بالروايات وسمع من مشايخها ورحل إلى دمشق بأولاده فأسمعهم بها وبالحجاز والقدس وجلس للإقراء بدمشق وانتفع به وكان ذا خير ودين وعفاف " (٤) ، و رحل إلى مكة مع والده لأداء الحج وتلقى عن بعض مشايخها ، قال ابن رجب عن نفسه : " وحججت أنا تلك السنة أيضاً أي سنة ٧٤٩ هـ مع والدي، فقرأت على شيخنا أبي حفص عمر ثلاثيات البخاري بالحلة اليزيدية " (٥) ، ورحل كذلك إلى مصر ونابلس قال علي الشبل : " وقد رحل ابن رجب في طلب العلم مع والده إلى بغداد (٦) ، وحج مرارًا ، ورحل إلى مصر وبيت المقدس ونابلس والشام وغيرها " (٧) ، وسيأتي – إن شاء الله تعالى – في شيوخه ومن تلقى عنهم العلم أنه تتلمذ على يد بعض مشايخ وعلماء هذه البلدان التي رحل إليها .

المطلب الخامس عبادته وزهده :

كان هذا العالم الجليل عابداً زاهداً ورعاً تقياً أبياً، فقد أثنى كثير من العلماء على عبادته وزهده : فقال العليمي : " زهده وورعه فاق الحد " (٨) ، و قال عنه : ابن حجر " كان صاحب عبادة وتهجد"(٩) وقال عنه الدمشقي : " الشيخ الامام العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة واعظ المسلمين مفيد المحدثين " (١٠) ، و قال عنه ابن فهد الهاشمي : " كان – رحمه الله تعالى– إماماً ورعاً زاهداً مالت القلوب بالمحبة إليه وأجمعت الفِرق عليه " (١١) وقال أيضاً : " الإمام الحافظ الحجة والفقيه العمدة أحد

---

(١) شذرات الذهب : ٦ / ٣٣٨ .

(٢) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣/ ٤٨٨ .

(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣/ ٤٨٨ .

(٤) شذرات الذهب : ٦ / ٣٣٩ .

(٥) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب : ٥ / ١٤٧ .

(٦) لعله رجع إليها بعد خروجه مع والده إلى بلاد الشام ، لكنه لم يستقر بها لأنه استقر به الحال بدمشق إلى أن مات بها كما سيأتي في تاريخ وفاته إن شاء الله تعالى .

(٧) الأثبات في مخطوطات الأئمة : ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب ، لعلي بن عبد العزيز بن علي الشبل : ١ / ٣٠٨ .

(٨) المنهج الأحمد : ٢ / ٤٧٢.

(٩) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ لابن حجر ١ / ٤٦٠.

(١٠) الرد الوافر محمد بن أبي بكر الدمشقي ص : ١٠٦.

(١١) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لأبي الفضل الهاشمي المكي : ص : ١١٩ .

العلماء الزهاد والأئمة العباد مفيد المحدثين واعظ المسلمين " (١) ، وقال عنه ابن تغري بردي : " وكان أحد الأئمة العلماء الزهاد العاملين " (٢) وجاء في تاريخ ابن قاضي شهبة أنه " حج مع والده سنة تسع وأربعين ، وأنه وكان مُنْجَمِعاً عن الناس لا يخالط ، ولا يتردد على أحد من ذوي الولايات، و يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين وكان لا يعرف شيئاً من أمور الدنيا فارغاً عن الرياسة وأسبابها وكان فقيراً متعففاً غني النفس " (٣) .

المطلب السادس : علمــه وفضله :

كان ابن رجب عالماً جليلاً اشتغل بالعلم منذ صغره وبرع في كثير من الفنون والعلوم منها : علم التفسير والحديث والفقه وأصوله وقواعده ، ونال إجازات كثيرة في الرواية، وهذا يرجع – بعد توفيق الله تعالى له – إلى همته العالية وقوة عزيمته في طلب العلم ونشأته في بيت من بيوت العلم، فقد كان جده ووالده عالمين جليلين، و إلى اعتناء والده به منذ صغره بتحصيله العلم والسماع من العلماء :

قال عنه ابن مفلح : " اشتغل بسماع الحديث باعتناء والده " (٤) ، وقال عنه ابن حجر : مهر في فنون الحديث أسماءً ورجالاً وعللاً وطرقاً واطلاعاً على معانيه " (٥) وقال في موضع آخر : " وأكثر من المسموع وأكثر الاشتغال حتى مهر " (٦) ، وقال عنه ابن مفلح – أيضاً : " وأجازه ابن النقيب وأجاز له النووى وسمع بنفسه بمكة على الفخر عثمان بن يوسف واشتغل بسماع الحديث باعتناء والده " (٧) ، وقد أثنى العليمي على علمه وورعه وتصنيفه فقال : " هو الشيخ الإمام والحبر والبحر الهمام العالم العامل البدر الكامل القدوة الورع الزاهد الحافظ الحجة الثقة شيخ الإسلام والمسلمين وزينة الملة والدين واعظ المسلمين مفيد المحدثين جمال المصنفين " (٨) ، و قال الذهبي : " هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ " (٩)، ونقل ابن العماد الحنبلي عن ابن حجي أنه قال عنه : " أتقن الفن – أي فن الحديث – وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع الطرق " (١٠) ، وقال عنه السيوطي : " هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ ....ثم قال : " وأكثر الاشتغال حتى مهر " (١١) ، ولعلمه وفضله تولى الإفتاء بالشام ثم تركها بأخره وتولى التدريس في

---

(١) المرجع السابق .

(٢) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، لابن تغري بردي : ٧ /١٦٤ .

(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣/ ٤٨٨ .

(٤) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد : ٢ / ٨١ .

(٥) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ لابن حجر : ١ / ٤٦٠ .

(٦) الدرر الكامنة : ٣/ ١٠٩.

(٧) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح : ٢ / ٨١ .

(٨) المنهج الأحمد في تراجم اصحاب الإمام أحمد : ٢/ ٤٧١ .

(٩) تذكرة الحفاظ : ١ / ٢٤٣ .

(١٠) شذرات الذهب : ٦ / ٣٣٨ .

(١١) طبقات الحفاظ ص : ٥٤٠ .

المدرسة الشريفية الحنبلية بالشام ([١]) ، ونقل ابن عبد الهادي عن القاضي علاء الدين بن اللحام – فيما وجده بخطه – أنه قال عن ابن رجب :" سيدنا وشيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ شيخ الإسلام مجلِّي المشكلات وموضح المبهمات ....فريد عصره ووحيد دهره " ([٢]) ، وقال ابن عبد الهادي : " الفقيه الزاهد البارع الأصولي المفيد المحدث " ([٣])

وقد كان رحمه الله يبتغي بعلمه رضا الله – عز وجل – وثوابه ، مما يدل على ذلك ما ذكره ابن عبد الهادي في الجوهر المنضد حيث قال : " أخبرت عن القاضي علاء الدين ابن اللحام [البعلي المشهور صاحب الاختيارات والقواعد] أنه قال: ذكرَ لنا مرة الشيخُ [ابن رجب] مسألة فأطنب فيها ، فعجبتُ من ذلك ، ومن إتقانه لها ، فوقعت بعد ذلك في محضر من أرباب المذاهب ، وغيرهم ؛ فلم يتكلم فيها الكلمة الواحدة ! فلما قام قلتُ له: أليس قد تكلمتَ فيها بذلك الكلام ؟ ! قال : إنما أتكلمُ بما أرجو ثوابه ، وقد خفتُ من الكلام في هذا المجلس ، أو ما هذا معناه " ([٤]) .

المطلب السابع : مذهبه الفقهي :

تقلد هذا العالم الجليل المذهب الحنبلي، بل كان من شيوخ المذهب في عصره وتولى تدريسه ونشره قال عنه ابن العماد : " الحنبلي المذهب " ([٥]) ، وقال ابن قاضي شهبة : " والقواعد – الفقهية – التي له تدل على معرفته بالمذهب " ([٦]) أي المذهب الحنبلي ، وقال عنه ابن مفلح " شيخ الحنابلة " ([٧]) ،وقال ابن قاضي شهبة : " واشتغل بالمذهب حتى أتقنه " ([٨]) " وقال عنه الكتاني " الحنبلي صاحب طبقات الحنابلة " ([٩]) ، وقال ابن عبد الهادي : " وله تحقيق في المسائل على نصوص أحمد وكلام الأصحاب وله مسائل كثيرة غريبة وأشياء حسنة يعجز الإنسان عن حصرها " ([١٠]) ، فـ " كان رحمه الله في فروع المسائل الفقهية على مذهب الأمام أحمد وأصحابه من الحنابلة فيتبع أصول مذهب أحمد اتباع حق لا هوى وتشهٍ وكانت له معرفة بالمذهب حيث حفظ مختصر الخرقي على شيخه ابن النباش وقرأ الروايات عن أحمد في مسائل أبنائه

---

(١) منادمة الأطلال ومسامرة الخيال لعبد القادر بدران ص : ٢٣٦ ، وفهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني : ٢ / ٦٣٧ .

(٢) الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد لابن المبرد ، ص : ٤٧ .

(٣) الجوهر المنضد ص : ٤٧ .

(٤) المرجع السابق ص : ٥٢

(٥) شذرات الذهب : ٦/ ٣٣٨ .

(٦) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣ / ٤٨٨

(٧) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لابن مفلح : ٢ / ٨١ ، وهكذا قال عنه عبد القادر بدران انظر : منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص : ٢٣٦ .

(٨) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣ / ٤٨٨.

(٩) فهرس الفهارس والأثبات : ٢ / ٦٣٦ .

(١٠) الجوهر المنضد : ص : ٥١، ٥٢.

وأصحابه وتحصلت له ملكة في التمييز بين روايات المذهب وأقواله وأوجهه وتخريجاته حتى غدا متعقباً لغرائب كبار الأصحاب في كتابه ذيل طبقات ابن أبي يعلى " (١) .

المطلب الثامن : عقيدته :

كان رحمه الله سلفي العقيدة ، سني المذهب ، قال عنه القاضي علاء الدين ابن اللحام : " شيخنا الإمام العالم الحافظ بقية السلف الكرام وحيد عصره وفريد دهره " (٢) ، وقال ابن قاضي شهبة : " وكان يحفظ كثيراً من كلام السلف " (٣) ، وله كتاب سماه فضل علم السلف على الخلف ذكر فيه ما يدل على أنه كان سلفياً ويرجح قول السلف على غيرهم خاصة في آيات الصفات حيث قال : " والصواب ما عليه السلف الصالح من إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تفسير لها ولا تكييف ولا تمثيل: ولا يصح من أحد منهم خلاف ذلك البتة خصوصاً الإمام أحمد ولا خوض في معانيها ولا ضرب مثل من الأمثال لها: وإن كان بعض من كان قريباً من زمن الإمام أحمد فيهم من فعل شيئاً من ذلك اتباعاً لطريقة مقاتل فلا يقتدى به في ذلك إنما الاقتداء بأئمة الإسلام كابن المبارك ، ومالك ، والثوري والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد ، واسحق ، وأبي عبيد ،. ونحوهم " (٤).

المطلب التاسع مناصبه العلمية :

تولى ابن رجب – رحمه الله تعالى – الإفتاء ثم تركه في آخر حياته ، وولي حلقة الثلاثاء بعد وفاة ابن قاضي الجبل في رجب سنة إحدى وسبعين وسبعمائة ودرَّس بالحنبلية بعد وفاة ابن التقي (٥) ودرس بالحلقات الثلاث (٦) والمدرسة الحنبلية (٧) ، وذكره النعيمي فيمن درس بالمدرسة الحنبلية الشريفية بدمشق (٨) .

المبحث الثاني : شيوخه ومن تلقى عنهم العلم وتلاميذه ومن تلقوا عنه :

المطلب الأول : شيوخه ومن تلقى عنهم العلم :

تتلمذ ابن رجب – رحمه الله تعالى – على أيدي جم غفير من العلماء الأجلاء العاملين النبلاء وأخذ عنهم علومًا شتى ونهل من علمهم واغترف من معينهم .

---

(١) انظر منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة لعلي بن عبد العزيز الشبل ص : ٧٠ – ٧٢ ، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي لأبي مصعب طلعت ابن فؤاد الحلواني : ١/ ١٢ .

(٢) الجوهر المنضد ص : ٤٧ .

(٣) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣٣/ ٤٨٩ .

(٤) فضل علم السلف على الخلف ص : ٤ .

(٥) تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣ / ٤٨٨ .

(٦) أي حلقات العلم الثلاث منهم حلقة الثلاثاء .

(٧) الدراس في تاريخ المدراس : ٢ / ٦٠ .

(٨) الدراس في تاريخ المدارس : ٢ / ٥٠ – ٦٠ .

قال ابن عبد الهادي : " سمع من خلق كثير وأخذ عن جم غفير " (١) ، وقال ابن حجر : " وأكثر عن الشيوخ وخرج لنفسه مشيخة مفيدة " (٢) .

من هؤلاء العلماء الأجلاء والشيوخ الفضلاء :

١- جده : رجب بن حسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي .

٢- أبوه : عبد الرحمن بن رجب البغدادي .

وقد سبق بيان أنهما كانا عالمين جليلين، وأن ابن رجب، أخذ عنهم وتتلمذ على أيديهم منذ صغره .

٣- شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر ابن قيم الجوزية قال ابن حميد " لزم مجالس الشيخ شمس الدين ابن القيم إلى أن مات " (٣) .

٤- إبراهيم بن داود العطار سمع منه بدمشق مسند أحمد كاملاً .

٥- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بابن الخباز سمع منه بدمشق أيضاً .

٦- أبو الفتح محمد بن إبراهيم الميدومي سمع منه الحديث بمصر .

٧- أبو الحرم محمد بن محمد بن محمد القلانسي سمع منه في مصر .

٨- زين الدين العراقي قال ابن حجر : " ورافق شيخنا زين الدين العراقي في السماع كثيرًا " (٤)

٩- الفخر عثمان بن يوسف سمع منه بمكة .

١٠- أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن قاضي الجبل وعنه تلقى الفقه وغيره ، وخلفه على درسه في حلقة الثلاثاء بالجامع الأموي ، وهي خاصة الحنابلة ولا يليها إلا كبير فقهائهم .

١١- صلاح الدين أبو سعيد خليل العلائي سمع منه الحديث بالقدس (٥).

المطلب الثاني : تلاميذه ومن تلقوا عنه :

هذا العالم الجليل ذاع صيته بين أقرانه وتلاميذه في كثير من العلوم، خاصة علم التفسير والحديث والعقيدة والفقه وقواعده وأصوله والسير والتاريخ ، فأقبل عليه الكثير من طلاب العلم يأخذون عنه وينهلوا من علمه، قال العليمي : " وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة وللناس عامة مباركة نافعة اجتمعت الفرق عليه

---

(١) الجوهر المنضد ص : ٤٧

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٣ / ١٠٩.

(٣) السحب الوابلة ص : ١٩٧ .

(٤) إنباء الغمر بأبناء العمر : ١ / ٤٦٠ .

(٥) راجع في شيوخ ابن رجب : الرد الوافر ص : ١٠٦ ، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ٧ / ١٦٤ ، و لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ ص : ١١٨ ، ١١٩ ، و شذرات الذهب : ٦ / ٣٣٩، و الدارس في تاريخ المدارس : ٢ / ٦٠ ، والمنهج الأحمد للعليمي : ٢ / ٤٧٠، ٤٧١ ، والدرر الكامنة : ٣ / ١٠٨ ، ١٠٩ و الأثبات في مخطوطات الأئمة ص : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

ومالت القلوب بالمحبة إليه " (١) وهذا أدى إلى كثرة تلاميذه ، قال ابن عبد الهادي : " تفقه عليه جماعة من الأكابر "(٢) .

من هؤلاء التلاميذ الذين أصبحوا أكابر في العلم من بعده :

١- علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس بن شيبان البعلي، ثم الدمشقي الحنبلي المعروف بابن اللحام شيخ الحنابلة تولى القضاء بمصر، واشتغل على الشيخ زين الدين بن رجب وأذن له في الافتاء .

٢- داوود بن سليمان بن عبد الله الموصلي ثم الدمشقي الحنبلي سمع منه شرح الأربعين النووية وجزء من اللطائف بدمشق .

٣- أبو الفضل أحمد بن نصر الله بن أحمد بن محمد بن عمر المقلب بمحب الدين وشهاب الدين البغدادي ثم المصري مفتي الديار المصرية أخذ الفقه عن ابن رجب وسمَّع عليه الحديث .

٤- زين الدين أبو ذر عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المصري الحنبلي المعروف بالزركشي سمع منه الفقه بدمشق .

٥- محمد بن أحمد بن سعيد العز المقدسي الأصل النابلسي، ثم الدمشقي الحلبي المكي قاضيها الحنبلي سمع منه بدمشق .

٦- علي بن محمد بن علي العلاء الطرسوسي المزي ناظر الجامع المرجاني بالمزة ، حضر على ابن رجب وسمعه يقول : " أرسل إلي الزين العراقي يستعين بي في شرح الترمذي "

٧- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبادة السعدي الأنصاري الحنبلي قاضي قضاة دمشق أخذ عن ابن رجب بدمشق .

٨- أحمد بن علي بن محمد بن محمد الشهاب الأنصاري الحلبي ثم الدمشقي الحنبلي المؤذن المعروف بابن الشحام كان يحضر مواعيد ابن رجب بدمشق (٣) .

هؤلاء هم بعض تلاميذ ابن رجب النجباء الذي تلقوا عنه العلم فصاروا علماء أجلاء وهم كثر يطول بهم الاستقصاء والإحصاء .

المبحث الثالث : مصنفات ابن رجب الحنبلي

لقد كثرت وتنوعت مصنفات هذا العالم الجليل، حيث إنه لم يقتصر على علم واحد من العلوم في التصنيف بل سطر في علوم شتى فكثرت مؤلفاته، كعلم التفسير والحديث والعقيدة والزهد والرقائق والفقه وقواعده والسير والتاريخ ، قال عنه ابن عبد الهادي : " جامع الشتات والفضائل " (٤) وقال ابن مفلح : " له

---

(١) المنهج الأحمد : ٢/ ٤٧١ .

(٢) الجوهر المنضد ص : ٥٢ .

(٣) راجع في تلاميذ ابن رجب : تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣ / ٤٨٨ ، والجوهر المنضد ص : ٥٢ ، وشذرات الذهب : ٧ / ٣٠، ١٤٧ ، ٢٤٩ ، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي : ٢ / ٤١، ٢٣٢ – ٢٣٩ ، ٣/ ٢١٢ ، ٤ / ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٥ / ٣٢٨ ، ٦ / ٣١٠ .

(٤) الجوهر المنضد ص : ٤٧ السحب الوابلة ص : ١٩٨ .

تصانيف شتى مفيدة " (١) وقال ابن ناصر الدين الدمشقي : " له مصنفات مفيدة ومؤلفات عديدة " (٢) وقال السخاوي : " جمع نفسه على التصنيف والإقراء " (٣) .

وفيما يلي بعض ما صنفه في هذه العلوم :

المطلب الأول : مصنفاته في العقيدة :

فقد صنف كتاباً في العقيدة سماه : التوحيد أو كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، وهو مطبوع (٤).

المطلب الثاني : مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن :

١- تفسير سورة الفاتحة ...مطبوع

٢- الكلام على قوله تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ }(فاطر/٢٨).....مطبوع

٣- تفسير سورة النصر ... مطبوع

٤- تفسير سورة الإخلاص ....مطبوع

٥- تفسير سورة الفلق ...مخطوط (٥) .

٦- إعراب البسملة ذكره صاحب الجوهر المنضد (٦) .

٧- إعراب أم الكتاب قال ابن عبد الهادي ولعله كتاب الفاتحة (٧) ، قلت ليس هو لأن كتاب تفسير سورة الفاتحة لم يتعرض فيه لإعراب السورة الكريمة بل تعرض لتفسيرها ، ولعله مفقود .

٨- الاستغناء بالقرآن (٨) ...مفقود .

المطلب الثالث : مصنفاته في الحديث وعلومه :

١- فتح الباري في شرح صحيح البخاري وصل فيه إلى كتاب الجنائز واخترمته المنية قبل أن يتمه، ينقل فيه كثيراً من كلام المتقدمين وهو مطبوع .

٢- شرح جامع الترمذي في عشرين مجلداً لكنه احترق ذكره ابن رجب في رسالته " اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى " (٩) .

---

(١) المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد : ٢ / ٨٢ .

(٢) الرد الوافر ص : ١٠٦ .

(٣) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام للسخاوي : ١ / ٣٠٨ .

(٤) السحب الوابلة ص : ١٩٨ .

(٥) يراجع في هذه المصنفات : الجوهر المنضد ص : ٥٠ ، و كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة : ١ / ٧٩ ، ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١/ ٤٢ – ٤٤ .

(٦) الجوهر المنضد لابن عبد الهادي ص : ٥٠ .

(٧) الجوهر المنضد ص : ٥٠ .

(٨) أشار إليه ابن رجب في رسالته الذل والانكسار ص : ٥٦ ، ونزهة الأسماع في مسألة السماع ، ص : ٧١ وذكر باسم : " بيان الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والايمان " .

(٩) انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٤ / ٧ .

٣- شرح الأربعين النووية وزادها إلى الخمسين سماه : " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديث من جامع الكلم وهو مطبوع .

٤- شرع علل الترمذي مطبوع ([1]) .

وله رسائل كثيرة في شرح أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جمع معظمها مع رسائل أخرى أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني في كتابه " مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي " وأشار إلى معظمها ابن عبد الهادي ونسبها إليه مثل : ونور الاقتباس في شرح وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس ([2])، وشرح حديث " لبيك اللهم لبيك "([3]) ، وغيرها من الرسائل ([4]).

المطلب الرابع : مصنفاته في الفقه وقواعده :

١- القواعد الفقهية وهو كتاب نافع من عجائب الدهر [مطبوع] .

٢- القاعدة الذهبية في المعاملات الإسلامية لا ضرر ولا ضرار .[مطبوع] .

٣- الاستخراج في أحكام الخراج [مطبوع] .

٤- أحكام الخواتيم [مطبوع] .

٥- نزهة الأسماع في مسألة السماع [مطبوع] .

٦- الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة [مطبوع] .

٧- القول الصواب في تزويج أمهات أولاد الغياب [مطبوع] .

٨- مختصر في معاملة الظالم السارق [مطبوع] .

٩- إزالة الشنعة عن الصلاة بعد النداء يوم الجمعة نسبه إليه ابن عبد الهادي في الجوهر المنضد .

١٠- مشكل الأحاديث الواردة في أن الطلاق الثلاث واحدة [مخطوط] .

١١- رسالة في تعليق الطلاق بالولادة [مخطوط] .

١٢- الكشف والبيان عن حقيقة النذور والأيمان نسبه إليه ابن حميد النجدي .

١٣- أحكام الاختلاف في رؤية هلال ذي الحجة [مطبوع] ([5]) .

---

(١) راجع في هذه المصنفات : طبقات الحفاظ للسيوطي ص : ٥٤٠ ، وتاريخ ابن قاضي شهبة : ٣ / ٤٨٨، والجوهر المنضد ص : ٤٨، شذرات الذهب : ٦ / ٣٣٨ .

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند : ٤ / ٤٨٨ ، حديث رقم : ٢٧٦٤ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده صحيح .

(٣) رواه الإمام الحاكم في المستدرك ، كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح : ١ /٦٩٦ ، ٦٩٧، حديث رقم : ١٩٠٠ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وسكت عنه الذهبي .

(٤) راجع الجوهر المنضد ص : ٤٨ – ٥١ ، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ٣٨ .

(٥) انظر في هذه المصنفات : السحب الوابلة ص : ١٩٧ ، ١٩٨ ، والدراس في تاريخ المدارس : ٢ / ٦٠ ، وهدية العارفين : ١ / ٥٢٧ ، و الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب لعلي بن عبد

المطلب الخامس : مصنفاته في الفضائل والشمائل :

١- الإلمام في فضائل بيت الله الحرام ذكره صاحب كتاب إيضاح المكنون.

٢- فضائل الشام [مخطوط] .

٣- مولدات في فضائل الشهور قيل إنه مطبوع .

٤- فضل علم السلف على علم الخلف [مطبوع] .

٥- رسالة في فضيلة شهر رجب [مخطوط] (١) .

المطلب السادس : مصنفاته في السيِّر والتراجم :

١- اختيار الأبَرّ في سير أبي بكر وعمر رضي الله عنهما [مخطوط] .

٢- وقعة بدر نسبه إليه ابن حميد النجدي في السحب الوابلة .

٣- مشيخة ابن رجب نسبه إليه ابن حجر .

٤- الذيل على طبقات الحنابلة [مطبوع] .

٥- مختصر سيرة عمر بن عبد العزيز .

٦- سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز [مطبوع] (٢) .

المطلب السابع : مصنفاته في المواعظ والرقائق :

١- صفة الجنة وصفة النار نسبه إليه ابن قاضي شهبة وغيره .

٢- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف [مطبوع] .

٣- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور [مطبوع] .

٤- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار [مطبوع] .

٥- استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس [مطبوع] .

٦- المحجة في سير الدلجة [مطبوع] .

٧- ذم قسوة القلب [مطبوع] .

٨- ذم الخمر [مطبوع] .

٩- الفرق بين النصيحة والتعيير[مطبوع] .

١٠- البشارة العظمى في أن حظ المؤمن من النار الحمى [مطبوع] .

العزيز بن علي الشبل ص ٣٥٨ ، و الجوهر المنضد ص :٤١ ، ٤٩ ، ووجيز الكلام للسخاوي : ١ / ٣٠٨ ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ٣٩ – ٤٢ .

(١) راجع إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي ص : ١٢٢، وهدية العارفين : ١ / : ٥٢٧. والجوهر المنضد ص : ٥٠ ، كتاب لطائف المعارف (في المقدمة) ص : ١٣- ١٩ ، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ٤٣ .

(٢) انظر السحب الوابلة ص : ١٩٨ ، تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣ / ٤٨٨ ، والدرر الكامنة : ٣ / ١٠٩، ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ /٤٢ – ٤٤ ، نور الاقتباس (في المقدمة) ص: ١٩ .

١١- الذل والانكسار للعزيز الجبار أو الخشوع في الصلاة [مطبوع] .
١٢- بغية الإنسان في وظائف رمضان [مطبوع] .
١٣- ذم المال والجاه [مطبوع] .
١٤- أسباب المغفرة [مطبوع] .
١٥- كشف الكربة في وصف أهل الغربة [مطبوع] ([1]).

المبحث الرابع : مصادر ابن رجب في التفسير :

نقل ابن رجب الحنبلي في التفسير عن مؤلفات عديدة ومصنفات مفيدة واستفاد منها كثيراً ، منها ما هو في الحديث والتفسير وأخرى في الفقه وغيره أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

المطلب الأول : مصادره من كتب الحديث وشروحه :

١- صحيح الإمام البخاري ([2]) .
٢- صحيح الإمام مسلم ([3]) .
٣- مسند الإمام أحمد ([4]) .
- سنن الإمام الترمذي ونلاحظ أنه كان ينقل حكم الترمذي على الأحاديث ([5]) .
٤- سنن أبي داود ([6]).
٥- سنن البيهقي ([7]) .
٩- سنن الدارمي ([8]) .
٢- مسند الهيثم بن كليب نقل عنه وحكم على بعض أسانيده ([1]).

---

(١) راجع في هذه المصنفات : الجوهر المنضد ص : ٤٨ – ٥١ ، و منادمة الأطلال ومسامرة الخيال ص : ٢٣٦، معجم المؤلفين : ٥ / ١١٨ تاريخ ابن قاضي شهبة : ٣ / ٤٨٨ ، السحب الوابلة ص: ١٩٧ ، ١٩٨ ، الأثبات في مخطوطات الأئمة ص : ٣٢٨ ، ٣٥٤ ، و مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١/ ٤٢- ٤٤ .

(٢) جامع العلوم والحكم ص : ٣٩٠ ، واستنشاق نسيم الأنس ص : ٣٣ ، ٣٤ ، وأحكام الخراج ص : ٢٨، ٢٩ ، وتفسير سورة الإخلاص ص : ١٠ ، ١١.

(٣) فتح الباري : ١/ ٨٥ ، ولطائف المعارف ص : ٦٥ ، وذم المال والجاه ص : ١٢، والتخويف من النار ص : ١٧، واستنشاق نسيم الأنس ص : ٣٣ ، ٣٤ ، وأحكام الخراج ص : ٢٨ ، ٢٩ ، وتفسير سورة النصر ص :١٩ .

(٤) فتح الباري : ١ /٧٢ ، واستنشاق نسيم الأنس ص : ١٣٢ ، وذم قسوة القلب ص : ٦٦ ، و مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : : ٢ / ٣٧٥ رسالة البشارة العظمى ، وتفسير سورة الفاتحة ص : ٢٢ ، وتفسير سورة النصر ص : ٢٠ ، ٢٣ .

(٥) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : : ٢ / ٣٧٥ ، ٣٧٧ رسالة البشارة العظمى ، وذم قسوة القلب ص : ٦٦ ، تفسير سورة الفاتحة ص : ٢٤ ، تفسير سورة الإخلاص ص : ١١ ، ١٢.

(٦) ذم المال والجاه ص : ١٢، وأحكام الخراج ص : ٢٨ ، وتفسير سورة الفاتحة ص : ١٣ .

(٧) التخويف من النار ص : ٨١ ، ٨١ .

(٨) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : : ٢ / ٧٨٦ رسالة إنما يخشى الله من عباده العلماء .

٣- الإفصاح عن معاني الصحاح ليحيى محمد الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، المعروف بابن هبيرة ([٢]).

٤- مستدرك الحاكم وغالباً ما كان ينقل حكمه على الأحاديث ويتعقبها في بعض الأحيان ([٣]) .

٨- مسند بقي بن مخلد ([٤]) ولم ينقل عنه كثيراً .

٩- مسند عبد بن حميد ([٥]) .

١٠ - مسند أبي يعلى الموصلي([٦]) كان ينقل عنه ولا يكتفي بمجرد النقل بل أحياناً كان يحكم على أسانيده

١١ - السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ([٧]) .

١٢- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ([٨]) .

المطلب الثاني : مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن :

١- تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري نقل عنه كثيراً في التفسير (٩) وأحياناً لم يكتف بمجرد النقل بل كان يحكم على الأسانيد بالصحة أو الضعف . الأعلى فقط وإذا كان الأثر ضعيفاً يحكم عليه أحياناً بالضعف صراحة أو يكتفي بقوله في إسناده نظر ([١٠]).

٢- تفسير ابن أبي حاتم المسمى " تفسير القرآن العظيم " لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي نقل عنه في كثير من المواضع ([١١]) .

---

(١) فتح الباري : ١/ ٧٠ ، ٨٦ .

(٢) انظر الذيل على طبقات الحنابلة : ٢ / ١١٣ .

(٣) لطائف المعارف ص : ٦٤ ، ٦٥ ، واستنشاق نسيم الأنس ص : ٤٦ ، ٤٧ ، ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : . ٢ / ٤٣٨ رسالة صدقة السر وفضلها .

(٤) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : : ٢ / ٣٧٨ رسالة البشارة العظمى .

(٥) تفسير سورة الفاتحة ص : ٣٠ .

(٦) تفسير سورة الإخلاص ص : ١٦ ، ٢٢.

(٧) انظر فتح الباري : ١ / ١٨ .

(٨) انظر فتح الباري : ٢ / ٥ ، ٣ / ٣٨٠ ، ٣٨١ .

(٩) راجع جامع العلوم والحكم ص : ٢٢٠ ، ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٢ / ٨٠٤ ، ٨٠٥ رسالة إنما يخشى الله من عباده العلماء.

(١٠) انظر جامع العلوم والحكم ص : ٢٨٦ ، ولطائف المعارف ص: ٥٩ ،٦٠ ، و تفسير سورة النصر ص: ٣١، و تفسير سورة الإخلاص ص : ٢٨ .

(١١) راجع استنشاق نسيم الأنس ص : ١٧٩ ، والتخويف من النار ص : ٨٠ ، أحكام الاختلاف في رؤية هلال ذي الحجة ، ص : ٦٢ ، وتفسير سورة الإخلاص ص : ٢٢ ، ٢٧ ، ٢٨ .

٣- تفسير الثعلبي المسمى " الكشف والبيان " نقل الحافظ ابن رجب كثيراً منه ، ولم يكتف بمجرد النقل بل كان أحياناً يحكم على أسانيد ما ينقله([١]) وتارة كان يرد التفسير الوارد فيه ويستغربه ([٢]) .

٤- تفسير آدم ابن أبي إياس العسقلاني وغالباً ما كان ينقل عنه الأثر في التفسير بالإسناد ([٣]) .

٥- تفسير النسائي نقل عنه في كثير من المواضع ([٤]) .

٦- تفسير الماوردي المسمى " النكت والعيون " ([٥]) نقل عنه في بعض المواضع .

٧- تفسير ابن عطية المسمى " المُحَرَر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " ([٦]) نقل عنه كثيراً وأحياناً كان يتعقبه ([٧]) .

٨- أحكام القرآن للقاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي ت : ٢٨٢ هـ أكثر من النقل عنه في الموضع الواحد وفي مواضع متعددة ([٨]) .

٩- أحكام القرآن للقاضي أبي يعلى الحنبلي نقل عنه ابن رجب كثيراً خاصة في تفسيره لآيات الأحكام ، وأكثر من النقل عنه في كتابه فتح الباري ([٩]) .

١٠- تفسير عبد بن حميد ([١٠]).

١١- مفاتيح الغيب للرازي ([١١]) . ولم يكثر من الأخذ عنه .

١٢ – تفسير الزمخشري المسمى "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" ولم يكثر من النقل عنه ([١٢]) .

١٣- البيان في عد آي القرآن لأبي عمرو الداني ([١٣]) .

١٤- تفسير سنيد وهو الحسين بن داود، المصيصي، أبو علي، المحتسب، ولقبه سنيد ([١]) .

---

(١) التخويف من النار ص : ٨١ .

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : : ٢ / ٤٣٩ رسالة صدقة السر وفضلها ، وتفسير سورة الفاتحة ص : ١٣ .

(٣) التخويف من النار ص : ٨١ ، ٨٣ ، ١٠٧ .

(٤) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : : ١ / ١٩٢ رسالة شرح حديث مثل الإسلام ، وجامع العلوم والحكم : ١ / ٥٠٧ .

(٥) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : : ٢ / ٨٠٥ رسالة إنما يخشى الله من عباده العلماء .

(٦) راجع : جامع العلوم والحكم ص : ٤٠٣ .

(٧) انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢ / ٤٣٨ ، رسالة بعنوان : " صدقة السر وفضلها " .

(٨) فتح الباري : ٨ / ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٩) فتح الباري : ١ / ٨٦ ، جامع العلوم والحكم ص : ٣٩٠ .

(١٠) انظر لطائف المعارف ص : ٢٩٠ .

(١١) انظر تفسير سورة الفاتحة ص : ٢٠ ، ٢١

(١٢) تفسير سورة الفاتحة ص : ٢٠ .

(١٣) تفسير سورة الفاتحة ص : ٢٥.

١٤- فضائل القرآن لأبي عبيد القاسم ابن سلام ([٢]) .

المطلب الثالث : مصادره من كتب الفقه :

لقد أخذ ابن رجب الحنبلي عن كتب كثيرة في الفقه أبرزها :

١- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي أكثر من النقل عنه خاصة عند تفسيره لآيات الأحكام ([٣]) .

٢- المغني لابن قدامة ([٤]) .

٣- المجموع : شرح المهذب للنووي ([٥]) .

المطلب الرابع : المصادر الأخرى :

١- المقتبس من الفوائد العونية لأبي الفرج ابن الجوزي ([٦]) وقد أكثر ابن رجب من النقل عنه في كتابه الذيل على طبقات الحنابلة ([٧]) .

٢- كتاب الجوع لابن أبي الدنيا ([٨]) لكن لم يكثر من النقل عنه .

٣- حلية الأولياء لأبي نعيم نقل عنه أقوال بعض من ذكرهم أبو نعيم من الأولياء والأصفياء في التفسير ([٩])

هذه هي بعض الكتب والمصنفات التي رجع إليها ابن رجب في تفسيره لكتاب الله – تعالى خاصة – في التفسير بالمأثور وقد كان رحمه الله – تعالى – عالماً جليلاً مجتهداً بارعاً، لم يكتف بمجرد النقل عمن سبقه بل أدلى بدلوه في تفسير القرآن الكريم وفسره بما وصل إليه رأيه واجتهاده وسيتضح هذا – إن شاء الله تعالى – في جهوده في التفسير بالرأي .

---

(١) انظر التخويف من النار ص : ٢٠٧ ، ٢١٣ .

(٢) تفسير سورة الفاتحة ص : ٢٦ .

(٣) فتح الباري : ٨ / ١٧٦ .

(٤) تفسير سورة الفاتحة ص : ٣٥ .

(٥) تفسير سورة الفاتحة ص : ٣٥ .

(٦) قال ابن رجب عن هذا الكتاب : وقد صنف ابن الجوزي كتاب، " المقتبس من الفوائد العونية " وذكر فيه الفوائد التي سمعها من الوزير عون الدين، وأشار فيه إلى مقاماته في العلوم ، ذيل طبقات الحنابلة : ٢ / ١١٧، ١١٨. ، وقد سمى ابن الجوزي هذا الكتاب بهذا الاسم نسبة إلى لقب شيخه يحيي بن محمد بن هبيرة الملقب بعون الدين، انظر الأعلام للزركلي : ٨ / ١٧٥ .

(٧) الذيل على طبقات الحنابلة : ٢ / ١١٨ ، ١٤١ – ١٧٠ .

(٨) لطائف المعارف ص : ٨٣ ، ١٣٥.

(٩) انظر استنشاق نسيم الأنس ص :١٨٠ ، والتخويف من النار ص: ٣٣ ، ٢٦١ ، وتفسير سورة الإخلاص ص : ١٤.

المبحث الخامس : وفاتـه

توفي ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – في شهر رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة على الراجح ، ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير جوار قبر الشيخ الفقيه الزاهد أبي الفرج عبد الواحد بن محمد الشيرازي ثم المقدسي الدمشقي، وقيل: توفي رحمه الله ليلة الاثنين رابع شهر رمضان سنة خمس وتسعين وسبعمائة بأرض الخميرية ببستان كان استأجره وصلى عليه من الغد (١) ، قال ابن عبد الهادي : " وقبر ابن رجب معروف بمقابر باب الصغير مكتوب عليه أنه توفي سنة خمس وتسعين " (٢) .

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي : لقد حدثني من حفر لحد ابن رجب أن الشيخ زين الدين بن رجب جاءه قبل أن يموت بأيام قال : فقال لي احفر لي هنا لحدًا وأشار الى البقعة التي دفن فيها قال فحفرت له فلما فرغ نزل في القبر واضطجع فيه فأعجبه وقال هذا جيد ثم خرج ، قال فوالله ما شعرت به بعد أيام إلا وقد أتي به ميتًا محمولًا في نعشه فوضعته في ذلك اللحد وواريته فيه (٣) .

هذا وقد بينت جهود هذا العالم الجليل في التفسير من خلال كتبه ورسائله التالية :

١- أحكام الاختلاف في رؤية هلال ذي الحجة .

٢ – اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى .

٣- أسباب المغفرة لابن رجب الحنبلي.

٤- الاستخراج لأحكام الخراج .

٥- استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس .

٦- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور .

٧- بغية الإنسان في وظائف رمضان .

٨ – التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار .

٩- تفسير سورة الإخلاص .

١٠- تفسير سورة الفاتحة .

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي : ١ / ٢٤٣ ، و الجوهر المنضد ص : ٥٢، والرد الوافر ص : ١٠٧ ، ووجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام للسخاوي : ١ / ٣٠٨ ، و شذرات الذهب : ٦ / ٣٣٨ ، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، لابن تغري بردي : ٧ / ١٦٤ ، والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لمحمد ابن عبد الله النجدي الحنبلي ص : ١٩٧ ، و الأعلام لخير الدين الزركلي : ٣ / ٢٦٥.

(٢) الجوهر المنضد ص : ٥٣ .

(٣) الرد الوافر ص : ١٠٧ .

١١- تفسير سورة النصر .

١٢ - الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي - صلى الله عليه وسلم - " بعثت بالسيف بين يدي الساعة "

١٣- الذل والانكسار للعزيز الجبار أو الخشوع في الصلاة .

١٤- ذم قسوة القلب .

١٥- ذم المال والجاه .

١٦- ذيل طبقات الحنابلة .

١٧- شرح حديث جبريل .

١٨ - شرح حديث لبيك اللهم لبيك .

١٩- شرح حديث " يتبع الميت ثلاث " .

٢٠ - فتح الباري شرح صحيح البخاري .

٢١ - الفرق بين النصيحة والتعيير .

٢٢- فضل علم السلف على الخلف .

٢٣ - القاعدة الذهبية في المعاملات الإسلامية لا ضرر ولا ضرار .

٢٤ - كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي .

٢٥- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، أبو مصعب طلعت ابن فؤاد الحلواني ، وقد رجعت فيه إلى الرسائل الآتية :

- رسالة البشارة العظمى للمؤمن بان حظه من النار الحمى .

- رسالة جزء من الكلام على حديث شداد بن أوس " إذا كنز الناس الذهب والفضة "

- رسالة " سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز" .

- رسالة شرح حديث أبي الدرداء " من سلك طريقا يلتمس فيه علما " ويسمى "ورثة الأنبياء".

- رسالة : شرح حديث "إن أغبط أوليائي عندي " .

- رسالة : " شرح حديث عمار بن ياسر " اللهم بعلمك الغيب ".

- رسالة شرح حديث مثل الإسلام .

- رسالة صدقة السر وفضلها .

- رسالة "غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع" .

- رسالة الكلام على قوله تعالى : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨)

- رسالة " المحجة في سير الدلجة " .

٢٦ – نزهة الأسماع في مسألة السماع .

٢٧ – نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس .

الفصـل الثانــي

جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير من خلال كتبه ورسائله التي صنفها في هذا العلم

لقد صنف ابن رجب الحنبلي مجموعة كتب ورسائل خاصة بتفسير القرآن الكريم مثل كتابه : " تفسير سورة الفاتحة " و رسالته المسماة " الكلام على قوله تعالى : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨) وكتابه " تفسير سورة النصر" و" تفسير سورة الإخلاص " وبذل فيها جهداً كبيراً سوف أبين هذا في المباحث الآتية :

المبحث الأول : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة الفاتحة :

اهتم ابن رجب في تفسيره لهذه السورة الكريمة بخمسة أمور عنون لها بخمسة فصول وهي : الفصل الأول: في موضع نزولها . الثاني: في عددها . الثالث: في أسمائها. الرابع: في فضائلها وخصائصها .الخامس: في أحكامها.

وهاك بيان جهده وما اهتم به في تفسير هذه السورة الكريمة :

المطلب الأول : اهتمامه بموضع نزولها :

وقد اعتنى ابن رجب ببيان موضع نزول هذه السورة الكريمة وهل هي مكية أم مدنية وهو ما ذكره في الفصل الأول ويظهر جهده في هذا الأمر فيما يلي :

١- استيعابه للأقوال التي وردت في موضع نزولها منها ما نسبه لقائله ومنها ما لم ينسبه .

٢- ترجيحه لأحد هذه الأقوال وهو القول الأول وهو أنها نزلت بمكة منها بالحجة والدليل .

٣- لم يكتف بما سبق ذكره، بل نجده بعد أن أورد في معرض حديثه عن القول الأول وهي أنها نزلت بمكة ذكر قول آخر، وهو أنها أول سورة نزلت من القرآن بمكة، ثم عدَّد الأقوال الأخرى في أول ما نزل وآخر ما نزل، وصحح أن أول ما نزل هو سورة اقرأ وذلك إتماماً للفائدة وحتى لا يتوهم القارئ أن سورة الفاتحة هي أول ما نزل على الإطلاق أو أن هذا هو القول الوارد فقط (١) .

ويتضح هذا من خلال قراءة ما سطره في هذا الفصل حيث قال موضع نزولها وفيه ثلاثة أقوال :

الأول : أنها نزلت بمكة نُقِل عن علي وابن عباس وأبي هريرة – رضي الله عنهم – والأكثرين، ثم أورد عن

---

(١) انظر تفسير سورة الفاتحة ص : ٨ .

أبي ميسرة أنه قال : هي أوَّل سورة نزلت من القرآن بمكَّة، وأنَّها ابتدأت بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» ، ثم حكى بعض الأقوال الأخرى في أول ما نزل ثم صحح أنه صدر سورة " اقرأ" .

القول الثاني : أنها أُنزلت بالمدينة ، قاله جماعة، منهم مجاهد .

القول الثالث: أنَّها أُنزلت مرَّةً بمكَّة، ومرَّةً بالمدينة، فهي مكِّيَّةٌ مدنيَّةٌ ، ولم ينسبه لقائله.

ثم أورد قولين آخرين وهما : الأول : وهو ما حكاه أبو الليث : أنَّ نصفَهَا نزل بالمدينة، ونصفَهَا بمكَّة .

الثاني : قيل أنها نزلت بين مكَّة والمدينة .

فهذه جملة ستة أقوال ذكرها ابن رجب في موضع نزول هذه السورة الكريمة، ثم رجح القول الأول منها فقال : والصحيح أنها أُنزلت بمكة، فإنَّ «سورة الحِجْر» مكية بالاتفاق، وقد أنزل الله فيها قوله: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر : ٨٧) ، وقد فسَّرها النبيُّ ﷺ بالفاتحة، (١) ، فعُلم أنَّ نزولهَا متقدمٌ على نزول «الحِجْر»، وأيضًا فإنَّ الصَّلاةَ فُرضت بمكَّة، ولم يُنقل أنَّ النبيَّ ﷺ وأصحابَه صلَّوا صلاةً بغير فاتحة الكتاب أصلاً، فدلَّ على أنَّ نزولهَا كان بمكَّة، وأمَّا الرِّواية بأنَّها أوَّلُ سورةٍ أُنزلت من القرآن فالأحاديث الصَّحيحة تردُّه (٢) .

المطلب الثاني : اهتمامه بعدد آياتها وحروفها وكلماتها :

أما في عدد آياتها فيظهر اهتمامه وجهده في هذا الأمر في إيراده لثلاثة أقوال في عدد آياتها قدم المتفق عليه منها ودلل عليه ، ثم رد القولين الآخرين، وحكم عليهما بالشذوذ عن هذا الاتفاق وهو ما ذكره في الفصل الثاني حيث قال: " عدد آياتها سبعُ آياتٍ كما دلَّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي﴾ [الحجر:٨٧]، وفسَّرها النبيُّ ﷺ بالفاتحة، (٣) ، ونقل غيرُ واحدٍ الاتفاق على أنَّها سبعٌ، منهم ابنُ جرير(٤) وغيرُه، لكن مَنْ عَدَّ البسملة آيةً منها جعلَ الآية السابعة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، ومَنْ لم يَجْعلْ البسملةَ آيةً منها جَعَلَ الآية السابعة: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾(٥)، ثم قال ابن رجب : وفيها قولان شاذّان: أحدُهما: أنَّها ستُّ آياتٍ، حُكي عن حسين الجُعْفِيّ. والثاني: أنَّها ثمانُ آياتٍ، وأنَّ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ آيةٌ، نُقل عن عمرو بن عبيد، ولا يعبأُ به (٦) .

---

(١) إشارة منه إلى حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن سورة الفاتحة : «هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته» ، رواه البخاري في صحيحه ،كتاب تفسير القرآن – باب ما جاء في فاتحة الكتاب : ٦ / ١٧ ، ٤٤٧٤.

(٢) انظر تفسير سورة الفاتحة ص : ٨ ، ٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب تفسير القرآن – باب ما جاء في فاتحة الكتاب : ٦ / ١٧ ، ٤٤٧٤ .

(٤) انظر جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد ابن جرير الطبري : ١ / ١٤٨ .

(٥) قال المحقق : كذا بالأصل، ولعل الصواب: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾.

(٦) تفسير سورة الفاتحة ص : ١٠ .

وأما عن عدد كلماتها، فذكر : أنها خمسٌ وعشرون كلمةً، وأما عدد حروفها فقال إنها : مائةٌ وثلاثة عشر حرفًا([1]) .

وهذا كله يدل على مدى اهتمامه بِعَد آي وكلمات وحروف سور القرآن الكريم، كما اهتم بذلك غيره من العلماء الأجلاء والمفسرين النبلاء، ، فلم يكتفوا بحفظه في سطورهم وصدورهم، بل اهتموا بِعَد آياته وكلماته وحروفه فلم يتفلت منه حرف ولم يُزد فيه حرف .

المطلب الثالث: عنايته بأسمائها :

وهو ما تحدث عنه في الفصل الثالث ويظهر جهده في هذا الشأن فيما يلي :

أولاً : عـدَّد لها سبعة عشر اسماً واستدل على كثير من هذه الأسماء بما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخرَّجه من مصادره الحديثية، وبعضها بما ورد عن الصحابة والتابعين وغيرهم، والبعض الآخر لم ينسبه لقائله .

ثانياً : لم يكتف بمجرد ذكر اسم السورة بل عدد في الغالب أقوال العلماء في سبب التسمية سواء ما أورده عن الصحابة والتابعين في ذلك، أو ما ذكره هو، أو ما نقله عن غيره من أصحاب كتب التفسير :

اقرأ مثلاً ما أورده في تسميتها بفاتحة الكتاب والسبب في ذلك حيث قال : أحدُها: فاتحةُ الكتابِ، ففي «الصَّحيحين» عن عُبادة بنِ الصَّامِت أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»[2]، ثم قال : وإنَّما سُمِّيت «فاتحة الكتاب» لافتتاح سُور القرآن بها كتابةً، وقراءةً في الصلاة، ثم قال : وقيل: سُمِّيت فاتحةً لأنَّ الحمدَ فاتحةُ كلِّ كلامٍ ، وقيل: سُمِّيت فاتحةً لأنَّها أوَّلُ سورةٍ نَزَلَتْ من السَّمَاءِ ، ثم نقل عن الثعلبي([3]) أنه قال : " هي مفتتحة بالآية التي تفتتح بها الأمور تيمناً وتبركاً وهي التسمية " ([4]) .

وما أورده في تسميتها بأم الكتاب والسبب في ذلك حيث قال في معرض حديثه عن الاسم الثاني لها : أم الكتاب، ففي «المسند»([5]) و«سنن ابن ماجه»([6]) عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة – باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها : ١ / ١٥١، حديث رقم : ٧٥٦ ، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة – باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة : ١ / ٢٩٤ ، حديث رقم : ٣٩٤ .

(٣) انظر الكشف والبيان ص : ١ / ١٢٦ .

(٤) تفسير سورة الفاتحة : ١٣ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٢ / ٣٥ ، حديث رقم : ٢٥٠٩٩ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : صحيح لغيره .

(٦) سنن ابن ماجة – كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها – باب القراءة خلف الإمام : ١ / ٢٧٤ ، حديث رقم : ٨٤٠ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح وضعيف سنن ابن ماجة : ٢ / ٤١٢، حديث رقم : ٨٤٠ .

يقولُ: «مَنْ صَلَّى صلاةً لم يَقْرَأ فيها بأمِّ الكتابِ فهي خِدَاجٌ(١) »...."(٢) .

وفي «سنن أبي داود»(٣) من حديث أبي هريرة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أمُّ القرآن، وأمُّ الكتاب، والسَّبعُ المثاني» ، وقد سمَّاها ابنُ عبَّاسٍ وغيرُه: أمَّ الكتاب، .....ثم قال : وقد اختلف في معنى تسميتها بأمِّ الكتاب، فقيل: لأنَّها تتقدم على بقيَّة سُورِ الكتاب في الخطِّ، فهي تؤمُّ السور بتقدمها عليها، فالكتاب كله راجع إلى معانيها، فهي كالأصل له، كما سُمِّيت مكَّة أمّ القرى، لأن البلدان دُحِيت من تحتها، وقيل: أصالتها من حيث أنَّها محكمةٌ لم يتطرَّق إليها نسخٌ، من قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران:٧) ، وقيل غير ذلك، والله أعلم (٤) .

واقرأ أيضاً ما أورده في الاسم الثاني عشر لها : حيث قال : رُوي عن الشَّعبيّ أنَّه سمَّاها «الأساس»، وأنَّه قال: سمعتُ ابنَ عبَّاسٍ يقول: أساسُ الكُتُبِ القرآن، وأساسُ القرآن الفاتحة، وأساسُ الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم، ثم قال : ولم نقف على إسناد ، ثم نقل عن الرازي(٥) أنه قال في سبب تسميتها بذلك : وسُمِّيت أساسًا لوجهين: أحدُهما: أنَّها أوّلُ سورةٍ من القرآن، فهي كالأساس، والثاني: أن أشرف العبادات بعد الإيمان هو الصلاة وهذه السورة مشتملة على ما لا بد منه في الإيمان، والصلاة لا تتم إلا بها ...."(٦).

ثالثاً : رده على من أنكر أو كره بعض الأسماء الواردة فيها :

فقد نقل عن الحسن أنه أنكر تسميتها بأم الكتاب وعلل ذلك بقوله : إن أمُّ الكتاب الحلال والحرام ، يشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (آل عمران:٧) ، ثم قال ابن رجب : وربما وُجِّه بأنَّ أمَّ الكتاب هو اللوحُ المحفوظ، كما في قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾(الرعد:٣) ، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف:٤)، وهذا لا يدلُّ على مَنْعِ تسمية الفاتحة بذلك " (٧) .

ونقل عن ابنُ سيرين أنه كره تسميتها بأمِّ القرآن، ثم رد عليه بأن هذا : محجوجٌ بما ذكرنا (٨) إشارة منه إلى ما نقله عن الإمام مسلم بسنده عن عُبادة أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا صلاة لمن لم يقرأ بأمِّ القرآن» (٩).

---

(١) أي ناقصة ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير : ٢ / ١٢ .

(٢) تفسير سورة الفاتحة ص : ١٣ .

(٣) سنن أبي داود : ٢ / ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، حديث رقم : ١٤٥٦ ، وقال المحقق : (شعَيب الأرنؤوط) : إسناده صحيح.

(٤) تفسير سورة الفاتحة ، ص : ١٣ ، ١٤ .

(٥) انظر مفاتيح الغيب : /١/ ١٤٧ .

(٦) انظر تفسير سورة الفاتحة ص : ١٩ ، ٢٠ .

(٧) تفسير سورة الفاتحة ص : ١٢ .

(٨)المرجع السابق ص : ١٣ .

(٩) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة – باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة : ١ / ٢٩٥ ، حديث رقم : ٣٩٤ .

المطلب الرابع : اهتمامه ببيان فضائلها وخصائصها :

وهو ما تحدث عنه في الفصل الرابع ، وقد قدم حديثه عن فضائلها في هذا الفصل بقوله : " وهذه السُّورة العظيمة لها فضائلٌ وخصائصٌ عديدةٌ، ولم يثبت في فضائلِ شيءٍ من السُّور أكثر مما ثبت في فضلِها، وفضلِ «سورة الإخلاص»، ونذكرُ ما يحضرنا من فضائلِها " ثم عدد هذه الفضائل ،ويتضح اهتمامه وجهده في ذلك فيما يلي :

أولاً : ذكره لكثير من فضائلها وخصائصها حيث ذكر ثماني فضائل وردت فيها ونسب هذه الفضائل إلى قائليها وعزاها إلى مصادرها، وخرجها من كتب الحديث اقرأ مثلاً ما أورده في : الفضيلة الأولى: وهي أنَّها أعظمُ سورةٍ في القرآن ، فقال : ففي «صحيح البخاريّ» عن أبي سعيدٍ بن المُعلَّى قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلِّمك سورةً هي أعظم سورةٍ في القرآن قبل أن تخرجَ من المسجدِ ؟» ، قال: فأخذ بيدي، فلمَّا أرد أن يخرج من المسجد قلتُ: يا رسول الله، إنَّك قلتَ: لأُعلمنَّك أعظم سورة في القرآن. قال: «نعم، الحمدُ لله ربِّ العالمين، هي السبعُ المثاني والقرآن العظيم الذي أُوتيته»[١]..." [٢] .

ثانياً : توجيهه لبعض ما ورد في فضلها من أحاديث وذكر السر في كونها فضلت بهذه الأفضلية :

اقرأ مثلاً ما ذكره في الفضيلة السادسة من فضائل هذه السورة الكريمة حيث أورد : أنَّ سُورةَ الفاتحةِ شفاءٌ من كلِّ داءٍ، فهي شفاءٌ مِن الأمراضِ القلبيَّةِ، وشِفاءٌ من الأسقامِ البدَنيَّة؛ ، ثم قال : وعن أبي سعيدٍ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: « فاتحةُ الكتابِ شفاءٌ من كلِّ داءٍ إلا السَّام»[٣]. والسِّرُّ في ذلك: أنَّ القرآنَ كلَّه شفاءٌ عامٌ، فهو شِفاءٌ لأدْوَاءِ القلوبِ من الجهلِ والشكِّ والرَّيبِ وغيرِ ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ (يونس:٥٧) ، وهو أيضاً شفاءٌ لأدْوَاءِ الأجسامِ، وقد وَصَفَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ بأنَّه شفاءٌ مُطلقٌ في غير موضعٍ، فقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (فصلت:٤٤)، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآَنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ[﴾ (الإسراء: ٨٢) ، و" مِنْ " هُنا لبيانِ الجنسِ، لا للتبعيضِ. وفي «سُنن ابنِ ماجه» من حديث عليٍّ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «خَيرُ الدَّواءِ القرآن»[٤] ، فالقرآنُ كلُّه شفاءٌ، والفاتحةُ أعظمُ سُورةٍ فيه، فلها من خصوصيَّة الشِّفاءِ ما ليس لغيرِها .....إلخ " [٥] ، وهذا كله جهد عظيم يشكر عليه ويحمد له فاللهم ارحمه رحمة واسعة وجزاه خير الجزاء على ما قدمه في خدمة كتاب الله عز وجل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ،كتاب تفسير القرآن – باب ما جاء في فاتحة الكتاب : ٦ / ١٧ ، حديث رقم ٤٤٧٤.

(٢) تفسير سورة الفاتحة ص : ٢١ و راجع باقي هذه الفضائل في ص : ٢١ – ٢٩ .

(٣) سنن الدارمي : ٤ / ٢١٢٢ ، حديث رقم : ٣٤١٣ ، وقال المحقق (حسين الداراني) : إسناده صحيح غير أنه مرسل .

(٤) سنن ابن ماجه ، أبواب الطب– باب الاستشفاء بالقرآن : ٤ / ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، حديث رقم : ٣٥٠١ (٣٥٠١) ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف لضعف الحارث، وهو الأعور.

(٥) راجع تفسير سورة الفاتحة ص :٢٧، ٢٨ .

المطلب الخامس : استنباطه لبعض الأحكام الفقهية التي اشتملت عليها السورة الكريمة :

وهو ما تحدث عنه في الفصل الخامس ، لكنه اقتصر فيه على حكم واحد (١) وهو حكم قراءة الفاتحة في الصلاة ويتمثل اهتمامه وجهده في بيان هذا الحكم فيما يلي :

أولاً : تحريره لأقوال الفقهاء في ذلك، ونسبة كل قول لقائله ولمصدره والتعليق على ما يحتاج إلى تعليق منها

ثانياً : اهتمامه بذكر دليل كل قول وتوجيه هذا الدليل وقد أطال الحديث في ذلك .

اقرأ بعض ما سطره في هذا حيث قال : " فمِن أحكامِها: أنَّ قراءتهَا في الصَّلاة رُكنٌ من أركان الصَّلاةِ، لا تَصِحُّ بدُونِها في الجُملة، وهذا القول أحدُ قولي العلماءِ، وحكاه التِّرمذيُّ عن أكثرِ الصَّحابَةِ، منهم: عمر وجابر وعمران بن حُصَين (٢)، وهو قولُ أكثرِ السَّلفِ وفقهاءِ أهلِ الحجازِ وأهلِ الحديثِ كابنِ عَونٍ وابنِ المباركِ والأوزاعيِّ والشافعيِّ وإسحاقَ وأبي ثورٍ وداودَ، وغيرِهم، وهو الصَّحيحُ عن مالكٍ، وهو مَذهَبُ الإمامِ أحمدَ الذي نقلَه معظمُ أصحابِه الرُّواة عنه، وعليه أهلُ مَذهبِه قاطبةً، والقولُ الثاني: أنَّها ليست من فرُوض الصَّلاةِ، بل تجزئُ قراءةُ غيرِها في الجُملة، وهذا قولُ طائفةٍ من فقهاءِ العراق، ثم اختلفوا في القدرِ المجزئ مِن القراءةِ .... وقد حرر اختلافهم هذا وأورد أقوالهم ونسب كل قول لقائله ومصدره وحجة كل صاحب قول وعلق على بعضها (٣) .

ثالثاً: ترجيحه بين الأقوال بالحجة والدليل، وتوجيه دليل الترجيح، فقد رجح في ذلك قول الجمهور فقال : " والصَّحيحُ قولُ جُمهورِ العلماءِ، وهو: تعيين الفاتحة للصَّلاةِ دُونَ غيرِها، " والدَّليلُ عليه: ما ثبتَ عن عُبادةَ بنِ الصَّامتِ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لا صَلاة لمن لم يقرأ بفاتحةِ الكتابِ»، وفي لفظٍ: «بأمِّ القُرآنِ» (٤) ، ثم وجه هذا الدليل فقال : وتوجيهُ الدّلالة من هذا النصّ يحتاجُ إلى تقريرِ مُقدّمة، وهي: أنَّ الحقائقَ المنفيَّة نوعان: أحدُهما: أن تكون لغويَّةً، ولا غرضَ لنا الآن في ذِكر هذا النوع وحُكمِه، والثاني: أن تكون شرعيَّةً، كالصَّلاةِ وَالصِّيَامِ، ونحوِهما، وهو المقصودُ هاهنا بالذِّكر، فهذا إذا دخلَ عليه النَّفيُ لم يَكن مجمَلاً عندَ جمهورِ الفُقهاء، ثم شرح وفصل هذه الحقيقة المنفية وعدد أقوال العلماء في المراد بالنفي الشرعي في هذا الحديث ثم رجح أن المراد به نفي كمال الواجبات لا نفي كمال المستحبات ..." (٥).

هذا ما أفرده بالحديث عن بعض الأحكام التي تتعلق بها وفي معرض حديثه عن الفضيلة السادسة

---

(١) يقول المحقق لم يُذكر هنا إلا حكم واحد من أحكام الفاتحة، فالذي يبدو – والله أعلم – أنه قد وقع هنا خرم، وقد سبق في مقدمة التحقيق ذكر بعض النقول عن هذا الكتاب، ومنها ما يتعلق بأحكام الفاتحة تفسير سورة الفاتحة ص : ٣٦ في الهامش .

(٢)سنن الترمذي : ٣٣٠/١ ، رقم :٢٤٧ .

(٣) راجع تفسير سورة الفاتحة ص : ٣١– ٣٦ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) راجع تفسير سورة الفاتحة ص : ٢٤ .

لهذه السورة الكريمة وهي أنها شفاء من كل داء أورد حكماً آخر يتعلق بها وبغيرها من آيات وسور القرآن وهو جواز الرقي بالقرآن ووجه ما ورد في النهي عن الرقية فقال :

" ويتعلَّقُ بهذا مَسألةُ الرُّقا بالقرآن، وهو جائزٌ، وأمَّا حديث: «الرُّقا والتمائم شِركٌ»(١) ، ففيه جَوابَانِ:

أحدُهما: نسخُه، وإنَّما كان ذلك في أوَّل الأمر، لأنَّ الرُّقا مَظنَّة الشِّرك، فعُلِّق الحُكم بالمظنَّة، ثم عُلِّق بالحقيقة، لا سيَّما وكان في أوَّلِ الأمر القصدُ حَسم مَادة الشِّرك بالكليَّة، كما نُهي عن الشُّربِ في الظُّروفِ لأنَّها مَظنَّةُ السُّكْرِ، ثم رُخِّص فيها. والثاني: أن يُحْمَل ذلك على ما هو شِركٌ في نفسِه، وهو أظهر، وقد كره أحمدُ تعليقَ التَّمائِم قبلَ نزولِ البَلاءِ دون ما بعدَه والله أعلم(٢).

المطلب السادس : بيانه لبعض مقاصدها :

ما من سورة من سور القرآن الكريم إلا ولها أهداف ومقاصد ومحاور كثيرة وعظيمة تدور حولها السورة ، منها ما يكون ظاهراً يتوصل إليه القارئ بيسر وسهولة ومنها ما يحتاج إلى تدبر وإمعان نظر وفكر ، ومعرفة هذا أمر مهم؛ لذا فقد اهتم ابن رجب بهذا الشأن وله جهد عظيم في بيان بعض مقاصد هذه السورة العظيمة ، سواء ما ذكره هو أو ما نقله عن غيره ، فقد فصل القول في أربعة مقاصد لهذه السورة الكريمة لم يقصدها قصداً بل تحدث عنها في أثناء حديثه عن أسمائها، أختصرها فيما يلي :

١- أنها تضمَّنت التَّعريف بالرَّبِّ سبحانه بثلاثة أسماءٍ ترجعُ سائرُ الأسماءِ إليها، وهي: (اللهُ) وَ(الرَّبُّ) و(الرَّحمنُ) .

٢- أنها تضمَّنت توحيدَ الألوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ بقولهِ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

٣.- أنها تضمَّنت أيضًا: إثباتَ النُّبُوَةِ والمعادِ، أمَّا المعادُ: فمن ذِكْرِ يومِ الدِّين، وهو يومُ الجزَاءِ بالأعمال، وأمَّا النبُوَّةُ: فمِن ذِكْرِ تقسيم الخلق إلى ثلاثةِ أقسامٍ، وإنَّما انقسمُوا هذه القِسْمَة بحسبِ النُّبوَّاتِ ومَعرفتِهم بها ومُتابعتهم لها فهذا قولٌ مختصرٌ يُبيِّنُ تضمَّن سُورةَ الفاتحةِ لجميعِ أصُولِ مقاصدِ الرِّسالةِ، والكتبِ المنزَّلة مِنَ السَّماءِ..(٣).

٤- أنها اشتملت على معرفةِ الأصول والفروع والمكاشفات، فهي في الحقيقة شفاءٌ، بل الشفاءُ في هذه المقامات الثلاثة نقله عن الرازي (٤) ...(١) .

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك، كتاب الرقى والتمائم : ٤ / ٤٦٣ ، حديث رقم : ٨٢٩٠ ، وقال : صحيح الإسناد على شرط الشيخين، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) تفسير سورة الفاتحة ص : ٢٧، ٢٨ .

(٣) انظر تفسير سورة الفاتحة ص : ٢٦ ،٢٧ .

(٤) مفاتيح الغيب للرازي : ١ / ١٥٩ .

المطلب السابع : تفسيره لبعض ألفاظها وطريقته في ذلك :

لقد اهتم ابن رجب الحنبلي بتفسير بعض ألفاظ سورة الفاتحة، لكن يلاحظ أنه لم يرد في كتابه هذا إلا تفسير لفظ واحد وهو لفظ " الحمد" مع أنه قد عنون بفصل كامل على تفسير مفردات قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فقال : " فصلٌ في الكلامِ على قولِه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثم قال وينحصرُ في أربعةِ فصُولٍ: الفصل الأول: في الحمد. والثَّاني: في اسم الله الأعظم. والثَّالث: في الربِّ. والرَّابعُ: في العالمين " (٢) ، لكن لم أجد في مؤلفه هذا سوى فصل واحد فقط وهو المتعلق بتفسير " الحمد " أما باقي الفصول في بيان مفردات هذه الآية، وباقي الفصول في تفسير مفردات باقي الآيات فغير موجودة في النسخة المطبوعة فلعلها فقدت من المخطوطة (٣) ومع ذلك نجد أن له جهداً ظاهراً في تفسير هذا اللفظ يتضح فيما يلي :

أولاً : ذِكره لأقوال العلماء في المراد بالحمد ونسبة كل قول لقائله ومصدره ، مقدماً المشهور منها وهو : القول بأن معناه الثناء بمحاسن المحمود (٤).

ثانياً : اهتمامه بذكر الفروق اللغوية بين هذا اللفظ وغيره من الألفاظ الأخرى فقد ذكر الفرق بينه وبين الثناء وبينه وبين المدح وبينه وبين الشكر وأطنب في ذلك ورد بعض الفروق ، من ذلك قوله : وفُرِّق بين المدح والحمد بوجوه:

أحدها: أنَّ الحمدَ لا يكون إلا للحيِّ، والمدحُ يكون للحيِّ والميِّت.

والثاني: أنَّ الحمدَ لا يكونُ إلا بعدَ تقدُّم الإحسان، والمدح يكون قبله، وهذا ضعيفٌ، فإنَّ الله يحمد نفسَه.

والثَّالث: أنَّ المدحَ لا يَكونُ إلاَّ باللسان، والحمدُ يكونُ بالقلبِ بناءً على أنَّه الرِّضَا كما سيأتي، ذَكرَهُ العِمَّانيُّ وفيه نظرٌ.

والرَّابع: أنَّ قولَك: مدحتُ زيدًا، لا يصدق بدُون سابقة مَدحٍ، بخلافِ قولِك: الحمدُ لله، فإنَّ هذا خبرٌ يَحصُلُ به إنشاءُ الحمدِ، ففيه معنى الخبر ومعنى الإنشاءِ.

---

(١) تفسير سورة الفاتحة ص : ١٨ .

(٢) تفسير سورة الفاتحة : ٣٨ .

(٣) يقول المحقق : وقد وجدت في النسخة بياضات كثيرة في أثنائها، ويبدو –والله أعلم– أن أماكن هذه البياضات مما احترق منها، فلعل مراد الناسخ بقوله في العبارة الأولى: «فكتبنا ما وجدنا منها» أي: مما لم يحترق من وسط الكتاب، وأما آخر الرسالة فلعل الناسخ أرجأ كتابته إلى وقت آخر كما تفيده عبارته الأخيرة، فنسأل الله – عز وجل – أن يوفق للوقوف على ما تتم به هذه الرسالة كما وفق للوقوف على أولها، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، انظر تفسير سورة الفاتحة (مقدمة المحقق) ، ص : ٢.

(٤) تفسير سورة الفاتحة ص : ٣٩ .

والخامسُ: أنَّ الحمدَ: الإخبارُ بمحاسن المحمُودِ معَ المحبَّةِ لها والرِّضا بها، والمدحُ: الإخبارُ بمحاسنِه فقط. قاله أبو عَبد الله بن القيِّم([1]) .." ([2]) .

ثالثاً : طرحه لإشكال وأسئلة حول الحمد لله وإزالته للإشكال وإجابته عن الأسئلة :

هذا هو الإشكال وأجوبته حيث قال : " فإن قيل: فإذا كان الحمدُ كلُّهُ لله، فكيفَ يُحمد غيرُه من خلقه، والنبيُّ ﷺ: " محمَّد" ، وهو مُفعّل مِنَ الحمد ؟ قيل: عنه ثلاثة أجوبة: أحدُها: أنَّ الحمدَ كلَّه لله، بمعنى: أنَّه هُوَ المستحِقُ للحمد، وهو الحامد لما يَشاءُ مِن خَلْقِه، فلا يُحمد إلا من حَمِدَهُ هو، فحمدُ بعضِ مخلوقاتِه إنما هو بحمدِه له، فلا يخرجُ ذلك كون الحمد كلّه له، لكن تارةً باعتبار أنَّه يُحمد، وتارةً باعتبار أنه يَحمد. والثَّاني: أنَّ كون الحمد كلّه له لا يُنافي أن يحمد غيرُه من خَلْقِه ببعضِ أنواع الحمد. والثَّالث: أنَّ حمد غيرِه بالنِّسبة إلى حمدِه [كلاهما حمد له] ، فلذلك حُصِرَ الحمدُ في حقِّه سُبحانه، فصَارَ الحمدُ كلُّهُ له.

ومن الأسئلة : " وهل يختصُّ الحمدُ بلفظ الحمد، أو يكونُ بأعمّ منه ؟ فيه خلاف، الصحيحُ عمُومُه والتحقيقُ: أنَّ الحمدَ: هو ارتضاء صفاتِ المحمُودِ الحسنة والإخبارُ عنها باللسان، فهو إذًا: الإخبارُ بمحاسن المحمود مع المحبَّة لها والرِّضا بها([3]) .

رابعاً : تحريره لأقوال العلماء في نوع أل في الحمد والتعليق عليها والترجيح بينها بالأدلة :

حيث ذكر ثلاثة أقوال في ذلك سكت عن الأول وهو أنها للعهد وضعف الثاني وهو أنها للجنس وصحح الثالث وهو أنها للاستغراق ، واستدل عليه بما ورد في الأثر : " «اللهمّ لك الحمدُ كلُّه»([4]) ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : «لا أُحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيتَ على نفسك»([5])... " ([6]) .

خامساً : ذكره لبعض الفوائد المتعلقة بالحمد لله : منها : أن الحمدُ لله ثمانيةُ أحرُف، وأبوابُ الجنَّةِ ثمانية، فمَن قال هذه الثمانية عن صَفاءِ قلبه استحقَ ثمانيةَ أبواب الجنَّة " ([7]).

هذا وإتماماً للفائدة فقد اهتم ابن رجب الحنبلي في أثناء حديثه عن تفسير هذه السورة الكريمة بموضوعات مهمة تتعلق بعلوم القرآن، وبذل فيها جهداً كبيراً وهي :

---

(١) انظر بدائع الفوائد : ٢ / ٩٣ – ٩٦ .

(٢) تفسير سورة الفاتحة ص : ٣٩ – ٤٠ .

(٣) تفسير سورة الفاتحة ص : ٣٩ .

(٤) جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد في المسند موقوفاً : ٢٤ / ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، حديث رقم : ١٥٤٩٢ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : رجاله ثقات ، ورواه أيضاً مرفوعاً : ٣٨ / ٣٧٨ ، برقم : ٢٣٣٥٥ ، وقال المحقق : إسناده ضعيف .

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة – باب ما يقال في الركوع والسجود : ١ / ٣٥٢ ، برقم : ٤٨٦ .

(٦) تفسير سورة الفاتحة ص : ٤٠ .

(٧) تفسير سورة الفاتحة ص : ٤٣ .

١- أول ما نزل من القرآن الكريم فقد عدَّد أقوال العلماء في ذلك ورجح أن أول ما نزل هو سورة اقرأ ([١]) .

٢- تعرض لتقسيم القرآن الكريم إلى قسمين وهما : أحدُهما: ما كُرِّر لفظُه لفائدةٍ مجدَّدةٍ، فهذا هو المتشابه.

والثاني: ما نُوِّع وقُسِم ولم يُكرّر لفظُه، فهذا المثاني. ثم قال : وقد جَمَعَ اللهُ بين هذين الوصفين في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ﴾(الزمر:٢٣) ، فوصف الكتاب كلَّه بأنَّه متشابهٌ ومثاني، فإمَّا أن يكون تنويعًا إلى هذين النوعين، وهما: النظائر المتماثلة، والمثاني في الأنواع؛ وإمَّا أن يكون المراد أنَّ آياته المتماثلة ثُنِّيَتْ فيه في مواضع لحِكَمٍ وفوائد([٢]).

٣- وتعرض – أيضاً – إلى تقسيم القرآن الكريم إلى السبع الطُوَل، والمئين، والمثاني، والمفصّل، وذكر سور كل قسم منها ([٣]) .

٤- اهتم أيضاً بمسألة ترتيب سور القرآن الكريم هل هو توقيفي أم اجتهادي ؟ فحكى القولين في ذلك الأول : أن ترتيب سُور القرآن منصوصٌ عليه كترتيب الآيات إجماعًا . الثاني : عن جمهور العلماء منهم المالكية والشافعية – أن ترتيب سور القرآن الكريم بالاجتهاد من الصحابة، لكنه لم يرجح أحدهما على الآخر ([٤]).

٥- واهتم كذلك بمسألة تفضيل بعض القرآن الكريم على بعض، فحكى قولين في ذلك ووجهة نظر أصحاب القولين، ثم رجح القول بجواز ذلك لدلالة النصوص الصحيحة عليه ([٥]) .

وهذا كله سواء ما بذله في تفسير القرآن الكريم، أو فيما يتعلق بعلوم القرآن جهد عظيم يشكر عليه فجزاه الله خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته ورحمه الله رحمة واسعة .

وكنا نتمنى أن نعثر على باقي تفسير هذه السورة الكريمة حتى نستفيد من مثل هذه الدرر التي وقفنا عليها من تفسيره للحمد .

هذا وقد تعرض ابن رجب الحنبلي لتفسير بعض ألفاظ وآيات هذه السورة الكريمة في كتب ورسائل أخرى ككتاب " جامع العلوم والحكم " ، و رسالة " شرح حديث مثل الإسلام " ([٦])، لكن ليس بهذه الطريقة التي نهجها في تفسيره للحمد – التي أظن أنه لم يسبق إليها – فقد فسر قوله تعالى : { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } (الفاتحة/٥)، وأطنب في الحديث عن الاستعانة وأسبابها وأضرار ترك الاستعانة بالله –عز وجل

---

(١) انظر تفسير سورة الفاتحة ص : ٩ .

(٢) تفسير سورة الفاتحة ص : ١٥ .

(٣) تفسير سورة الفاتحة ص : ١٦ .

(٤) انظر تفسير الفاتحة ص : ١١ .

(٥) تفسير سورة الفاتحة : ص : ٢٣ .

(٦)

– والاستعانة بغيره ([1]) وفسر قوله تعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ }(الفاتحة: ٦ ، ٧) بما ورد في تفسيرها من آيات الذكر الحكيم، فنقل تفسير الصراط بالكتاب أو الإسلام ثم أورد قوله تعالى : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } (المائدة: ١٥ ، ١٦) ، وقوله تعالى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (الأنعام/١٥٣) ، وأشار إلى تفسير قوله تعالى : { الَّذِينَ أَنْعَمْتَ } بقوله تعالى : { وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا } (النساء آية : ٦٩) وهو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن وقد اهتم كثيراً بهذا النوع – كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى – وفسر: { الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ } بكل من سلك طريقاً غير الطريق المستقيم عمداً كاليهود والمشركين و{ الضَّالِّينَ } بكل ضال عن الصراط المستقيم جهلاً فقال : " وقد وصف الله الصراط بأنه : { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ }، ثم سمَّى الذينَ أنعمَ عليهم في سُورةِ النساءِ ، وجعلَهُم أربعةَ أصنافٍ : النبيينَ والصِّديقينَ والشُّهداءَ والصالحينَ ، فدلَّ على أنَّ هؤلاءِ كلَّهُم علَى هذا الصراطِ المستقيم ، فلا يخرجُ عنهُم إلا : إمَّا مغضوبٌ عليهِ ، وهو من عَرفَ الصراطَ وسلكَ غيرَهُ عمْدًا كاليهودِ والمشركينَ ، وإمَّا ضالّ جاهل يسلكُ غيرَ الصراطِ جَهْلاً ، ويظنُّ أنَّه الصراطُ " ([2]) والله أعلم .

المبحث الثاني : جهوده في رسالته المسماة : الكلام على قوله تعالى :

" إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨)

وهي رسالة قيمة تعد من قبيل التفسير التحليلي الموضوعي معاً لهذه الآية الكريمة وقد اشتملت على كثير من الفوائد والدرر المتعلقة بها وهي مطبوعة في أربعين صحيفة ضمن كتاب : مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي جمع ودراسة ، لأبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني في نهاية الجزء الثاني منه

وقد قسمها ابن رجب إلى ثلاثة فصول بلا عناوين، لكنه ذكر تحت الفصل الأول ما دلت عليه الآية الكريمة وبعض لطائفها ، وتحت الفصل الثاني تفسير السلف لها ، وذكر بعض ما يتفق مع معنى هذه الآية من آيات أخر ووجوه كون العلم يوجب الخشية، وفي الفصل الثالث ذكر فيه استلزام العلم للخشية وملازمة الخشية للعلم .

هذا ويظهر جهد ابن رجب في تفسير هذه الآية الكريمة في المطالب الآتية :

المطلب الأول : اهتمامه بما دلت عليه الآية الكريمة من فوائد وتحرير أقوال المفسرين في ذلك والترجيح

---

(١) راجع جامع العلوم والحكم ص : ٣٥٨ – ٣٦٢ .

(٢) انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي لأبي مصعب طلعت الحلواني : ١ / ١٩١ رسالة : " شرح حديث مثل لإسلام " .

بينها وهو ما جاء في الفصل الأول من هذه الفصول :

حيث قال في مفتتح حديثه عن هذه الآية : " دلت هذه الآية على إثبات الخشية للعلماء بالاتفاق وعلى نفيها عن غيرهم على أصح القولين وعلى نفي العلم عن غير أهل الخشية أيضاً " ثم قال : أما الأول فلا ريب فيه فإن صيغة " إنما" تقتضي تأكيد ثبوت المذكور بالاتفاق لأن خصوصية " إنَّ " إفادة التأكيد وأما " ما " فالجمهور على أنها : " كأن " ثم قال جمهور النحاة هي الزائدة التي تدخل على : [إن، وأن، وليت، و لعل، وكأن] فتكفها عن العمل، " (١) ، وأما دلالة الآية على الثاني وهو نفي الخشية عن غير العلماء فمن صيغة " إنما " على قول جمهور الناس أن " إنَّ " ، للتأكيد وأن " ما " هي الكافة ، فنقول : إذا دخلت " ما " الكافة على " إنَّ " أفادت الحصر ، هذا هو الصحيح ، وقد حكاه بعض العلماء عن جمهور الناس وهو قول أصحابنا كالقاضي ، وابن عقيل ، والحلواني ، والشيخ موفق الدين وفخر الدين إسماعيل بن على – صاحب ابن المني – وهو قول أكثر الشافعية ، وطائفة من الحنفية، وكثير من المتكلمين وكثير من النحاة وغيرهم بل حكاه أبو علي كما ذكره الرازي عن النحاة جملة ..، ثم حرر أقوال العلماء في دلالتها على النفي هل هو بطريق المنطوق أم بطريق المفهوم؟ ثم صوب أنها بطريق المفهوم ....) (٢) ، " وأما دلالة الآية على الثالث وهو نفي العلم عن غير أهل الخشية فمن جهة الحصر أيضاً فإن الحصر المعروف المطرد هو حصر الأول في الثاني وهو هنا حصر الخشية في العلماء وأما حصر الثاني في الأول فقد ذكره الشيخ أبو العباس ابن تيمية (٣) – رحمه الله – وأنه يكون مراداً أيضاً فيصير الحصر من الطرفين ويكونان متلازمين ومثل ذلك { إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ } (يس : ١١) {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا } (النازعات : ٤٥) { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ } (السجدة : ١٥ ، ١٦) قال وكذلك الحصر في الآية أعني قوله : { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } (فاطر : ٢٨) فيقتضي أن كل من خشي الله فهو عالم أو يقتضي حال من يخشى الله.....ثم شرح قول ابن تيمية " (٤) .

المطلب الثاني : عنايته بذكر بعض اللطائف المتعلقة بالآية الكريمة وهو مما أورده في الفصل الأول أيضاً :

فقد ذكر لطيفة في هذه الآية وصفها بأنها حسنة فقال : " وها هنا نكة حسنة وهي أن قوله تعالى : "

---

(١) مجوع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢ / ٧٧١ ، رسالة " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨).

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢/ ٧٧٢ – ٧٧٥ ،" إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨) ، بتصرف .

(٣) انظر مجموع الفتاوى : ١٤ / ٢٨٣ ، " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨).

(٤) انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٢ / ٧٨٣ ، ٧٨٥، رسالة ، رسالة " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨).

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " قد علم أنه يقتضي ثبوت الخشية للعلماء، لكن هل يقتضي ثبوتها لجنس العلماء ، كما يقال : إنما يحج أو لا يحج إلا مسلم ، فيقتضي ثبوت الحج لجنس المسلمين لا لكل فرد منهم ؟ أو يقتضي ثبوت الخشية لكل واحد من العلماء ؟ هذا الثاني هو الصحيح وتقريره من جهتين :

الجهة الأولى : أن الحصر هاهنا من الطرفين حصر الأول في الثاني وحصر الثاني في الأول فحصر الخشية في العلماء يفيد أن كل ما خشي الله فهو عالم ، وإن لم يُفِد بمجرده أن كل عالم فهو يخشى الله ، ويفيد أن من لا يخشى فليس بعالم ، وحصر العلماء في أهل الخشية يفيد أن كل عالم خاشٍ ، فاجتمع من مجموع الحصرين ثبوت الخشية لكل فرد من أفراد العلماء .

والجهة الثانية : أن المحصور هل هو مقتض للمحصور فيه أو هو شرط له؟ ثم نقل عن ابن تيمية"([1]) أنها في هذه الآية وأمثالها هو مقتض فهو عام فإن العلم بما أنذرت به الرسل يوجب الخوف ....."([2]).

المطلب الثالث : اهتمامه بنقل أقوال السلف – رضي الله عنهم – في تفسيرها :

فقد نقل ابن رجب أقوال المفسرين من السلف – رضي الله عنهم – في تفسير هذه الآية الكريمة واستشهد على هذه الأقوال ببعض آيات الذكر الحكيم وهو ما استعرضه في الفصل الثاني :

حيث أورد عن علماء السلف آثاراً عديدة وأقوالاً كثيرة في تفسيرها وما يتعلق بها وهي أقوال متوافقة وليست متناقضة : منها ما أورده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في تفسيرها : " يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتى وعزتي وجلالي وسلطاني " وعن ابن مسعود أنه قال : " كفى بخشية الله علماً ، وكفى بالاغترار بالله جهلاً " وعن الربيع بن أنس أنه قال : " من لم يخش الله فليس بعالم ... وعن الربيع بن أنس أيضاً أنه قال " علامة العلم خشية الله – عز وجل " وعن مسروق أنه قال : " كفى بالمرء علماً أن يخشى الله – عز وجل – وكفى به جهلاً أن يعجب بعمله " ([3]) ، ثم عدد أقوالاً وآثاراً أخرى عن كثير من السلف في تفسير الآية الكريمة وفي العلم والخشية منها : أن رجلاً قال للشعبي: أفتني أيها العالم، فقال: " إنما العالم من يخاف الله" ، وعن الربيع بن أنس، عن بعض أصحابه قال: "علامة العلم خشية الله عز وجل" ، وسئل سعد بن إبراهيم: من أفقه أهل المدينة؟ قال: "أتقاهم لربه"... ثم قال ويشهد لهذا قوله : {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ }(الزمر/٩). وكذلك قوله : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}(النساء/١٧) ، وقوله : { أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (الأنعام/٥٤). وقوله : {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ

---

(١) مجموع الفتاوى : ٨ / ٢٠٤ .

(٢) راجع مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٢ / ٧٨٥ .

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٢ / ٧٨٦ ، ٧٨٧ .

تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ}(النحل/١١٩) ، " ثم نقل عن أبي العالية أنه قال سألت أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن هذه {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}(النساء/١٧) ، فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل وكل من تاب قبل الموت فقد تاب من قريب .. " ثم نقل عن قتادة أنه قال : " أجمع أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أن كل من عصى ربه ، فهو بجهالة عمداً كان أو لم يكن ، وكل من عصى الله فهو جاهل " (١).

المطلب الرابع : اهتمامه ببيان أوجه كون العلم يوجب الخشية:

وهو ما أورده في الفصل الثاني – أيضاً – وقد عـدَّد في ذلك سبعة أوجه واستدل عليها بآيات من القرآن الكريم و بأحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وبما ورد عن السلف في ذلك منها :

١– أن العلم بالله – تعالى – وما له من الأسماء والصفات كالكبرياء والعظمة والجبروت والعزة وغير ذلك يوجب خشيته ، وعدم ذلك يستلزم فقد هذه الخشية وبهذا فسر ابن عباس – رضي الله عنهما – فقال : " يريد إنما يخافني من علم جبروتى وعزتي وجلالي وسلطاني " وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً " (٢)..(٣).

٢– أن العلم بتفاصيل أمر الله ونهيه والتصديق الجازم بذلك وبما يترتب عليه من الوعد والوعيد ، والثواب والعقاب مع تيقن مراقبة الله واطلاعه ومشاهدته ، ومقته لعاصيه ، وحضور الكرام الكاتبين كل هذا يوجب الخشية ، وفعل المأمور وترك المحظور ، وإنما يمنع الخشية ويوجب الوقوع في المحظورات الغفلة عن استحضار هذه الأمور والغفلة من أضداد العلم ، والغفلة والشهوة أصل الشر قال تعالى : { وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا } (الكهف: ٢٨) ...." (٤).

٣– أن كثيراً من الذنوب قد يكون سبب وقوعه جهل فاعله بحقيقة قبحه وبغض الله له ، وتفاصيل الوعيد عليه ، وإن كان عالماً بأصل تحريمه وقبحه ، لكنه يكون جاهلاً بما ورد فيه من التغليظ والتشديد ونهاية القبح ، فجهله بذلك هو الذي جرأه عليه وأوقعه فيه ، ولو كان عالماً بحقيقة قبحه لأوجب ذلك العلم تركه خشية من عقابه (٥) .

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٢ / ٧٨٧ ، ٧٨٨ .

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الكسوف – باب الصدقة في الكسوف : ٢ / ٣٤ ، حديث رقم : ١٠٤٤ ، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف– باب صلاة الكسوف : ٢ / ٦١٨ ، حديث رقم : ٩٠١.

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٢ / ٧٨٩.

(٤) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٢ / ٧٩١ .

(٥) المرجع السابق : ٢/ ٧٩٣.

المطلب الخامس : بيانه لوجه كون العلم يستلزم الخشية والخشية ملازمة للعلم :

وهذا ما ذكره في الفصل الثالث وهو تتمة لما أورده في الفصل السابق من وجوه كون العلم موجب للخشية، وذكر نماذج ممن ازدادوا علماً فازدادوا خشية لله عز وجل :

حيث قال بعد أن عدَّد وجوه كون العلم يوجب الخشية : " إذا تبين هذا فقد عُلم أن العلم يستلزم الخشية من هذه الوجوه كلها لكن على الوجه الأول : يستلزم الخشية : العلم بالله بجلاله وعظمته وهو الذي فسر الآية به جماعة من السلف كما تقدم .

وعلى الوجوه الأُخر : تكون الخشية ملازمة للعلم بأوامر الله ونواهيه وأحكامه وشرائعه وأسرار دينه وشرعه وخلقه وقدره ، ولا تنافي بين هذا العلم والعلم بالله فإنهما قد يجتمعان وقد ينفرد أحدهما عن الآخر " (١) ، ثم قال : " وأكمل الأحوال اجتماعها جميعاً ، وهي حالة الأنبياء – عليهم السلام – وخواص الصديقين ومتى اجتمعا كانت الخشية حاصلة من تلك الوجوه كلها، وإن انفرد أحدها حصل من الخشية بحيث ما حصل من ذلك العلم، والعلماء الكُمَّل أولوا العلم في الحقيقة الذين جمعوا الأمرين " (٢).

ثم قال – أيضاً – مبيناً وجه انتفاء العلم إذا انتفت الخشية : " وأما بيان أن انتفاء الخشية ينتفي معه العلم فإن العلم له موجب ومقتضى، وهو اتباعه والاهتداء به وضده الجهل، فإذا انتفت فائدته ومقتضاه صار حاله كحاله عند عدمه وهو الجهل ، وقد تقدم أن الذنوب إنما تقع عن جهالة وبينا دلالة القرآن على ذلك وتفسير السلف له بذلك فيلزم حينئذٍ أن ينتفي ويثبت الجهل عند انتفاء فائدة العلم ومقتضاه وهو اتباعه ومن هذا الباب قوله تعالى : { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } (الفرقان آية : ٦٣) ..." (٣).

وبعد : فهذا هو بيان لجهد هذا العالم الجليل في هذه الرسالة الصغيرة الحجم العجيبة الصياغة العظيمة الفائدة ، هذا وإن دل على شيء فإنما يدل على أنه كان ذا علم غزير وعقل حصيف وفكر سديد لا يألوا جهداً في خدمة كتاب الله – تعالى فرحمه الله رحمة واسعة .

المبحث الثالث : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة النصر

تتضح جهود ابن رجب في تفسير هذه الكريمة في المطالب الآتية :

المطلب الأول : اهتمامه ببيان موضع ووقت نزولها (٤) :

---

(١)مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢ / ٨٠٨ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) المرجع السابق : ٢ / ٨٠٩ .

(٤) أورد ابن رجب الحنبلي حديثاً ضعيفاً في فضل هذه السورة الكريمة فلم نذكر جهوده في بيان فضل هذه السورة الكريمة لضعف ما أورده في ذلك .

اهتم ابن رجب الحنبلي بذكر موضع ووقت نزول هذه السورة ويظهر اهتمامه بذلك فيما يلي :

أولاً : حكايته لاتفاق العلماء في مدينتها كلها .
ثالثاً : ذكره لاختلاف العلماء في وقت نزولها وذكر الدليل والحكم عليه والترجيح بعد ذلك .

حيث قال : " هي مدنية بالاتفاق؛ بمعنى: أنها نزلت بعد الهجرة إلى المدينة، وهي من أواخر ما نزل " ثم نقل قولين في وقت نزولها الأول : أنها نزلت في السنة التي توفي فيها رسول الله ﷺ وذكر دليل هذا القول وضعفه والثاني : نقل عن قتادة أنه قال: عاش رسول الله ﷺ بعدها سنتين، ثم قال وهذا يقتضي أنها نزلت قبل الفتح " وقد رجح هذا القول واستظهره ودلل عليه فقال : " وهذا هو الظاهر لأن قوله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ يدل دلالة ظاهرة على أن الفتح لم يكن قد جاء بعد، لأن إذا ظرف لما يستقبل من الزمان هذا هو المعروف في استعمالها" (١) .

المطلب الثاني : تفسيره لكلماتها وآياتها ومنهجه في ذلك :

ويتضح اهتمامه في تفسير كلماتها ومنهجه في ذلك فيما يلي :

أولاً : حكايته لأقوال المفسرين في بيان معاني كلماتها وإسناد كل قول لقائله ومصدره في الغالب (٢).

ثانياً : ترجيحه لبعض الأقوال على بعض بالحجة والدليل وتقديره لقول الجمهور في ذلك، ، اقرأ مثلاً ما سطره في المراد بالناس في قوله تعالى : ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ (النصر : ٢) ، حيث قال : " المراد بالناس العموم على قول الجمهور، وعن مقاتل: أنهم أهل اليمن " (٣) .

وما حكاه في المراد بالفتح في السورة الكريمة ، حيث قال : وأما الفتح فقيل: هو فتح مكة بخصوصها، قاله ابن عباس وغيره ، لأن العرب كانت تنتظر بإسلامها ظهور النبي ﷺ على مكة ، وفي «صحيح البخاري» (٤) عن عمرو بن سلمة قال: لما كان الفتح بادر كل قوم بإسلامهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت الأحياء تلوم بإسلامها فتح مكة فيقولون: دعوه وقومه، فإن ظهر عليهم فهو نبي ، ثم قال : وقيل: إن الفتح يعم مكة وغيرها مما فتح بعدها من الحصون والمدائن، كالطائف وغيرها من مدن الحجاز واليمن وغير ذلك، وهو الذي ذكره ابن عطية (٥) ، ثم استدل ابن رجب الحنبلي – أيضاً – على أن المراد بالفتح : فتح مكة

---

(١) تفسير سورة النصر ص : ١٨.
(٢)انظر تفسير سورة النصر ص : ٢٤ – ٢٧ .
(٣) تفسير سورة النصر ص : ٢٤ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي – باب : ٥ / ١٥٠ ، برقم : ٤٣٠٢ .
(٥) انظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٥ / ٥٣٢ .

فقال : وفي «مسند الإمام أحمد» من طريق شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد الخدري عن النبي أنه قال: لما نزلت هذه السورة: ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ، قال: قرأها رسول الله حتى ختمها فقال : «الناس حيز وأنا وأصحابي حيز» وقال «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية» (١) ، ثم قال ابن رجب : وهذا يستدل به على أن المراد بالفتح فتح مكة، فقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس أن النبي – صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح: «لا هجرة، ولكن جهاد ونية»(٢) ، وأيضًا فالفتح المطلق هو فتح مكة كما في قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ (الحديد: ١٠) ... " (٣) .

ثالثاً : استدلاله على تفسير بعض ألفاظها بما ورد في القرآن أو السنة :

فمثلا عند تفسيره للفظ " أَفْوَاجًا" يقول " والأفواج : الجماعة إثر الجماعة كما قال الله تعالى : ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ (الملك: ٨) ، ثم نقل عن مسند أحمد بسنده عن جابر رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا، وسيخرجون منه أفواجًا» (٤) (٥).

رابعاً : اعتماده في الغالب في تفسيرها على النقل من كتب التفسير الأخرى كتفسير عبد الرزاق وابن جرير وابن عطية وابن الجوزي والنقاش في تفسيره المسمى" شفاء الصدور " وغيرهم (٦) .

خامساً : اهتمامه ببيان معاني بعض حروفها و إعراب بعض ألفاظها : اقرأ ما سطره في المراد بالباء في قوله تعالى : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ، وما يترتب عليه من إعراب لـ " حمد " حيث قال : " وفي الباء في بحمد قولان : أحدهما: أنها للمصاحبة فالحمد مضاف إلى المفعول، أي فسبحه حامدًا له، والمعنى: أجمع بين تسبيحه وهو تنزيهه عما لا يليق به من النقائص، وبين تحميده وهو إثبات ما يليق به من المحامد. والثاني: أنها للاستعانة، والحمد مضاف إلى الفاعل، أي سبحه بما حمد به نفسه (٧) .

سادساً : عنايته بذكر بعض الفروق اللغوية بين بعض كلماتها وكلمات أخرى، حيث ذكر الفرق بين العفو والمغفرة المستفادة من قوله تعالى : ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ فقال: " والفرق بين العفو والمغفرة أن العفو محو أثر الذنب،

---

(١) : ١٧ / ٢٥٨ ، برقم : ١١١٦٧ ، وقال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره، دون قوله: "الناس حيز، وأنا وأصحابي حيز" ، وأورده الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٢٥٠/٥، و١٧/١٠، وقال: رواه أحمد والطبراني باختصار كثير، رجال أحمد رجال الصحيح .

(٢) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب جزاء الصيد– باب: لا يحل القتال بمكة : ٣ / ١٤ ، برقم : ١٨٣٤ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الحج – باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام : ٢ / ٩٨٦ ، برقم : ١٣٥٣ .

(٣) تفسير سورة النصر ، ص : ٢٢– ٢٥ .

(٤) أخرجه أحمد في مسند : ٢٣ / ٤٧ حديث رقم : ١٤٦٩٦ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف .

(٥) تفسير سورة النصر ص : ٢٧.

(٦) انظر تفسير سورة النصر ص :٢٤ ، ٢٦ ، ٢٧ .

(٧) تفسير سورة النصر ص: ٢٨.

وقد يكون بعد عقوبة بخلاف المغفرة فإنها لا تكون مع العقوبة " (١) .

سابعاً : تخريجه للأحاديث الواردة في شأنها وحكمه عليها أحياناً ما لم تكن في الصحيحين .

من أمثلة ذلك :

١- قوله : " وكان النبي ﷺ يكثر من التسبيح والتحميد والاستغفار بعد نزول هذه السورة و في الصحيحين(٢) عن مسروق عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: «سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي» يتأول القرآن (٣) ..." (٤) .

٢- ما عزاه للإمام أحمد(٥) في المسند والإمام مسلم(٦) في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه» وقال: «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامة في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده وأستغفره إنه كان توابا، فقد رأيتُها: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ السورة كلها "(٧) .

٣- ما نقله عن الإمام أحمد(٨) بسنده عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال رسول الله ﷺ : « نعيت إلى نفسي بأنه مقبوض في تلك السنة» عطاء هو ابن السائب اختلط بآخره "(٩) ، ويشهد له ما أخرجه البزار في «مسنده»(١٠) والبيهقي(١١) من حديث موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار وصدقة بن يسار عن ابن عمر قال: نزلت هذه السورة على رسول الله ﷺ بمنى وهو في أوسط أيام التشريق في حجة الوداع ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فعرف أنه الوداع، فأمر براحلته القصواء، فرحلت له، ثم ركب. فوقف

---

(١) تفسير سورة النصر ص : ٢٨.

(٢) صحيح البخاري ،كتاب الأذان – باب التسبيح والدعاء في السجود : ١ / ١٦٣ ، حديث رقم : ٨١٧ ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة – باب ما يقال في الركوع والسجود: ١ / ٣٥٠ ، حديث رقم : ٤٨٤ .

(٣) والمراد: أنه يمتثل ما أمره الله به بقوله : {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}(النصر/٣) ، فتأويل القرآن، تارة يراد به تفسير معناه بالقول، وتارة يراد به امتثال أوامره بالفعل ، وبهذا يقال: من ارتكب شيئا من الرخص لتأويل سائغ أو غيره أنه فعله متأولاً ، انظر فتح الباري لابن رجب الحنبلي : ٧/ ٢٧٢ .

(٤) تفسير سورة النصر ص : ٣٢ .

(٥) مسند الإمام أحمد : ٤٠ / ٧٥ ، برقم : ٢٤٠٦٥ ، وقال المحقق : (شعيب الأرنؤوط) .: إسناده صحيح .

(٦) الإمام صحيح الإمام مسلم /كتاب الصلاة – باب ما يقال في الركوع والسجود : ١ / ٣٥١ ، برقم : برقم ٤٨٤ .

(٧) تفسير سورة النصر ص : ٣٢ ، ٣٣ .

(٨) المسند : ٣ / ٣٦٦ / برقم : ١٨٧٣ ، وقال المحقق : (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف .

(٩) تفسير سورة النصر ص : ٢١ .

(١٠) كشف الأستار عن زوائد البزار : ٢ / ٣٣ ، برقم : ١١٤٠ .

(١١) السنن الكبرى : ٥ / ٢٤٧ ، برقم : ٩٦٨٢ ، وقد ضعفه ابن رجب الحنبلي كما سبق .

للناس بالعقبة فحمد الله وأثنى عليه.. وذكر خطبة طويلة...ثم قال ابن رجب : هذا إسناد ضعيف جدًا، وموسى بن عبيدة قال أحمد: «لا تحل عندي الرواية عنه»([1]) .

ثامناً : نحى في تفسيرها بعد ذلك منحاً موضوعياً، فبعد أن فرغ من تفسيرها تحليلياً أورد آيات كثيرة تحدثت عن الاستغفار ثم عرج إلى تعريف الاستغفار وبيان بعض فضائله ومواضعه وثمراته ووروده في القرآن مقروناً بالتوبة وبالتقوى والفرق بين وروده منفرداً ووروده مقروناً بالتوبة أو بالتقوى والعمل : فقال " : الاستغفار: يرد مجردًا ويرد مقرونًا بالتوبة، فإن ورد مجردًا دخل فيه طلب وقاية شر الذنب الماضي بالدعاء، والندم عليه ، وشر وقاية الذنب المتوقع بالعزم على الإقلاع عنه..... وإن ورد مقرونًا بالتوبة اختص بالنوع الأول، فإن لم يصحبه الندم على الذنب الماضي، بل كان سؤالاً مجردًا فهو دعاء محض، وإن صحبه ندم فهو توبة." ...، وقال أيضاً : " وتارة يقرن بالتقوى، أو بالعمل فتختص حينئذ بترك المحظور والله أعلم " واستأنس في حديثه عن هذا كله وخاصة فضائل الاستغفار بما ورد في السنة لكنه لم يحكم – كما تعودنا منه الحكم على الأحاديث – على ما أورده في فضائل الاستغفار مع أن فيها أحاديث ضعيفة ولعل السبب في ذلك أنه كان يرى جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال كغيره من العلماء لذا لم يهتم بالحكم عليها ثم استأنس أيضاً بأقوال الصالحين رضوان الله عليهم وأحوالهم في الاستغفار نسأل الله تعالى أن نحشر معهم إنه ولي ذلك والقادر عليه ([2]).

المبحث الرابع : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة الإخلاص

لقد بذل ابن رجب جهداً كبيراً في تفسير هذه السورة العظيمة ، فبدأ بحكاية قولين في موضع نزولها وهما : الأول : أنها مكية والثاني أنها مدنية ولم يرجح بينهما، ثم اهتم بعد ذلك بما يتعلق بهذه السورة الكريمة في فصول وهي : فصل في فضائلها وثاني في سبب نزولها وثالث في تفسيرها ويتضح جهوده في هذه الفصول فيما يلي:

المطلب الأول : اهتمامه ببيان فضائلها :

وهو ما ذكره في الفصل الأول ، وعنايته ببيان فضل هذه السورة الكريمة يتمثل فيما يلي :

أولاً : ذكره لبعض هذه الفضائل ثم إيراد الدليل عليها من السنة أو أقوال سلف الأمة :

حيث قال : " أما فضائلها فكثيرة جداً ثم عدد لها ست فضائل وهي : الأولى : أنها صفة الرحمن، الثانية أن حبها يوجب دخول الجنة، الثالثة : أنها تعدل ثلث القرآن، الرابعة : أن قراءتها تكفي من الشر، وتمنعه، الخامسة : أنها أفضل سور القرآن، السادسة : أن الدعاء بها مستجاب ثم أورد الدليل أو الأدلة

([1]) تفسير سورة النصر ، ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) تفسير سورة النصر ص : ٣٤– ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى تفسير سورة النصر : ٢١ – ٣٣ .

على كل فضيلة ([١]) .

ثانياً : تخريجه لأدلة هذه الفضائل من كتب الحديث، أو التفسير، أو الفضائل وذكرها بأسانيد أصحاب هذه الكتب والحكم عليها في الغالب، سواء بنقل حكم من أخرجها، أو حكمه هو عليها فيما عدا ما نقله من الصحيحين، من ذلك ما أورده عن الطبراني[٢] بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل شيء نسبة، ونسبة الله { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} (الإخلاص : ٢) وليس بأجوف» ثم حكم على بعض رجال إسناد هذا الحديث فقال: " الوازع ضعيف جدًا" ([٣]) ، وما ونقله عن أبي داود([٤]) والترمذي ([٥]) والنسائي([٦]) من طريق معاذ بن عبد الله بن خبيب عن أبيه عن النبي ﷺ قال : قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح ثلاثًا تكفيك كل يوم» ثم قال : وصححه الترمذي " ([٧]) .

ثالثاً : توجيهه أحياناً لبعض الأدلة على هذه الفضائل حيث قال بعد أن ذكر حديث : " أنها تعدل ثلث القرآن " ([٨]) : " ويستدل به على أن المراد بكونها تعدل ثلث القرآن أجره وثوابه، كما يستدل بحديث أبي الدرداء المتقدم([٩]) على أنها جزء التوحيد من القرآن وأنه ثلاثة أجزاء: توحيد وتشريع وقصص ([١٠]) .

رابعاً : اقتصاره على الصحيح فيما ورد في فضائلها أو ما قارب الصحيح أو ما كان له شاهد يقويه وإعراضه عن الضعيف وقد صرح بذلك فقال : " وقد ورد في تكرير قراءتها خمسين مرة أو أكثر من ذلك وعشر مرات

---

(١) تفسير سورة الإخلاص ص : ٨-٢٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط : ١ / ٢٢٢ ، حديث رقم ٧٣٢ ، وقال : لا يروى هذا الحديث عن أبي هريرة إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عبد الرحمن بن نافع ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٤٦/٧، برقم : ١١٥٣٩ ، وقال: «وفيه الوازع بن نافع وهو متروك».

(٣) تفسير سورة الإخلاص ص : ٨ ، ٩ وانظر ص : ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) سنن أبي داود : ٧ / ٤١٥ ، ٤١٦ ، برقم : ٥٠٨٢ ، وقال المحقق (شعَيب الأرنؤوط) : إسناده حسن .

(٥) سنن الترمذي أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- باب ١٧ : ٥ / ٤٥٩ ، برقم : ٣٥٧٥ ، وقال : حسن صحيح غريب من هذا الوجه .

(٦) السنن الصغرى للنسائي – كتاب الاستعاذة : ٨ / ٢٥٠ ، حديث رقم : ٥٤٢٨ ، وحسنه الألباني ، انظر : صحيح وضعيف سنن النسائي برقم : ٥٤٢٨ .

(٧) تفسير سورة الإخلاص ص : ١٩.

(٨) ، والحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها – باب فضل قراءة قل هو الله أحد : ١ / ٥٥٦ ، برقم : ٨١١ ، من طريق أبي الدرداء – رضي الله عنه .

(٩) وهو الحديث السابق .

(١٠) تفسير سورة الإخلاص ص : ١٩ .

عقيب كل صلاة أحاديث كثيرة فيها ضعف ، وكذلك حديث معاوية بن معاوية الليثي خرجه الطبراني، وأبو يعلى من طرق كلها ضعيفة فلم نذكرها " ([1]) .

المطلب الثاني : حديثه عن سبب نزول هذه السورة العظيمة :

وهو ما أورده في الفصل الثاني ، فقد أورد سبب نزول هذه السورة الكريمة وعزاه لمصدره ، وذكر الحكم عليه ، فقال وأما سبب نزولها: ففي «المسند» ([2]) والترمذي([3]) عن أبي سعيد الصاغاني محمد بن مبشر عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب أن المشركين قالوا للنبي – صلى الله عليه وسلم : انسب لنا ربك يا محمد؟ فأنزل الله: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} ورواه الترمذي([4]) من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية مرسلاً وقال هذا أصح من حديث أبي سعيد

ورواه أبو يعلى الموصلي([5]) والطبراني([6]) وابن جرير([7]) من طريق شريح بن يونس عن إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبي عن جابر: أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم– فقال: انسب لنا ربك فأنزل: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } إلى آخرها، وروي مرسلاً..." إلخ ([8]) .

المطلب الثالث : تفسيره لكلماتها وآياتها :

وهو ما تحدث عنه في الفصل الثالث ، وقد بذل في تفسير كلمات وآيات هذه السورة الكريمة جهداً كبيراً ويمكن لنا أن نلخص هذا الجهد فيما يلي :

أولاً : بيانه لأصل بعض كلماتها في المبنى والمعنى عند أهل اللغة والاستدلال على المعنى بأبيات من الشعر المأثورة عن شعراء العرب وغالباً ما ينقل هذا عن غيره ، حيث نقل أصل معنى كلمة : " أحد " وتصريفها و" الصمد" عن غيره : فقد نقل عن العسكري أن " أصل أحد أوحد مثل أكبر، وإحدى مثل

---

(١) تفسير سورة الإخلاص ص : ٢٣ .

(٢) مسند الإمام أحمد : ٣٥ / ١٤٣ ، ١٤٤ ، برقم : ٢١٢١٩ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف .

(٣) سنن الترمذي أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم– باب ومن سورة الإخلاص: ٥ / ٣٠٨ ، برقم : ٣٣٦٤، وأخرجه مختصراً برقم : ٣٣٦٥ ، ثم قال : وهذا أصح من حديث أبي سعد ، قلت : في إسناده أبو جعفر عيسى الرازي قال عنه ابن حجر في التقريب ص : ٦٢٩ : صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة .

(٤) انظر التخريج السابق .

(٥) مسند أبي يعلى الموصلي : ٢ / ٣٨ ، برقم : ٢٠٤٤ ، وقال المحقق إسناده ضعيف .

(٦) انظر المعجم الأوسط : ٦ / ٢٥ ، برقم : ٥٦٨٧، وقال : لم يرو هذا الحديث عن مجالد إلا ابنه إسماعيل، تفرد به سريج بن يونس، ولا يروى عن جابر إلا بهذا الإسناد " .

(٧) انظر تفسير الطبري : ، ٢٤ / ٧٢٧ ، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، والحديث رواه الحاكم في المستدرك : ٢ / ٥٨٩ ، برقم : ٣٩٨٧ ، وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

([8]) تفسير سورة الإخلاص ص : ٢٣ ، ٢٤ .

كبرى، فلما وقعا اسمين وكانا كثيري الاستعمال هربوا إلى الكسرة ليخف، وحذفوا الواو ليفرقوا بين الاسم والصفة؛ وذلك أن أوحد اسم وأكبر منه (١) ، وحكى عن ابن الأنباري أنه قال : " لا خلاف بين أهل اللغة أن الصمد: السيد الذي ليس فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم، ثم استدل على ذلك ببيتين من الشعر (٢)

وذكر هو أصل معنى " كفواً " في اللغة فقال : " حقيقة الكفؤ: هو المساوي والمقاوم " ثم قال : فلا كفو له تعالى في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أسمائه، ولا في أفعاله، ولا في ربوبيته، ولا في إلهيته، ولهذا كان الإيمان بالقدر نظام التوحيد كما قال ابن عباس لأن القدرية جعلوا له كفؤًا في الخلق (٣) .

ثانياً : اهتمامه بذكر بعض الفروق اللغوية بين بعض ألفاظ هذه السورة الكريمة وبين ألفاظ أخرى، فنراه يذكر أكثر من وجه في الفرق بين اللفظين، وفي الغالب ما ينقل هذا عن غيره من علماء العربية ، اقرأ مثلاً ما سطره في الفرق بين الأحد والواحد حيث قال : " الفرق بين الأحد والواحد أن الواحد هو المتفرد بذاته فلا يضاهيه أحد والأحد: المنفرد بصفاته ونعوته فلا يشاركه فيها أحد حكاه عن الخطابي(٤) ، وقيل: بينهما فرق آخر، وهو أن الأحد في النفي نص في العموم بخلاف الواحد فإنه محتمل للعموم وغيره فتقول: ما في الدار أحد، ولا يقال: بل اثنان ويجوز أن يقال: ما في الدار واحد، بل اثنان (٥)، وفرَّق بعض فقهاء الحنفية بينهما وقال: الأحدية ، لا تحتمل الجزئية والعددية بحال ، والواحد يحتملها لأنه يقال: مائة واحدة وألف واحدة، ولا يقال: مائة أحد ولا ألف أحد (٦) .

ثالثاً : اهتمامه بنقل ما هو مأثور عن السلف من أقوال في تفسير ألفاظها وتوجيه بعض هذه الأقوال والترجيح أو الجمع والتوفيق بينها :

اقرأ ما أورده في المراد بـ{الصَّمَدُ} حيث قال : (اختلفت عبارات السلف في معناه وهي متقاربة أو متفقة والمشهور منها قولان:

أحدهما: أن {الصَّمَدُ} هو السيد الذي تصمد إليه الخلق في حوائجهم ومطالبهم، وهو مروي عن ابن عباس وغيره من السلف.

والقول الثاني: أن الصمد الذي لا جوف له، وأنه الذي لا يأكل ولا يشرب والذي لا حشو له، وأنه الذي لا

---

(١) تفسير سورة الإخلاص ص : ٢٩ .

(٢) راجع تفسير سورة الإخلاص ص : ٢٨-٣٠ .

(٣) تفسير سورة الإخلاص ص : ٣٨ – ٣٩ .

(٤) انظر شأن الدعاء للخطابي ، ص : ٨٢، ٨٣ ، وانظر زاد المسير لابن الجوزي :٥٠٦/٤.

(٥) راجع تفسير سورة الإخلاص ص : ٤٢ .

(٦) راجع تفسير سورة الإخلاص ص : ٢٨ .

يدخل فيه شيء، ولا يخرج منه شيء، ونحو هذه العبارات المتقاربة في المعنى، وروي ذلك عن ابن مسعود وقد سبق في حديث أبي هريرة المذكور في أول تفسير السورة: والصمد الذي ليس بأجوف ([١]) ، ثم حكاه عن ابن مسعود وابن عباس– رضي الله عنهم – وعكرمة والشعبي ومجاهد وغيرهم ([٢]) ، ثم ذكر قولاً آخر عن طائفة من السلف ووجهه وأوعب في ذلك ([٣]) .

المطلب الرابع : اهتمامه بإعراب بعض ألفاظها و جملها :

اهتم ابن رجب الحنبلي بإعراب بعض ألفاظ وجمل هذه السورة الكريمة ويظهر اهتمامه وجهده فيما يلي :

١– إعرابه لأكثر ألفاظ السورة الكريمة وجملها سواء ما ذكره هو، أو ما حكاه عن غيره من أهل اللغة والإعراب .

٢– بيانه لأوجه الإعراب في الكلمة أو الجملة غالباً فلم يكتف بوجه واحد :

اقرأ مثلاً ما سطره في إعراب قوله تعالى : "هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" حيث قال :" و{هُوَ} اسم مضمر قيل إنه: ضمير الشأن، وقيل: لا ، { اللَّهُ أَحَدٌ} إن قيل هو ضمير الشأن فالجملة مبتدأ وخبر، وإن قيل: لا، ففيه وجهان: أحدهما: أن {هُوَ} مبتدأ و{اللَّهُ أَحَدٌ} مبتدأ وخبر، وهما خبر للمبتدأ الأول، ولا حاجة فيه إلى ربط لأن الخبر هو المبتدأ بعينه ([٤]) .

والثاني: أن {هُوَ} مبتدأ و{اللَّهُ} خبره و{أَحَدٌ} بدل منه ([٥]) .

وما حكاه عن ابن عطية([٦]) أنه قال : " كُفُوًا " خبر كان، واسمها أحد، والظرف ملغي، وسيبويه يستحسن أن يكون الظرف إذا تقدم خبرًا ....ويحتمل أن يكون { كُفُوًا } حالاً لما قدم من كونه وصفًا للنكرة ([٧]).

المطلب الخامس : عرضه لبعض مقاصدها :

فقد ركز ابن رجب الحنبلي خلال تفسيره لهذه السورة العظيمة على إبراز أهم مقاصدها وأغراضها فقد عدد لها ستة مقاصد وأهداف منها :

---

(١) سبق تخريجه قبل قليل .

([٢]) راجع تفسير سورة الإخلاص : ٢٩–٣١ .

([٣]) تفسير سورة الإخلاص ص : ٣٣–٣٥ .

([٤]) تفسير سورة الإخلاص ص : ٢٦ .

([٥]) تفسير سورة الإخلاص ص : ٢٦ .

(٦) انظر المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٥ / ٥٣٧ .

([٧]) انظر تفسير سورة الإخلاص ص :٣٩،٤٠ .

أولاً : أنها تضمنت نفي نوعين عن الله تعالى أحدهما: المماثلة، ودل على نفيها قوله تعالى: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} مع دلالة قوله: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} على ذلك؛ لأن أحديته تقتضي أنه متفرد بذاته، وصفاته، فلا يشاركه في ذلك أحد والثاني: نفي النقائص والعيوب، وقد نفى منها التولد من الطرفين (١) ، وقال في موضع آخر : فتضمنت هذه السورة تنزيهه، وتقديسه- سبحانه – عن الأصول والفروع، والنظراء، والأمثال (٢) .

ثانياً : أنها تضمنت إثبات جميع صفات الكمال بإثبات الأحدية؛ فالصمدية تثبت الكمال المنافي للنقائص، والأحدية تثبت الانفراد بذلك ، فإن الأحدية تقتضي انفراده بصفاته وامتيازه عن خلقه بذاته وصفاته، والصمدية إثبات جميع صفات الكمال ودوامها وقدمها؛ فإن السيد الذي يصمد إليه لا يكون إلا متصفًا بجميع صفات الكمال التي استحق لأجلها أن يكون صمدًا، وأنه لم يزل كذلك ولا يزال، فإن صمديته من لوازم ذاته لا تنفك عنه بحال ، ثم قال : ومن هنا فُسر الصمد بالسيد الذي قد انتهى سؤدده وفسره عكرمة: بالذي ليس فوقه أحد (٣) .

المطلب السادس : بيانه لبعض اللطائف التفسيرية التي اشتملت عليها السورة الكريمة :

اهتم ابن رجب الحنبلي ببيان اللطائف التي اشتملت عليها هذه السورة العظيمة فذكر أربع لطائف لها وقد عرضها بطريقتين وهما :

الأولى : طريقة السؤال والجواب وقد ذكر ثلاث صور بهذه الطريقة وهاك هذه الصور وتلك الأسئلة :

السؤال الأول : قوله: {اللَّهُ أَحَدٌ} ولم يقل الأحد كما قال: الصمد ؟ جوابه: أن الصمد يسمى به غير الله كما يأتي ذكره(٤)، فأتى فيه بالألف واللام ليدل على أنه – سبحانه – هو المستحق لكمال الصمدية، فإن الألف واللام تأتي لاستغراق الجنس تارة، ولاستغراق خصائص أخرى كقوله: زيد هو الرجل أي الكامل في صفات الرجولة فكذلك قوله: {اللَّهُ الصَّمَدُ} أي الكامل في صفات الصمدية ، وأما الأحد فلم يتسم به غير الله فلم يحتج فيه إلى الألف واللام (٥) .

السؤال الثاني : نفى سبحانه الولادة قبل نفي التولد، والتولد أسبق وقوعًا من الولادة في حق من هو متولد؟

وجوابه: أن الولادة لم يدعها أحد في حقه – سبحانه – وإنما ادعوا أنه ولد، فلذلك قدم نفيه لأنه المهم المحتاج إلى نفيه.

---

(١) انظر تفسير سورة الإخلاص ص : ٣٥ .

(٢) انظر تفسير سورة الإخلاص ص : ٤١ .

(٣) تفسير سورة الإخلاص ص : ٣٥،٣٦ وراجع ص : ٣٦- ٤١ .

(٤) انظر المرجع السابق ص : ٤٣ .

(٥)المرجع السابق ص : ٣٩.

السؤال الثالث : كيف نفى أن يكون مولودًا ولم يعتقده أحد؟ جوابه: من وجهين:

أحدهما: أنهم سألوا عمن ورث الدنيا؟ ولمن يورثها؟ وهذا يشعر بأن منهم من اعتقد ذلك.

والثاني: أنه نفى عن نفسه – سبحانه – خصائص آلهة المشركين فإن منهم من عبد المسيح، ومنهم من عبد العزير وهما مولودان، ومنهم من عبد الملائكة والعجل وهي متولدات، وقد تقدم أن نفي الولادة تدل على نفي المتولد بطريق الأولى([1]).

الثانية : طريقة الإخبار أو الخبر وقد ذكر لطيفة واحدة بهذه الطريقة وهي : " أن الله – عز وجل – أعاد الاسم المبتدأ في " قوله : {اللَّهُ الصَّمَدُ} تأكيدًا للجملة وخبره {الصَّمَدُ}، وقيل: هو نعت والخبر ما بعده " ([2])

وبعد فهذه هي جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير من خلال كتبه ورسائله المطبوعة التي ألفها فيه ، وفي الفصول الآتية بيان لجهوده في التفسير من خلال كتبه الأخرى ، وسأقتصر على الكتب التي كثرت فيها القضايا التفسيرية، وجهده ظاهر فيها، وسأكتفي بذكر بعض الأمثلة لكل جهد بذله، وسأحيل إلى الأمثلة الأخرى في مصادرها .

---

(١)تفسير سورة الإخلاص ص : ٣٩ .

(٢) المرجع السابق ص : ٢٩ .

الفصل الثالث

جهود ابن رجب في التفسير من خلال كتبه ورسائله التي صنفها في غير هذا العلم

المبحث الأول : جهوده في التفسير بالمأثور :

تمهيد :

التفسير بالمأثور " يشمل ما جاء في القرآن الكريم نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وما نُقِل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقِل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضح لمراد الله – تعالى – من نصوص كتابه الكريم " (١) .

وهذا النوع له قيمته العظيمة في التفسير يقول ابن تيمية مبيناً هذا : " فإن قال قائل : فما أحسن طريق التفسير ؟ فالجواب : إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي(٢) : كل ما حكم به رسول الله – صلى الله عليه و سلم – فهو مما فهمه من القرآن : قال الله تعالى : {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا} (النساء/١٠٥). وقال تعالى : { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل/٤٤). وقال تعالى : { وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}(النحل/٦٤) ، ولهذا " قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :" ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه " (٣) يعني السنة والسنة أيضاً تنزل عليه بالوحي كما ينزل القرآن لأنها تتلى كما يتلى ، والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه، فإن لم تجده فمن السنة كما قال رسول الله – صلى الله عليه و سلم– لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن : " بم تحكم ؟ قال بكتاب الله قال : فإن لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله قال فإن لم تجد ؟ قال أجتهد رأيي قال : فضرب رسول الله – صلى الله عليه و سلم – في صدره وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي الله " (٤) وهذا الحديث في

---

(١) التفسير والمفسرون ، لمحمد السيد حسين الذهبي : ١ / ١١٢ .

(٢) انظر الرسالة للإمام الشافعي، ص : ٨٨ ، تحقيق: أحمد شاكر .

(٣) مسند الإمام أحمد : ٢٨ / ٤١٠ ، حديث رقم : ١٧١٧٤ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده صحيح .

(٤) مسند الإمام أحمد : ٣٦ / ٣٣٣ ، حديث رقم : ٢٢٠٠٧ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف لإبهام أصحاب معاذ وجهالة الحارث بن عمرو، لكن مال إلى القول بصحته غير واحد من المحققين من أهل العلم، منهم أبو بكر الرازي وأبو بكر بن العربي والخطيب البغدادي وابن قيم الجوزية [وكذا ابن تيمية كما نص على ذلك في هذا الموضع] .

المساند والسنن بإسناد جيد ، حينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى لما شاهدوه من القرآن والأحوال التي اختصموا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين منهم عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه " (١) .

وابن رجب الحنبلي– رحمه الله – قد اهتم بهذا النوع من التفسير وبذل فيه جهداً كبيراً يلاحظه من اطلع على كتبه ورسائله ، وله منهج حسن في ذلك حيث إننا نجده يقدم تفسير القرآن بالقرآن في الذكر ، ثم تفسير القرآن بالسنة، ثم يورد ما وقف عليه من أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآية، وفيما يلي بيان ما بذله من جهد في ذلك وطريقته في هذا النوع من التفسير :

المطلب الأول : جهوده في تفسير القرآن بالقرآن :

إن " تفسير القرآن بالقرآن من أبلغ التفاسير " (٢) وأصحها وقد أدرك ابن رجب الحنبلي ذلك وأدرك أيضاً مدى الصلة الوثيقة بين آيات القرآن الكريم بعضها ببعض تفسيراً وبياناً وتأكيداً للمعنى، وتقييداً وإطلاقاً وتخصيصاً وتعميماً ، لذا فالقارئ لتراث هذا العالم الجليل، يجده قد اهتم بتفسير القرآن بالقرآن اهتماماً بالغاً وبذل فيه جهداً كبيراً يذكر فيشكر عليه، ويظهر جهده في هذا النوع من التفسير وطريقته المتميزة في ذلك فيما يلي :

أولاً : اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن والإعراض عن غيره من أقوال مخالفه لهذا التفسير :

مثال ذلك: ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ}(البقرة/٢٤) ، وقوله تعالَى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ }(التحريم/٦) ، حيث قال : واختلف المفسرون في هذهِ الحجارة ، فقالتْ طائفة منهم الربيع بنُ أنسٍ : الحجارةُ هي الأصنام التي عُبدَت من دون الله ، ثم قال : " واستشهدَ بعضُهم لهذا بقولِه : تعالى : { إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ}(الأنبياء/٩٨)....(٣) ، ولم يذكر غير هذا القول في المراد بالحجارة في الآيتين الكريمتين، وهذا يدل على أنه ارتضى هذا القول ورجحه على غيره لدلالة الآية الأخرى عليه ، مع أنه قد أشار إلى أن هناك أقولاً أخرى وردت في تفسير الآية غيره لكنه لم يذكرها .

ثانياً : تفسيره للكلمة أو الجملة في الآية الكريمة مع توجيهه للمعنى ، ثم سرده للآيات الأخرى التي تؤكد هذا التفسير وتشهد له ، ومقابلة الآيات بعضها ببعض، وهذا كثير في كتبه ورسائله ، من هذا على سبيل المثال:

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص :٩٣– ٩٥ .

(٢) التبيان في أيمان القرآن لابن القيم ص : ٢٧٨ .

(٣) التخويف من النار ص : ١٣٢ .

١- نجده في تفسير الصراط المستقيم في قوله تعالى : { وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (يونس/٢٥) قد ذكر أن المراد به دين الله وهو الإسلام ، ثم عدَّد بعض الآيات التي ورد فيها لفظ الصراط المستقيم والتي تدل على هذا المعنى : فقال : " وقد سمى اللَّه دينه الذي هو دينُ الإسلامِ صراطًا مستقيمًا في مواضعَ كثيرةٍ من كتابِهِ ، كقولِهِ تعالَى : {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ }(الفاتحة: ٦ ، ٧) ، ثم قال : وقد فُسِّر الصراطُ هُنا : بكتابِ اللَّهِ ، ثم وجه هذا المعنى فقال : وكتابُ اللَّهِ فيه شرحُ دينِ الإسلام ، وبيانُه وتفصيلُه والدعوةُ إليهِ ، وعنِ جابرٍ – رضي الله عنه– قالَ : الصراطُ المستقيمُ : هو الإسلامُ ، وقالَ تعالَى : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}(المائدة : ١٥ ، ١٦) ، وقالَ تعالَى : { وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} (الأنعام/١٥٣). "([1]) .

٢- ونراه أيضاً بعد أن ذكر أن معنى تفسير تعالى : {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ }(النحل/٨٩) ، أي أن الله – عز وجل – أنزل القرآن الكريم وفصل فيه للعباد كل شيء من حلال وحرام، وما أمروا به فيفعلوه ، وما نهوا عنه فيجتنبوه، يسرد الآيات التي تدل على هذا المعنى ويقابل بينها فيقول : " حاصلُ الأمر أنَّ الله تعالى أنزل على نبيه – صلى الله عليه وسلم – الكتاب ، وبين فيه للأمة ما يحتاجُ إليه من حلال وحرام ، كما قال تعالى { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ } (النحل/٨٩) قال مجاهد وغيرُه : لكلِّ شيءٍ أُمِرُوا به أو نُهوا عنه ، ثم أكد ابن رجب على هذا المعنى بما جاء في القرآن الكريم في آيات أخرى وقابل بينها فقال : " وقال تعالى في آخر سورة النساء التي بَيَّنَ الله فيها كثيراً من أحكام الأموال والأبضاع ([2]) : {يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (النساء /١٧٦)، وقال تعالى : {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ }(الأنعام/١١٩) ، وقال تعالى : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}(التوبة/١١٥)، ووكل بيان ما أشكل من التنْزيل إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – كما قال تعالى : { بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (النحل /٤٤) ، وما قُبض – صلى الله عليه وسلم – حتّى أكمل له ولأُمته الدينَ ، ولهذا أنزل عليه بعرفة قَبْلَ موته بمدة يسيرة : { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (المائدة/٣)..." ([3]) .

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي رسالة : ١ / ١٩١، ١٩٢ رسالة شرح حديث مثل الإسلام " .

([2]) الأبضاع : كناية عن النكاح ، انظر شرح غريب ألفاظ المدونة ، الإمام الجُبّي ، ص : ١٠٩.

(٣) جامع العلوم والحكم ص: ١٧٤ .

٣- عند تفسيره لقوله تعالى : { شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّيْنِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا } (الشورى : ١٣) نجده قد أورد عن مجاهد أنه قال أي : " وصاك به وأنبياءه كلهم دينا واحداً " ، ثم قال ابن رجب موجهاً لهذا القول ومستشهداً عليه بما ورد في القرآن الكريم : " ومعنى ذلك : أن دين الأنبياء كلهم دين واحد وهو الإسلام العام المشتمل على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعلى توحيد الله وإخلاص الدين له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال تعالى : { وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } (البينة : ٤ ، ٥) .

٤- عند تأويله لقوله تعالى : { مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } (الأنعام : ١٦٠) نجده قد نقل عن ابن أبي حاتم (١) من رواية عطية العوفي ، عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أنه قال : نزلت " مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } (الأنعام : ١٦٠) في الأعراب فقال رجل : يا أبا عبد الرحمن فما للمهاجرين ؟ قال : ما هو أكثر ثم تلا قوله : { وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا } (النساء : ٤٠) ثم استشهد ابن رجب على هذا ، فقال : ويشهد لهذا المعنى : ما ذكره الله – عز وجل – في حق أزواج نبيه فقال : { يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَة } إلى قوله { وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ } (الأحزاب : ٣٠ – ٣٢) ، فدل على أن من عظمت منزلته ودرجته عند الله فإن عمله يضاعف له أجره ، ثم قال : وقد تأول بعض السلف من بني هاشم دخول آل النبي – صلى الله عليه وسلم – في هذا المعنى لدخول أزواجه ؛ فلذلك من حسن إسلامه بتحقيق إيمانه وعمله الصالح فإنه يضاعف له أجر عمله بحسب حسن إسلامه وتحقيق إيمانه وتقواه والله أعلم ، ثم قال : ويشهد لذلك أن الله ضاعف لهذه الأمة لكونها خير أمة أخرجت للناس أجرها مرتين ، قال الله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ } (الحديد : ٢٨)..... " (٢) .

ثالثاً : حمله للمجمل على المفصل من آيات القرآن الكريم :

هناك بعض الآيات القرآنية وردت مجملة في القرآن الكريم ، وفصلت في مواضع أخرى وقد اهتم ابن رجب الحنبلي بهذا النوع وبذل في ذلك جهداً لا بأس به ، مثال ذلك : ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (لقمان : ٣٤) : حيث قال : هذه مفاتيح الغيب الذي لا يعلمها إلا الله " ، وهذا إشارة منه إلى أن هذه الآية هي تفسير وبيان لما أجمل في قوله تعالى : { وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا

---

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ٣ / ٩٥٥ .

(٢) فتح الباري : ١ / ٤٧٥ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى : انظر مجموع رسائل الحافظ لابن رجب : ١/ ٢٠٥ رسالة شرح حديث مثل الإسلام .

رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } (الأنعام : ٥٩) ، ويؤكد هذا التفسير حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } (لقمان: ٣٤) .." (١)..."(٢).

رابعاً : نصه في الغالب على الآية المفسرة للآية الأخرى – كما في الأمثلة المتقدمة – وأحياناً يشير إليها دون أن يذكر نصها، من أمثلة ذلك ما يلي :

١– عند تفسيره لقوله تعالى : { صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ } (الفاتحة : ٧) ، أشار إلى ما ورد في تفسيرها من القرآن الكريم دون أن يذكر نص الآية المفسِرة فقال : " وقد وصف الله الصراط بأنه : " صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ " (الفاتحة : ٧) ثم سمَّى الذين أنعم عليهم في سُورة النساءِ ، وجعلَهُم أربعةَ أصنافٍ : النبيينَ والصِّديقينَ والشُّهداءَ والصالحينَ . فدلَّ على أنَّ هؤلاءِ كلَّهُم علَى هذا الصراطِ المستقيم " (٣) ، وهذا إشارة منه إلى قوله تعالى : { وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا}(النساء/٦٩) ، ، وقال في موضع آخر : " بعد ذلك الدعاء بهداية الصراط المستقيم؛ صراط المنعم عليهم، وهم الأنبياء وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين، كما ذكر ذلك في سورة النساء ، فمن استقام على هذا الصراط حصل له سعادة الدنيا والآخرة، واستقام سيره على الصراط يوم القيامة، ومن خرج عنه فهو إما مغضوب عليه، وهو من يعرف طريق الهدى ولا يتبعه كاليهود، أو ضال عن طريق الهدى كالنصارى ونحوهم من المشركين " (٤) .

٢– ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُباً إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا } (النساء : ٤٣) ، حيث قال : " فنهي عن قربان الجنب الصلاة حتى يغتسل ، فصرح هنا بالغسل ، وهو تفسير التطهير المذكور في آية المائدة (٥) ، يقصد تفسير لقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا .....} الآية (المائدة/٦) .

فهذه كلها جهود عظيمة بذلها هذا العالم الجليل في تفسير القرآن بالقرآن تذكر فيشكر عليها ، وتدل أنه كان يهتم بهذا النوع من التفسير، وأنه المصدر الأول للتفسير المعتمد عنده .

---

(١) صحيح الإمام البخاري ، كتاب تفسير القرآن– باب قوله: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ } (لقمان: ٣٤) : ٦ / ١٥٥ ، حديث رقم : ٤٧٧٨.

(٢) فتح الباري : ١ / ٢١٥ .

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ١٩٤ ، رسالة شرح حديث مثل الإسلام انظر .

(٤) فتح الباري : ٧ / ١٠٢ .

(٥) فتح الباري : ١ / ٢٣١ .

المطلب الثاني : جهوده في تفسير الآيات القرآنية بالسنة النبوية :

تفسير القرآن بالسنة هو المصدر الثاني من مصادر التفسير بالمأثور ، وهو مصدر متفق عليه من قبل العلماء يقول السيوطي : " من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر منه فإن أعياه ذلك طلبه من السنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له " (١) ، و قال ابن تيمية رحمه الله : " السنة تفسر القرآن وتدل عليه وتعبر عنه " (٢) وقد وكِل الله – عز وجل – مهمة تفسير القرآن الكريم لرسوله – صلى الله عليه وسلم – فقال : { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل : ٤٤) و قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه " (٣) ، قال ابن القيم رحمه الله بعد أن صحح هذا الحديث : وهذا هو السنة بلا شك ، وقد قال تعالى { وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }(النساء/١١٣)، وهما القرآن والسنة " (٤) .

وتفسير السنة للقرآن وبيان معانيه هي الحكمة التي آتاها الله تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم – وأمره أن يعلمها لأمته يقول ابن رجب : " و قوله : { وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} [آل عمران ١٦٤] يعني بالكتاب : القرآن و المراد تلاوة ألفاظه و يعني بالحكمة : فهم معاني القرآن و العمل بما فيه فالحكمة هي : فهم القرآن و العمل به فلا يكفي بتلاوة ألفاظ الكتاب حتى يعلم معناه و يعمل بمقتضاه فمن جمع له ذلك كله فقد أوتي الحكمة قال تعالى : { يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } (البقرة : ٢٦٩) ، ثم قال : " و من قال الحكمة : السنة فقوله الحق لأن السنة تفسر القرآن و تبين معانيه و تحض على اتباعه و العمل به فالحكيم هو العالم المستنبط لدقائق العلم المنتفع بعلمه بالعمل به " (٥) .

لهذا كله أدراك ابن رجب الحنبلي قيمة تفسير القرآن بالسنة؛ لذا نجده قد اهتم به اهتماماً بالغاً في كثير من كتبه ورسائله، وبذل في ذلك جهداً عظيماً وسلك في ذلك مسلكاً فريداً يتمثل هذا الجهد وذاك المسلك فيما يلي :

أولاً : جمعه لكثير من الأحاديث التي توضح آيات القرآن الكريم وتفسرها ، وهذا كثير في مصنفاته .

ثانياً : تخريجه في الغالب لهذه الأحاديث وعزوها إلى مصادرها .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٤ /٢٠٠ .

(٢) دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية : ٢ / ٢٦ .

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند : ٢٨ / ٤١٠ ، حديث رقم : ١٧١٧٣ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده صحيح ، وأبو داود في سننه : كتاب السنة– باب لزوم السنة : ٧/ ١٣ ، حديث رقم : ٤٦٠٤ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده صحيح .

(٤) التبيان في أقسام القرآن ٢٤٩ .

(٥) لطائف المعارف ص : ١٦٨.

ثالثاً : الحكم على هذه الأحاديث غالباً – ما لم تكن في الصحيحين – إما بنقل حكم غيره من العلماء عليها أو قيامه هو بذلك لأنه – رحمه الله – كان مفسراً محدثاً مدققاً ذا باع طويل في تخريج الأحاديث والحكم عليها .

رابعاً : اقتصاره أحياناً عند نقل هذه الأحاديث على ذكر الراوي الأعلى للحديث دون ذكر باقي الإسناد .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١– ما خرجه وأسهب في تخريجه عند تفسيره لقوله تعالى : { قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلاَ دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا } (الفرقان/٧٧) ، حيث قال : " الدعاء هو العبادة، ثم قال : كذا روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من حديث النعمان بن بشير، وتلا قوله تعالى: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ }(غافر/٦٠) ، خرجه الإمام أحمد (١) ، وأبو داود (٢) ، والترمذي(٣) ، والنسائي(٤)، وابن ماجة(٥) ..." (٦) .

٢– ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ } (النساء : ١٢٣) وعزاه لمصدره ، وصدره بالحكم عليه واكتفى بذكر الراوي الأعلى للحديث فقال : " وفي مسند بقي بن مخلد (٧) " بإسناد جيد عن عائشة – رضي الله عنها :" أن رجلاً تلا هذه الآية { مَنْ يَعْمَلْ سُوْءًا يُجْزَ بِهِ } (النساء : ١٢٣)، فقال إنا لنجزي بكل عمل عملنا ؟ هلكنا إذاً فبلغ ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : " نعم يجزى به المؤمن في الدنيا في نفسه ، في جسده فما دونه ".. " (٨) .

٣– ما عزاه للصحيحين عند تفسيره لقوله تعالى : { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } : حيث قال : " وقد ثبت في " الصحيحين " (٩) ، عن أبي هريرة ، عن النبي – صلى الله عليه وسلم ، قال : " يجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر " ، ثم يقول أبو هريرة : اقرءوا إن شئتم : { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٣٠ / ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، حديث رقم : ١٨٣٥٢ وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) إسناده صحيح .

(٢) سنن أبي داود أبواب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيله – باب الدعاء : ٢ / ٧٦ ، حديث رقم : ١٤٧٩، وصححه الألباني .

(٣) سنن الترمذي – كتاب التفسير – باب ومن سورة البقرة : ٥ / ٦٠ ، حديث رقم : ٢٩٦٩ وقال : حسن صحيح.

(٤) السنن الكبرى للنسائي : كتاب التفسير – سورة غافر : ١٠ / ٢٤٤ ، حديث رقم : ١١٤٠٠ .

(٥) سنن ابن ماجة : أبواب الدعاء – باب فضل الدعاء :٥ / ٥ ، حديث رقم : ٣٨٢٨ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده صحيح .

(٦) راجع فتح الباري : ١ /٢٠ ، ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٣ / ١٣٣ ، رسالة بعنوان : " نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس " .

(٧) لم يطبع من مسند بقي ابن مخلد سوى المقدمة بتحقيق أكرم ضياء العمري وبقية الكتاب ما زال مخطوطاً ، والحديث رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده : ٨ / ٣٥ ، حديث رقم : ٤٦٧٥ ، وقال المحقق : (حسين سليم أسد) : إسناده صحيح .

(٨) انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢/ ٣٧٧،٣٧٨، رسالة البشارة العظمى للمؤمن بأن حظه من النار الحمى .

(٩) انظر صحيح الإمام البخاري: كتاب الآذان – باب فضل صلاة الفجر في جماعة : ١ / ١٣١ ، حديث رقم : ٦٤٨ ، وصحيح الإمام مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها : ١ / ٤٥٠ ، حديث رقم : ٦٤٩ .

قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا } .." ([1]) فقد أورد هذا الحديث وعزاه لمصدره واكتفى بذكر الراوي الأعلى له ، ولم يحكم عليه لكونه في الصحيحين .

٤- ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } (المطففين : ١٤) وعزاه لمصدره ونقل حكم الترمذي عليه : فقال : " وفي "المسند " (٢) وسنن والترمذي (٣) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صُقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى يعلو قلبه ، ذاك الران الذي ذكر الله – عز وجل – في القرآن : " {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}(المطففين/١٤)، وقال الترمذي صحيح (٤) .

٥- ما عزاه للترمذي ([5]) « من حديث السدي، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وآله وسلم – في قوله تعالى.{ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً} (الإسراء /٧١) قال: يدعى أحدهم، فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ستون ذراعاً، ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من نور يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد، فيقولون: اللهم آتنا بهذا، وبارك لنا في هذا، حتى يأتيهم فيقول لهم: أبشروا! لكل رجل منكم مثل هذا.....» الحديث ، ثم نقل حكم الترمذي عليه فقال : وقال: حسن غريب " ([6]) .

ويلاحظ أنه في كل ما سبق لم يذكر الأحاديث الواردة في التفسير بأسانيدها ، لكن أحياناً يخرجها بأسانيدها ويعزوها لمصدرها وكثيراً ما يحكم عليها مثال ذلك :

١- ما أخرجه عند تفسيره لقوله تعالى : { لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } (الأعراف : ٤١) " عن أبي الحسن بن البراء أنه قال : حدثنا محمد بن الصالح حدثنا عمار بن محمد عن ليث عن المنهال عن زاذان عن البراء عن النبي – صلى الله عليه و سلم – في قوله تعالى : { لَهُمْ مِنْ

([1]) فتح الباري : ٤ / ١٧٥.

(٢) انظر المسند : ١٣ / ٣٣٤ ، حديث رقم : ٧٩٥٣ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط): إسناده قوي .

(٣) انظر سنن الترمذي – كتاب التفسير – باب ومن سورة ويل المطففين : ٥ / ٢٩١، حديث رقم : ٣٣٣٤ ، وقال حسن صحيح .

([4]) ذم قسوة القلب ص: ٦٦ .

([5]) راجع سنن الترمذي : كتاب التفسير – باب ومن سورة بني إسرائيل : ٥ / ١٥٣ ، ١٥٤ ، حديث رقم ٣١٣٦ ، وقال هذا حديث حسن غريب .

(٦) التخويف من النار ص : ١٧٤ .

جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ } (الأعراف : ٤١) قال يكسى الكافر في قبره ثوبين من نار فذلك قوله سبحانه وتعالى : { وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ } ثم حكم عليه ابن رجب فقال : غريب منكر (١) .

٢- ما خرجه عند تفسيره لقوله تعالى{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } (طه : ١٢٤) من رواية منصور بن صقير عن حماد بن سلمة عن أبي حازم عن النعمان بن أبي عياش عن أبي سعيد أن النبي – صلى الله عليه و سلم – قال في هذه الآية { وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا } (طه : ١٢٤) : المعيشة الضنك عذاب القبر يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ولا يزال يعذب حتى يبعث خرجه الخلال ، ثم قال ابن رجب : ومنصور بن صقير فيه ضعيف " (٢) .

٣- ما خرجه عن ابن أبي حاتم (٣) في تفسير قوله تعالى : {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}(التكوير/١)، أنه " قال حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن أبي صالح، عن أبي بكر بن أبي مريم، عن أبيه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال في قوله: {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}(التكوير/١) ، قال: "كورت في جهنم "، {وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ} (التكوير/٢). ، قال: "انكدرت في جهنم، وكل من عبد من دون الله فهو في جهنم، إلا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا لدخلاها" ، ثم قال ابن رجب : غريب جداً ، وأبو بكر بن أبي مريم فيه ضعف " (٤).

وما ذكره عن أبي يعلى(٥) في تفسير هذه الآية – أيضاً : حيث قال " وخرج أبو يعلى من رواية درست بن زياد عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: " الشمس والقمر ثوران عقيران في النار" ثم قال ابن رجب : وهذا إسناد ضعيف جداً " (٦).

وأحياناً يذكر الحديث بلا تخريج ولا عزو لمصدره ولا الحكم عليه لكن هذا قليل مثال ذلك :

قوله عند تفسيره لقوله تعالى: { وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِي}(البقرة/١٥٢)، وقوله: { وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ}(النحل/١١٤) : " شكر النعم، مأمور به ، والشكر بالقلب واللسان والعمل بالجوارح ،

---

(١) أهوال القبور ص : ١٠٥ ، والحديث رواه أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني في مسنده : ١ / ٢٦٢ ، حديث رقم : ٣٩٠

(٢) أهوال القبور ص : ٩٥ ، والحديث رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده : ١١ / ٥٢١ ، حديث رقم : ٦٦٤٤ ، وقال المحقق : إسناده حسن .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم : ١٠ / ٣٤٠٢ ، والحديث اورده السيوطي في اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة وعزاه لابن أبي حاتم : ١ / ٧٦ ، والصحيح ما رواه البخاري مرفوعاً : «الشمس والقمر مكوران يوم القيامة» بدون زيادة : " في جهنم " : صحيح البخاري كتاب بدء الخلق ، باب صفة الشمس والقمر بحسبان : ٣ / ٦٤ ، برقم : ٤٤٠٣ .

(٤) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص : ١٣٢ .

(٥) انظر مسند أبي يعلى الموصلي : ٧ / ١٤٨ ، حديث رقم : ٤١١٦ ، وقال المحقق : إسناده ضعيف جداً .

(٦) التخويف من النار ص : ١٣٣ ، وانظر ص : ١٤ – ٢٠ ذكر عدة أحاديث مرفوعة في تفسير بعض آيات سورة المدثر وحكم علي معظمها ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع : أهوال القبور ص : ٥٤ ، و جامع العلوم والحكم : ١ / ٤١١ – ٤١٤ ، ٢ / ١٤٢ ، ١٤٣ . وغيرهما من مصنفات ابن رجب .

فالشكر بالقلب: الاعتراف بالنعم للمنعم، وأنها منه وبفضله، وجاء من حديث عائشة مرفوعًا: " ما أنعم الله على عبد نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله له شكرها " (١) ، ومن الشكر بالقلب محبة الله عَلَى نعمه، ومنه حديث ابن عباس المرفوع: "أحبوا الله لما يغدوكم من نعمه " (٢) ، والشكر باللسان: الثناء بالنعم وذكرها، وتعدادها وإظهارها ، قال الله تعالى: {وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ} (الضحى /١١) وفي حديث النعمان بن بشير المرفوع: « التحَدث بالنعم شكر وتركها كفر»(٣) ، والشكر بالجوارح : أن لا يستعان بالنعم إلا عَلَى طاعة الله عز وجل، وأن يحذر من استعمالها في شيء من معاصيه ، قال تعالى: { اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا } (سبأ/١٣) ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم– يقوم حتى تتورم قدماه، ويقول: ««أفلا أكون عبدًا شكورًا»(٤)...» (٥) .

خامساً : إذا كان سند الحديث الوارد في التفسير ضعيفاً نجده ينظر إلى المتن فإن كان مقبولاً لوجود شاهد أو شواهد أخرى (٦) صحيحة تقويه أو دليل من القرآن يعضده بيَّنه ، مثال ذلك :

١– ما نقله عن ابن جرير،(٧) وابن أبي حاتم(٨)، والطبراني(٩) من رواية مطهر بن الهيثم، عن موسى بن علي بن رباح، عن أبيه، عن جده أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: لجده «يا فلان ما ولد لك؟ قال يا رسول الله، وما عسى أن يولد لي؟ إما غلام وإما جارية، قال: فمن يشبه؟ قال من عسى أن يشبه؟ يشبه أمه أو أباه، قال: فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – لا تقولن كذا، إن النطفة إذا استقرت في الرحم، أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم، أما قرأت هذه الآية { فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ} (الانفطار/٨) ، قال: سلكك» وهذا إسناد ضعيف ومطهر بن الهيثم ضعيف جداً : وقال البخاري: هو حديث لم يصح وذكر

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط : ٣ / ١٢٣ ، حديث رقم : ٢٦٧٦ ، والحاكم في المستدرك : ١ / ٦٩٥ ، حديث رقم : ١٨٩٤ ، وقال : " لا أعلم في إسناده أحدا ذُكر بجرح ، ولم يخرجاه ".

(٢) رواه الترمذي في سننه : كتاب المناقب – باب مناقب أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم : / ١٣٤ ، برقم : ٣٧٨٩ ، وقال : حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ، ورواه الحاكم في المستدرك ، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم ، باب ومن مناقب أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ٣ / ٢٦٢ ، حديث رقم : ٤٧١٦ ، وصححه ، ووافقه الذهبي

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده : ٣٠/ ٣٩٠ ، حديث رقم : ١٨٤٤٩، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف .

(٤) رواه البخاري في صحيحه : كتاب التفسير – باب قوله تعالى :{ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا} (الفتح/٢) : ٦ / ١٣٥ ، حديث رقم : ٤٨٣٦ .

(٥) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ٣٤٩ – ٣٥١ ، رسالة بعنوان : جزء من الكلام على حديث شداد بن أوس " إذا كنز الناس الذهب والفضة " ، بحذف .

(٦) الشواهد : جمع شاهد، وهو نوع من المتابعة، لكنه خاص بمن روى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الصحابي، فهو: متابعة صحابي لصحابي آخر في متن حديث لفظاً أو معنى ، انظر تحرير علوم الحديث لعبد الله بن يوسف الجديع ، ص : ١ / ٥٤ .

(٧) تفسير الطبري : ٢٤ ، ٩٢ .

(٨) تفسير القرآن العظيم : ١٠/ ٣٤٠٨ .

(٩) المعجم الكبير للطبراني : ٥ / ٧٤ ، حديث رقم : ٤٦٢٤ .

بإسناده عن موسى بن علي، عن أبيه أن أباه لم يسلم إلا في عهد أبي بكر الصديق يعني: أنه لا صحبة له ، ثم أورد ابن رجب شاهداً لمتن هذا الحديث فقال : ويشهد لهذا المعنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – للذي قال له : ولدت امرأتي غلاماً أسود قال: «لعله نزعه عرق» (١)..." (٢) .

٢– ما عزاه للطبري(٣) عند تفسيره لقوله تعالى : { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ } (الحديد : ١٩) " من طريق إسماعيل بن يحيى التميمي عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن البراء بن عازب عن النبي – صلى الله عليه و سلم – قال : مؤمنو أمتي شهداء ثم تلا رسول الله – صلى الله عليه و سلم : { وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ } (الحديد : ١٩) ، ثم حكم ابن رجب على أحد رجال هذا الإسناد بالضعف فقال : وإسماعيل هذا ضعيف جداً ثم صحح متن هذه الرواية ومعناها فقال : ويعضد هذا ما ورد في تفسير قوله تعالى : { لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا } (البقرة : ١٤٣) من شهادة هذه الأمة للأنبياء بتبليغ رسالاتهم"... " (٤)، من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره: { وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} (البقرة : ١٤٣) والوسط العدل " (٥) .

سادساً : شرحه أحياناً لبعض الأحاديث التي وردت في تفسير الآيات القرآنية والتعليق عليها والتوجيه لها :

وهذا كثير جداً في كتبه التي اهتمت بشرح الأحاديث كـ " فتح الباري " و " جامع العلوم والحكم " وغيرهما ، ورسائله خاصة التي صنفها في شرح بعض الأحاديث كرسالة " غاية النفع في شرح حديث "تمثيل

---

(١) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الطلاق – باب إذا عرض بنفي الولد : ٧ / ٥٣ ، حديث رقم : ٥٣٠٥ .

(٢) جامع العلوم والحكم : ١ / ١٥٥ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ٢٣ / ١٩٣ ، والحديث أورده ابن كثير في تفسيره : ٨/ ٢٣ ، وعزاه للطبري ثم قال هذا حديث غريب .

(٤) أهوال القبور ص : ١٦٩ .

(٥) صحيح الإمام البخاري :كتاب أحاديث الأنبياء – {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (نوح/١) : ٤ / ١٣٤ ، حديث رقم : ٣٣٣٩ .

المؤمن بخامة الزرع" (١) ورسالة : " شرح حديث "مثل الإسلام" (٢) ورسالة في شرح حديث " لبيك اللهم لبيك " (٣) ، وغيرها ، ومن أمثلة ما ذكره في هذه المصنفات وغيرها ما يلي :

١- ما نقله عن الإمام أحمد (٤) عند تفسيره لقوله تعالى : { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا }" (الكهف : ٢٩) وحكم على إسناده بأن : " فيه نظر عن يعلى بن أمية عن النبي صلى الله عليه و آله وسلم قال : البحر هو جهنم فقالوا ليعلى قال : ألا ترون أن الله – عز و جل يقول : { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا } (الكهف : ٢٩) قال : لا والذي نفس يعلى بيده لا أدخلها أبدا حتى أعرض على الله – عز و جل – و لا يصيبني منها قطرة حتى ألقى الله – عز و جل – ثم قال ابن رجب شارحاً لهذه الرواية : و هذا إن ثبت فالمراد به أن البحار تفجر يوم القيامة فتصير بحراً واحداً ثم تسجر و يوقد عليها فتصير ناراً و تزاد في نار جهنم " (٥) .

٢- ما ذكره في رسالته " لبيك اللهم لبيك " عند بيانه لمعنى قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وَمِنْكَ وَبِكَ وَإِلَيْكَ " (٦) عني: أنَّ مبدأ الخير منك؛ كما قال تعالى: { وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ }(النحل/٥٣) ، وقال: { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ }(الجاثية/١٣) ، فالله تعالى هو المبُتدئ بالخير، فمنه بدأ ونشأ، والخيرُ به، يعني: أنَّ دوامه واستمراره وثبوته بالله، ولو شاء الله لنزعه وسلبه صاحبه، وقد قال لنبيه – صلى الله عليه وسلم : { وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً}(الإسراء/٨٦) ، { إِلاَّ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا } (الإسراء : ٨٦ ، ٨٧) ، يعني: أنَّ دوام هذه النعمة عليك من الله كما أن ابتداءها منه ، والخيرُ إِلَيْهِ: بمعنى أَنَّه يرجع بصاحبه إِلَى الله في الآخرة، وإِلى جِواره وقُربه في جنات النعيم ، فينتهي الخيرُ بصاحبه إِلَى الله عزَّ وجلَّ (٧) .

٣- ما أورده من حديث « معاذ – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار، قال: لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه: تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ، ثم قال: ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا: {تَتَجَافَى

---

(١)انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ٢٠٩ .

(٢) انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ١٨٩ .

(٣) المرجع السابق : ١ / ٩٧ .

(٤) انظر مسند الإمام أحمد : ٢٩ / ٤٧٩ ، حديث رقم : ١٧٩٦١ ، وقال المحقق : إسناده ضعيف .

(٥) التخويف من النار ص : ٦٤ .

(٦) رواه الإمام أحمد في المسند : ٣٥ / ٥٢٠ حديث رقم : ٢١٦٦٦ ، وقال المحقق : إسناده ضعيف لانقطاعه . ورواه الحاكم في المستدرك : ١ / ٦٩٧ ، حديث رقم : ١٩٠٠ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه .

(٧) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ١٠٢ ، ١٠٣ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع : لطائف المعارف ص : ٤٨٨ .

جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَضَاجِعِ } حتى بلغ: {يَعْمَلُونَ} (السجدة: ١٦ – ١٩) .. " (١) ، ثم قال ابن رجب معلقاً على هذا الحديث وشارحاً له : يعني: أن النبي– صلى الله عليه وسلم – تلا هاتين الآيتين عند ذكره فضل صلاة الليل، ليبين بذلك فضل صلاة الليل " (٢) .

سابعاً : ربطه بين كثير من آيات القرآن الكريم وبعض الأحاديث النبوية من حيث المقصد والمعنى بما أوتي من علم وفهم وهذا كثير جداً في رسائله وكتبه ، من أمثلة ذلك ما يلي :

١– ما أورده عند شرحه لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " قل : آمنتُ باللهِ ، ثُمَّ استقم " (٣) حيث قال : " هذا منتزع من قوله – عز وجل – { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } (فصلت/٣٠) ، وقوله – عز وجل – { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ } (الأحقاف/١٣) (٤).

وقال في موضع آخر : " وقوله – صلى الله عليه وسلم –: "إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله "(٥) ، هذا منتزع من قوله تعالى: { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ } (الفاتحة/٥) ، فإن السؤال لله هو دعاؤه والرغبة إليه...." (٦) .

٢– وعند شرحه لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " المسلمُ أخو المسلم ، لا يظلِمُه ، ولا يَخذُلُه ، ولا يَكذِبُه ، ولا يَحقِرُه " (٧) نراه يقول : هذا مأخوذ من قوله – عز وجل – : { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ }(الحجرات/١٠). فإذا كان المؤمنون إخوةً ، أُمروا فيما بينهم بما يُوجب تآلُفَ القلوب واجتماعَها ، ونُهوا عمَّا يوجبُ تنافرَ القلوب واختلافَها ، وهذا من ذلك " (٨).

٣– وعند شرحه لحديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " « وأن مع العسر يسراً » (١) نجده يقول : هو منتزع من قوله تعالى: { سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } (الطلاق/٧)...." (٢) .

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند : ٣٦ / ٣٤٤ ،٣٤٥ ، حديث رقم : ٢٢٠١٦ ، وقال المحقق إسناده صحيح بطرقه وبشواهده .

(٢) جامع العلوم والحكم : ٢ / ١٣٤ ، ١٤٢ .

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان – باب جامع أوصاف الإسلام : ١ / ٦٥ ، حديث رقم : ٣٨ .

(٤) جامع العلوم والحكم ص :١ / ٥٠٧ ، وانظر : ١ / ٤٧٨ ، ٤٩١ .

(٥) رواه الترمذي في سننه : أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باب ٥٩ : ٤ / ٢٤٨ ، حديث رقم : ٢٥١٦ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

(٦) جامع العلوم والحكم : ١ / ٤٧٨ .

(٧) رواه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله : ٤ / ١٩٨٦ ، ٣٦ ، حديث رقم : ٢٥٦٤ .

(٨) جامع العلوم والحكم ص : ٢٧٣/٢ ومن أراد المزيد من تفسير ابن رجب للقرآن بالسنة فليرجع إلى : رسالته المسماة بالتخويف من النار ص :٧٤،٩١، ٢٤٦، ٤٣٢ ، وشرح حديث " لبيك اللهم لبيك " ص : ٨٧ ، و نزهة الأسماع في مسألة السماع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢ / ٤٧٤ ، و البشارة العظمى ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢/ ٣٧٧،٣٧٨ ، فتح الباري : ١ / ٢١٥ ، : ٢ / ٦ . ونور الاقتباس ص : ٩٩ .

٤- وقوله عند شرحه لحديث جبريل : " والعلامة الثانية " أن ترى الحفاة العراة العالة " (٣) والمراد بالعالة الفقراء كقوله تعالى : {وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى } (الضحى : ٨) (٤).

ويلاحظ في الأمثلة السابقة أنه قد ربط ابن رجب بنفسه بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الواردة في تفسيرها وأحياناً ينقل هذا عن غيره كما في المثال التالي :

٥- ما عزاه لمحمد بن كعب القرظي أنه استنبط ما في هذا الحديث - أعني حديث: «آية المنافق ثلاث» (٥) من القرآن، فقال: مصداق ذلك في كتاب الله تعالى: { إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}(المنافقون/١). ، وقال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ }(التوبة/٧٥). إلى قوله: {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ}(التوبة : ٧٥ - ٧٧)، وقال: {إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ }(الأحزاب/٧٢). الأحزاب إلى قوله: {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ }(الأحزاب: ٧٢ ، ٧٣). وروي عن ابن مسعود نحو هذا الكلام، ثم تلا قوله: {فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ }(التوبة/٧٧). الآية " (٦) .

ثامناً : تأكيده لما ورد في بعض الآيات القرآنية من معان ودلالات بما جاء في السنة النبوية :

كثيراً ما نجد ابن رجب الحنبلي في كتبه ورسائله يؤكد ما ورد في بعض آيات القران الكريم بما جاء في السنة النبوية من حيث المعنى، وما دل عليه كل منهما، وتفصيل ذلك كله وتوجيهه ، والأمثلة على هذا كثيرة من ذلك ما يلي :

١- قال في رسالته الموسومة بـ " غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع "(٧) وقد ضرب الله ورسوله مثل الإيمان والإسلام بالنخلة ، قال الله تعالى: { أَلَمْ تَرَى كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ

---

(١) جزء من حديث طويل رواه الإمام أحمد : ٥ / ١٨ ، ١٩ ، حديث رقم : ٢٨٠٢ ، وقال المحقق : إسناده صحيح .

(٢) جامع العلوم والحكم : ١ / ٤٩١ .

(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه : كتاب الإيمان - باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة : ١ / ٣٥ ، ٣٦ ، حديث رقم : ٨ .

(٤) شرح حديث جبريل ص : ٤٢ .

(٥) الحديث رواه : البخاري في صحيحه : كتاب الإيمان- باب علامة المنافق: ١ / ١٦ ، حديث رقم : ٣٣ ، ومسلم في صحيحه : كتاب الإيمان - باب بيان خصال المنافق : ١ / ٧٨ ، حديث رقم : ٥٩ .

(٦) فتح الباري : ٢ / ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ومن أراد الاطلاع على المزيد من الأمثلة فيراجع : فتح الباري : ١ / ١٨٢ ، جامع العلوم والحكم : ٢ ، ٣٠٦ ، ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي ١ / ٩٧ ، وما بعدها رسالة بعنوان : " شرح حديث لبيك اللهم لبيك " ، و نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس رضي الله عنه ص : ١٢ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٤٩ .

(٧) الحديث رواه البخاري في صحيحه : كتاب التوحيد - باب في المشيئة والإرادة : ٩ / ١٣٧ ، حديث رقم : ٧٤٦٦ ، ومسلم في صحيحه : كتاب صفة القيامة والجنة والنار- باب مثل المؤمن كالزرع ومثل الكافر كشجر الأرز : ٤ / ٢١٦٣ ، حديث رقم : ٢٨٠٩ .

طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ } (إبراهيم/٢٤)، فالكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد وهي أساس الإسلام، وهي جارة على لسان المؤمن وثبوت أصلها هو ثبوت التصديق بها في قلب المؤمن، وارتفاع فرعها في السماء هو علو هذه الكلمة وبسوقها وأنها تحرق الحجب ولا تتناهى دون العرش، وإتيانها أكلها كل حين: هو ما يرفع بسببها للمؤمن كل حين من القول الطيب والعمل الصالح، فهو ثمرتها ، وجعل النبي صلي الله عليه وسلم مثل المؤمن أو المسلم كمثل النخلة (١) .

٢- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ } (الحجر: ٤٣ ، ٤٤) ، حيث أكد ما دلت عليه هذه الآية الكريمة بما : خرجه الإمام أحمد (٢) والترمذي(٣) ، «من حديث ابن عمر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن لجهنم سبعة أبواب، باب منها لمن سل سيفه على أمتي» ، وخرج الإمام أحمد(٤) ، «من حديث عتبة بن عبد السلمي، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إن للجنة ثمانية أبواب، ولجهنم سبعة أبواب، وبعضها أفضل من بعض» .... » (٥) .

وأحياناً يؤكد ما جاء في السنة بما ورد في القرآن الكريم وهذا كثير في مصنفاته من ذلك :

١- قوله عند شرحه لحديث ابن عباس – رضي الله عنهما – الذي جاء فيه أن النبي – صلى الله عليه وسلم قال : «أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة، وأشار بيده على أنفه واليدين والركبتين، وأطراف القدمين ولا نكفت الثياب والشعر»(٦) : معنى " نكفت " –أي: نضم ونجمع، ثم أكد هذا المعنى بالقرآن الكريم فقال : " ومنه قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلْ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} (المرسلات : ٢٥ ، ٢٦). أي: نكفتهم ونضمهم ونجمعهم وهم أحياء على ظهرها، وإذا ماتوا ففي بطنها " (٧) .

٢- وقوله بعد أن ذكر حديث رؤية الله تعالى يوم القيامة (٨) : " وقد دل القرآن على ما دل عليه هذا الحديث في مواضع، كقوله: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنْ الْغَمَامِ (البقرة/٢١٠).. وقال: {هَلْ

---

(١) فتح الباري : ١ / ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) المسند : ٩ / ٥٠٠ ، حديث رقم : ٥٦٨٩ ، وقال المحقق : إسناده ضعيف .

(٣) سنن الترمذي : كتاب التفسير – باب: ومن سورة الحجر : ٥ / ١٤٨ ، حديث رقم : ٣١٢٣ /، وقال : هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث مالك بن مغول.

(٤) مسند الإمام أحمد : ٢٩ / ٢٠٣ ، حديث رقم : ١٧٦٥٧ ، وقال المحقق : إسناده ضعيف .

(٥) التخويف من النار ،ص : ٧٩ .

(٦) صحيح البخاري : كتاب الآذان – باب السجود على الأنف: ١ / ١٦٢ ، حديث رقم : ٨١٢ ، وصحيح مسلم : كتاب الصلاة – باب أعضاء السجود،: ١ / ٣٥٤ ، حديث رقم : ٤٩٠ .

(٧) فتح الباري : ٧ / ٢٥٥ .

(٨) رواه البخاري في صحيحه كتاب الآذان – باب فضل السجود : ١ / ١٦٠ ، حديث رقم : ٨٠٦ ، طرفه : «هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب» قالوا: لا يا رسول الله ... " الحديث .

يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ تَأْتِيَهُمْ الْمَلاَئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ }(الأنعام/١٥٨). وقال: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا } (الفجر/٢٢)..." (١) .

٣- ما ذكره عند شرحه لحديث تحويل القبلة حيث قال : " وقوله " وكان يعجبه " يعني: النبي صلى الله عليه وسلم - " أن تكون قبلته قبل البيت " (٢)- يعني الكعبة - ثم أكد هذا الحديث فقال : هذا يشهد له قول الله تعالى {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ } (البقرة /١٤٤). ..." (٣).

المطلب الثالث : جهوده في تفسير القرآن المبين بأقوال الصحابة والتابعين :

إن تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم - هو مصدر أصيل من مصادر التفسير، ويلي تفسير القرآن بالسنة في الأهمية لكون الصحابة - رضوان الله عليهم - عرباً خلصاً ، وعاصروا نزول الوحي فهم أدرى من غيرهم بتفسير كتاب الله - تعالى - وذلك أيضاً " لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا به ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة والخلفاء المهديين وعبد الله بن مسعود والحبر والبحر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم جميعاً " (٤) ، أما التابعون فلقرب عهدهم بنزول القرآن الكريم، واختلاطهم بالصحابة وعربيتهم الخالصة التي لم يخالطها عجمة كانوا على علم ودراية بتفسير كتاب الله - عز وجل - " وقد تلقوا التفسير عن الصحابة رضوان الله عليهم كما تلقوا عنهم علم السنة وإن كانوا قد يتكلمون في بعض ذلك بالاستنباط والاستدلال، كما يتكلمون في بعض السنن بالاستنباط والاستدلال كمجاهد بن جبر فإنه آية في التفسير ، وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وغيرهم " (٥)، فتفسير التابعين أيضاً له قدره وقيمته ، لأنه إما منقول عن الصحابة - رضوان الله عليهم - أو صادر منهم على سبيل الاجتهاد القائم عن العلم والمعرفة بالقرآن الكريم والسنة النبوية ولغة العرب، وهم من خير القرون الذين قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - عنهم : " خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» (٦) .

وقد عرف ابن رجب قدر تفسير الصحابة والتابعين وقيمته وفضله على غيره فقال : " فأفضل العلوم في تفسير القرآن ومعاني الحديث والكلام في الحلال والحرام ما كان مأثوراً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم

---

(١) فتح الباري : ٧ / ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان- باب: الصلاة من الإيمان: ١ / ١٧ ، حديث رقم : ٤٠ .

(٣) انظر فتح الباري : ١ / ١٧٨ - ١٨٢ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع : جامع العلوم والحكم : ١ / ٢٩٥ .

(٤) انظر مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص: ٩٥ ، ٩٦ .

(٥) المرجع السابق ص : ٣٧ ، ٣٨ ، ١٠٢، ١٠٤ .

(٦) رواه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب الشهادات- باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد : ٢ / ١٧١ ، حديث رقم : ٢٦٥١ ، والإمام مسلم في صحيحه : كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم- باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم: ٤ / ١٩٦٢ ، حديث رقم : ٢٥٣٣ .

إلى أن ينتهي إلى أئمة الإسلام المشهورين المقتدى بهم ثم قال : وأما ما كان مخالفاً لكلامهم فأكثره باطل أو لا منفعة فيه ، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة مالا يهتدى إليه من بعدهم ولا يلم به ، فمن لم يأخذ العلم من كلامهم فاته ذلك الخير كله مع ما يقع في كثير من الباطل متابعة لمن تأخر عنهم، ويحتاج من أراد جمع كلامهم إلى معرفة صحيحة من سقيمه وذلك بمعرفة الجرح والتعديل والعلل فمن لم يعرف ذلك فهو غير واثق بما ينقله من ذلك ويلتبس عليه حقه بباطله، ولا يثق بما عنده من ذلك " (١)، أدرك ابن رجب الحنبلي قيمة هذا النوع من التفسير وفضله فاهتم به اهتماماً كبيراً وبذل فيه جهداً عظيماً يذكر فيشكر عليه وهو الغالب في كتبه ورسائله التي اهتم فيها بتفسير القرآن الكريم ويتضح جهده واهتمامه بذلك فيما يلي :

أولاً : استعراضه لأقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآيات القرآنية وإسهابه في ذلك ونسبة كل قول لقائله :

لقد اعتمد ابن رجب الحنبلي أقوال الصحابة والتابعين كأصل من أصول التفسير واهتم به اهتماماً بالغاً ، فنجده عندما يفسر آية من كتاب الله – تعالى – يستعرض أقوالهم في تفسيرها وينسب كل قول لقائله غالباً ، والأمثلة على هذا كثيرة أقتصر منها على ما يلي خشية الإطالة :

١– قوله عند تفسير قوله تعالى: { إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}(النساء/١٠٣). ما ملخصه (أما قوله : " مَوْقُوتًا " ففيه قولان :

أحدهما : أنه بمعنى المؤقت في أوقات معلومة ، وهو قول ابن مسعود وقتادة وزيد بن أسلم ، وهو الذي ذكره البخاري هنا (٢)، ورجحه ابن قتيبة (٣) وغير واحد ، قال قتادة في تفسير هذه الآية : قال ابن مسعود : إن للصلاة وقتا كوقت الحج ، وقال زيد بن أسلم : منجماً ، كلما مضى نجم جاء نجم ، يقول : كلما مضى وقت جاء وقت .

الثاني : وقالت طائفة : معنى " مَوْقُوتًا " مفروضاً أو واجباً ، قاله مجاهد والحسن وغيرهما ، وروى علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قال : يعني : مفروضاً (٤) ، فتأمل كيف أورد ابن رجب الحنبلي ما ورد عن الصحابة والتابعين في بيان معنى " مَوْقُوتًا " وعزى كل قول لقائله .

٢– قوله عند تفسيره لقوله تعالى : { إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} (الجمعة : ٩) ، قد حمله قوم من المتقدمين على ظاهره ، وأنكر ذلك عليهم الصحابة ، فروى البيهقي(١) من حديث عبد

---

(١) فضل علم السلف على الخلف ، ص : ٦ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة – باب مواقيت الصلاة وفضلها " : ١ / ١١٠ ، ١١١ .

(٣) غريب القرآن لابن قتيبة ، ص : ١٣٥ .

(٤) فتح الباري : ٤ / ١٦١ .

الله بن الصامت ، قال : خرجت إلى المسجد يوم الجمعة ، فلقيت أبا ذر، فبينا أنا امشي اذ سمعت النداء ، فرفعت في المشي ؛ لقول الله عز وجل : { إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فَاسعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } ، فجذبني جذبة كدت أن ألاقيه ، ثم قال : أو لسنا في سعي ؟ ، فقد أنكر أبو ذر على من فسر السعي بشدة الجري والعدو ، وبين أن المشي إليها سعي ؛ لأنه عمل ، والعمل يسمى سعياً ، كما قال تعالى : { إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى } (الليل : ٤) ، وقال : {وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا } (الإسراء : ١٩)، ومثل هذا كثير في القرآن ، وبهذا فسر السعي في هذه الآية التابعون فمن بعدهم ، ومنهم : عطاءٍ ، ومجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، ومحمد بن كعب ، وزيد بن أسلم ، ومالك ، والثوري ، والشافعي وغيرهم ، وروي عن ابن عباسٍ – أيضاً – من وجه منقطع .

ومنهم من فسر السعي بالجري والمسابقة ، لكنه حمله على سعي القلوب والمقاصد والنيات دون الأقدام ، هذا قول الحسن ، وجمع قتادة بين القولين – في روايةٍ – ، فقال : السعي بالقلب والعمل ، وكان عثمان وابن مسعودٍ وجماعة من الصحابة يقرؤونها : " فامضوا إلى ذكر الله " ، وقال النخعي : لو قرأتها " فاسعوا " لسعيت حتى يسقط ردائي ، وروي هذا الكلام عن ابن مسعودٍ من وجهٍ منقطعٍ (٢) .

٣– ما أورده عن مجاهد والشعبي وقتادة والضحاك والنخعي والزهري وغيرهم في قوله تعالى : {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}(المدثر/٤). أنهم قالوا : إن المعنى : طهر نفسك من الذنوب (٣) .

وأحياناً يستعرض الأقوال ولا ينسبها لقائليها من ذلك ما أورده عند تفسير قوله تعالى : {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} (التوبة : ١٨) من أن عمارةُ المساجدِ تكونُ بمعنيين :

أحدُهما : عمارتُها الحسّيَّة ببنائِها وإصلاحِها وترميمِها ، وما أشْبَه ذلك .

والثاني : عمارتُها المعنويّة بالصلاةِ فيها ، وذكْرِ اللهِ وتلاوةِ كتابِهِ ، ونشرِ العلم الذي أنزلَهُ على رسولِهِ ، ونحو ذلك .

وقد فُسِّرت الآيةُ بكلِّ واحدٍ من المعنيين ، وفُسِّرتْ بهما جميعاً ، والمعنى الثاني أخصُّ بها (٤) .

ثانياً : حكمه أحياناً على الروايات الواردة عن الصحابة والتابعين في التفسير :

إن القارئ لمصنفات ابن رجب الحنبلي يجده عندما يتعرض لتفسير آية من القرآن الكريم ينقل كثيراً

---

(١)رواه البيهقي في السنن الكبرى ، جماع أبواب التبكير إلى الجمعة وغير ذلك – باب صفة المشي إلى الجمعة : ٣ / ٣٢٢ ، برقم : ٥٨٦٩ ، ثم قال : وفي السنة ما يؤكد جميع ذلك .

(٢) فتح الباري : ٨ / ١٩١ – ١٩٣ .

(٣) فتح الباري : ١ / ١٠٠ .

(٤) فتح الباري : ٣ / ٢٩٤ ومن أراد المزيد من المثلة فليرجع إلى : مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١٣٦/١ رسالة بعنوان : شرح حديث " لبيك اللهم لبيك " ، لطائف المعارف ص : ٤٧٢،٤٧١ ، التخويف من النار ص : ١٧٦ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، والتخويف من النار ص : ١١٤ ، ١١٥ .

من الروايات الواردة الصحابة والتابعين في تفسيرها، ولا يقتصر على مجرد النقل بل يجده كثيراً ما يورد الحكم على هذه الروايات بالصحة أو الضعف إما بحكمه هو عليها، أو بنقل حكم العلماء المعتبرين في ذلك ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها نذكر منها ما يلي :

١- ما أورده عن ابن مسعود – أيضاً – في تفسير قوله تعالى: { وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ }(التحريم/٦)، أنه قال: هي حجارة من الكبريت خلقها الله يوم خلق السموات والأرض في السماء الدنيا يعدها للكافرين ، خرجه ابن أبي حاتم([1]) والحاكم في "المستدرك "([2]) وقال: صحيح على شرط الشيخين." ([3]) ، فنجده هنا نقل الرواية وخرجها مع ذكر تصحيح الحاكم لإسنادها .

٢- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى: { قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ }(الأعراف/١٦)، حيث قال : وصح عن ابن مسعود، أنه قال: إن هذا الصراط محتضر، تحضره الشياطين ([4]) ، فقد نقل ابن رجب ما ورد عن ابن مسعود – رضي الله عنه – في تفسير الآية الكريمة وقام هو بتصحيح إسناده بنفسه .

٣- ما أورده عن عبد الله عمر – رضي الله عنه – وحكم عليه عند تفسيره لقوله تعالى : {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ }(التوبة/٦٠) أنه قال : " إن المساكينَ : أهلُ الكتاب ، وإسناده لا يثبت " ([5]) ، وهنا ذكر ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه في تفسير الآية وضعف إسناده .

ثالثاً : اهتمامه لإجماع الصحابة والتابعين في القضايا التفسيرية والاستدلال عليه بما ورد في القرآن أو السنة النبوية :

لقد اهتم ابن رجب بكثير من القضايا التفسيرية التي أجمع عليها الصحابة والتابعون وقدره ، وبذل فيها جهداً كبيراً ، حيث حكى هذا الإجماع في مصنفاته التي تعرض فيها للتفسير، ولم يكتف بمجرد حكايته له بل أيد هذا الإجماع واستدل عليه بما ورد في القرآن الكريم أو السنة النبوية، وشرح المجمع عليه وعلق عليه في الغالب ، والأمثلة على هذا كثيرة نقتصر منها على ما يلي :

١- ما حكاه عن ابن عبد البر وغيره من إجماع العلماء من الصحابة والتابعين في تأويل قوله: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(الحديد/٤). أن المراد به علمه – تعالى – ثم علق ابن رجب على هذا فقال : وكل هذا قصدوا به رد قول من قال: أنه تعالى بذاته في كل مكان، وزعم بعض من تحذلق أن ما

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٦٤ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك : كتاب التفسير – تفسير سورة التحريم : ٢ / ٥٣٥ ، حديث رقم : ٣٨٢٧ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

([3]) التخويف من النار ص : ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٤) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ١٩٥ ، رسالة بعنوان : " شرح حديث "مثل الإسلام" .

(٥) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ٤٣٩ رسالة : صدقة السر وفضلها ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع : فتح الباري : ٧ / ٦٢ ، شرح حديث لبيك الله لبيك ص : ٣٦ .

قاله هؤلاء الأئمة خطأ؛ لأن علم الله صفة لا تفارق ذاته، وهذا سوء ظن منه بأئمة الإسلام؛ فإنهم لم يريدوا ما ظنه بهم، وإنما أرادوا أن علم الله متعلق بما في الأمكنة كلها ففيها معلوماته، لا صفة ذاته ، ثم استدل على هذا من القرآن فقال : كما وقعت الإشارة في القرآن إلى ذلك بقوله تعالى: { وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} (طه/٩٨) ، وقوله: { رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا }(غافر/٧)...." (١) .

٢- ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : {إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنْ الْيَمِينِ وَعَنْ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ}(ق : ١٧ ، ١٨) ، حيث قال : " وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات، وقد روي ذلك مرفوعاً من حديث أبي أمامة بإسناد ضعيف(٢) ، وفي " الصحيح " عن النبي صلى الله عليه وسلم «إذا كان أحدكم يصلي، فإنه يناجي ربه والملك عن يمينه»(٣)...." (٤) .

٣- ما نقله عند تأويله لقوله تعالى : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}(النساء/١٧) ، عن قتادة، أنه قال : أجمع أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على أن كل من عصى ربه، فهو جهالة عمداً كان أو لم يكن، وكل من عصى الله فهو جاهل (٥) .

رابعاً – اهتمامه بقول الجمهور من الصحابة والتابعين في التفسير وترجيحه على غيره :

فقد كان ابن رجب الحنبلي يهتم كثيراً بقول الجمهور من السلف في التفسير ويصححه، ويقدمه على غيره في الذكر غالباً، وأحياناً يقتصر عليه، ويستدل عليه في الغالب بما ورد في القرآن الكريم أو السنة النبوية، ويعلق عليه و يوجهه في معظم الأحيان، والقارئ لكتبه ورسائله يلاحظ هذا ، والأمثلة عليه كثيرة ومتعددة نسطر منها ما يلي :

١- ما ذكره في المراد بقوله تعالى : { وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنْ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}(البقرة/٢٠٣) ، حيث قال : " وأما الأيام المعدودات، فالجمهور على أنها أيام التشريق، وروي عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما ، واستدل ابن عمر بقوله: {فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه} (البقرة: ٢٠٣) .." وإنما يكون التعجيل في ثاني أيام التشريق ، قال الإمام أحمد: ما أحسن ما قال ابن عمر ، وقد روي عن ابن عباس وعطاء، أنها أربعة أيام: يوم النحر،

---

(١) فتح الباري : ٣ / ١١٤ ، ١١٥ .

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير : ٨ / ١٩١، حديث رقم : ٧٧٨٧ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه : كتاب الصلاة – باب دفن النخامة في المسجد: ١ / ٩١ ، حديث رقم : ٤١٦ .

(٤) جامع العلوم : ١ / ٣٣٦ .

(٥) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي :٢ / ٧٦٩ ، رسالة بعنوان : الكلام على قوله تعالى{ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} (فاطر/٢٨) .

وثلاثة بعده ، وفي إسناد المروي عن ابن عباس ضعف (١) ، فنلاحظ هنا أنه أورد قول الجمهور ، وقدمه على غيره ، ونقل استدلال ابن عمر رضي الله عنه – عليه ، ونلاحظ – أيضاً – أنه تعقب ما خالف قول الجمهور فوجده ضعيف الإسناد وأشار إلى ذلك ، وهذا في الحقيقة جهد عظيم يشكر عليه هذا العالم الجليل

٢– ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : {وَالْفَجْرِ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ} (الفجر: ١، ٢)، حيث قال : " وأما " الليالي العشر " فهي عشر ذي الحجة هذا الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين من السلف وغيرهم وهو صحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – روي عنه من غير وجه والرواية عنه " أنه عشر رمضان " و إسناده ضعيف ، وفيه حديث مرفوع خرجه الإمام أحمد (٢) والنسائي (٣) في التفسير من رواية زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثنا خير بن نعيم عن أبي الزبير عن جابر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "العشر عشر الضحى والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر" وهو إسناد حسن (٤) ، فنجده هنا قد أورد قول الجمهور في الآية الكريمة ، وقدمه على غيره وصححه وتعقب غيره فوجده ضعيفاً ، واستدل على قول الجمهور بما ورد في السنة .

٣– ما أورده عن عكرمة وغيره من المفسرين في المراد بالليلة المباركة في قوله تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} (الدخان:٣ ، ٤) أنها ليلة النصف من شعبان والجمهور على أنها ليلة القدر وهو الصحيح (٥) ، فانظر كيف نقل قول الجمهور وصححه عن غيره من الأقوال في تفسير الآية الكريمة .

٤– عند تفسيره لقوله تعالى : {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}(النساء : ١٧). نجده يقول : " وأما التوبة من قريب فالجمهور على أن المراد بها التوبة قبل الموت ، فالعمر كله قريب، والدنيا كلها قريب ، فمن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب، ومن مات ولم يتب فقد بعد كل البعد(٦) ، فنلاحظ أنه اقتصر هنا على قول الجمهور وقام بالتعليق عليه والتوجيه له .

خامساً : الجمع والتوفيق أحياناً بين أقوال الصحابة والتابعين في التفسير :

---

(١) فتح الباري : ٩ / ٧ .

(٢) المسند : ٢٢ / ٣٨٩ ، حديث رقم : ١٤٥١٠ ، وقال المحقق : هذا إسناد لا بأس برجاله ، وأبو الزبير لم يصرح بسماعه من جابر.

(٣) السنن الكبرى : كتاب التفسير – سورة الفجر : ١٠ / ٣٣٥ ، حديث رقم : ١١٦٠٨ .

(٤) لطائف المعارف ص : ٤٧٠ .

(٥) لطائف المعارف ص : ١٤٠ .

(٦) لطائف المعارف ص : ٣٤٣ .

إن القارئ لتراث ابن رجب الحنبلي يجد أنه كثيراً ما كان يجمع بين أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين ويوفق بينها متى أمكن ذلك سواء في ذلك قيامه هو بالجمع والتوفيق، أو نقل ذلك عن غيره من العلماء مع التوجيه ، وهذا واضح في كثير من مصنفاته من هذا :

١- قوله عند تفسيره لقوله تعالى : {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَانَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}(ق : ٣٢،٣٣). " فُسر الحفيظ ههنا بالحافظ لأوامر الله (١) ، وفُسر بالحافظ لذنوبه حتى يرجع عنها (٢) ، ثم قال ابن رجب : وكلاهما يدخل في الآية ، ومن حفظ وصية الله لعباده وامتثلها فهو داخل أيضاً، والكل يرجع إلى معنى واحد (٣) ، فقد جمع ابن رجب بين هذين القولين وذكر وجه الجمع وهو أن الكل راجع إلى معنى واحد وهو حفظ حدود الله وأوامره .

٢- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى }(البقرة/١٢٥) من أن المراد بمقام إبراهيم في الآية: مقامه المسمى بذلك عند البيت، وهو الحجر الذي كان فيه أثر قدمه عليه السلام، وهذا قول كثير من المفسرين ، وقال كثير منهم: المراد بمقام إبراهيم: الحج كله ، وبعضهم قال: الحرم كله ، وبعضهم قال: الوقوف بعرفة، ورمى الجمار والطواف، وفسروا المصلى: بالدعاء، وهو موضع الدعاء ، وروي هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، ثم قال ابن رجب : وقد يجمع بين القولين، بأن يقال: الصلاة خلف المقام المعروف داخل فيما أمر به من الاقتداء بإبراهيم – عليه السلام – مما في أفعاله في مناسك الحج كلها واتخاذها مواضع للدعاء وذكر الله ،كما قالت عائشة – وروي مرفوعا –: " إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله " ، خرَّجه أبو داودَ (٤) والترمذيُّ (٥) ، فدلالة الآية على الصلاة خلف مقام إبراهيم – عليه السلام – لا تنافي دلالتها على الوقوف في جميع مواقفه في الحج لذكر الله ودعائه والابتهال إليه، والله أعلم (٦) ، فقد جمع ابن رجب بين ما ورد في تفسير الآية الكريمة عن الصحابة والتابعين من أقوال ووفق بينها، واختار كون الآية تشمل جميع ما ورد فيها من أقوال وذكر وجه الجمع بينها .

٣- قوله عند تفسيره لقوله تعالى : {وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ }(البقرة/٢٢٨). : " وقد اختلفَ المفسرونَ من السلفِ فمن بعدَهم في المرادِ بقولِهِ تعالى : {مَا

---

(١) وهو قول قتادة : انظر تفسير الطبري : ٢٢ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٢) وهو قول ابن عباس– رضي الله عنهما – ومجاهد بن جبر وغيرهما : انظر تفسير الطبري : ٢٢ / ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

(٣) نور الاقتباس ص :٤١،٤٢.

(٤) انظر سنن أبي داود : كتاب المناسك – باب في الرمل : ٣/ ٢٧١ ، حديث رقم : ١٨٨٨ ، وقال المحقق (شعَيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف .

(٥) راجع سنن الترمذي: أبواب الحج عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– باب ما جاء كيف ترمى الجمار: ٢ / ٢٣٨ ، حديث رقم : ٩٠٢ ، وقال : حسن صحيح .

(٦) فتح الباري : ٣ / ٧٣ .

خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ }، ففسره قوم بالحمل، وفسره قوم بالحيض ، وقال آخرون: كل منهما مراد، واللفظ صالح لهما جميعاً ، وهذا هو المروي عن أكثر السلف، منهم: ابن عمر، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، والضحاك (١) ، ونلاحظ هنا أنه نقل التوفيق والجمع بين القولين الواردين في الآية الكريمة عن غيره المفسرين .

سادساً : ترجيحه أحياناً بين أقوال الصحابة والتابعين الواردة عنهم في التفسير :

إن القارئ لمصنفات ابن رجب الحنبلي التي اهتمت بالقضايا التفسيرية يجده كثيراً ما كان يرجح ما يراه صواباً من أقوال الصحابة والتابعين بالحجة والدليل ، وبذل في ذلك جهداً عظيماً واتبع منهجاً جيداً يتلخص فيما يلي :

أ- نصه على القول الراجح من أقوال الصحابة والتابعين واستخدام بعض الألفاظ منها : الصحيح ، الأصح ، الأظهر ، الظاهر ، الصواب :

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١- ما نقله عند تفسيره لقوله تعالى : {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا}(الإسراء/٤٥) عن ابن الجوزي أنه قال : في " المقتبس " : سمعت الوزير [يحي بن محمد بن هبيرة] يقول في قوله تعالى :{وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} (الإسراء /٤٥) قال أهل التفسير : يقولون : ساترًا ، ثم قال ابن رجب : والصواب : حمله على ظاهره ، وأن يكون الحجاب مستورًا عن العيون فلا يرى ، وذلك أبلغ (٢) .

٢- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : {وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ }(الممتحنة/١٢) حيث قال : من المفسرين من فسر البهتان المفترى بالسحر ، ومنهم من فسره بالمشي بالنميمة والسعي في الفساد ، ومنهم من فسره بالقذف والرمي بالباطل ، وقيل : البهتان المفترى يشمل ذلك كله وما كان في معناه ، ورجحه ابن عطية (٣) وغيره ، وهو الأظهر ، فيدخل فيه كذب المرأة فيما أؤتمنت عليه من حمل وحي وغير ذلك (٤) .

٣- قوله عند تفسير قول الله – عز وجل : { وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ }(النجم٣١ ، ٣٢) : في تفسير اللمم قولان للسَّلف : أحدهما : أنَّه مقدمات الفواحش كاللمس والقبلة ، وعن ابن عباس : هو ما دُونَ الحدِّ من وعيد الآخرة بالنار وحدِّ الدُّنيا .

---

(١) فتح الباري : ٢ / ١٤٤ ، ١٤٥ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى : فتح الباري : ١ / ٧٣ وما بعدها .
(٢) ذيل طبقات الحنابلة : ٢ / ١٤٢ .
(٣) انظر المحرر الوجيز : ٣ / ٤٦٠ .
(٤) فتح الباري : ١ / ٧٣ ، ٧٤ .

والثاني : أنَّه الإلمامُ بشيء من الفواحش والكبائر مرَّةً واحدةً، ثم يتوبُ منه ، وروي عن ابن عباس وأبي هريرة ، وروي عنه مرفوعاً بالشك في رفعه ، قال : اللمة من الزنى ثم يتوب فلا يعود ، واللمة من شرب الخمر ، ثم يتوب فلا يعود ، واللمة من السرقة ، ثم يتوب فلا يعود(١) ، ومن فسر الآية بهذا قال : لابد أن يتوبَ منه بخلاف مَنْ فسره بالمقدمات ، فإنه لم يشترط توبة .

والظاهرُ أنَّ القولين صحيحان ، وأن كليهما مراد من الآية ، وحينئذٍ فالمحسنُ : هو من لا يأتي بكبيرة إلا نادراً ثم يتوبُ منها ، ومن إذا أتى بصغيرةٍ كانت مغمورةً في حسناته المكفرة لها ، ولابدَّ أنْ لا يكون مُصِراً عليها ، كما قال تعالى : { وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}(آل عمران/١٣٥).. وروي عن ابن عباس أنَّه قال : لا صَغيرة مع الإصرار ، ولا كبيرةَ مع الاستغفار " (٢) .

وأحياناً يعدد أقوال الصحابة والتابعين في تفسير الآية و يشير إلى القول الراجح عنده من غير أن ينص صراحة على أنه هو الراجح، لكنه يدلل على قبوله لهذا القول من القرآن أو السنة ويعدد الأقوال الأخرى اقرأ مثال ذلك قوله : ومما يستدل به على فضل قلة العيال قوله تعالى: { فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا } (النساء/٣) على تفسير من فسره ، بكثرة العيال، ولكن الجمهور على تفسيره بالجور والحيف، فإن ملك اليمين قد تكثر به الأولاد أكثر من الزوجات الأربع، فإنه لا ينحصر في عدد ، وكان الإمام أحمد ينكر على من كره كثرة الأزواج والعيال، ويستدل بحال النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه من كثرة أزواجهم وعيالهم، وبمثل قوله: " تزوجوا الودود الولود، فإني أكاثر بكم الأمم يوم القيامة" (٣) ، ولكنه يأمر مع هذا بطلب الحلال والكسب، والصبر على الفقر وإن شق (٤).

ب– إيراده أحياناً للقول الراجح بصيغة الجزم دون ذكر غيره من الأقوال أو النص على أنه الراجح خاصة إذا كان قول الجمهور :

اقرأ مثلاً :

١– ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنّ } (البقرة : ٢٢٢) ، حيث قال والمراد بتطهرهن : اغتسالهن عندَ جمهور العلماء ، فلا يباح وطؤها حتى تغتسل (٥) .

٢– ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ }(الفتح/٢٩) ، عن مجاهد أنه

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان : ٩ / ٢٧٧ ، حديث رقم : ٦٦٥٧ ، وأورده علوي عبد القادر السقاف في : تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن : ١ / ٤٢٠ ، حديث رقم : ٨٠١ ، وقال : ضعيف مرسل .

(٢) جامع العلوم والحكم ص : ٤٢٢، ٤٢٣.

(٣) الحديث رواه أبو داود في سننه : كتاب النكاح – باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء : ٢ / ٢٢٠ ، حديث رقم : ٢٠٥٠ ، وصححه الألباني ، انظر : صحيح سنن أبي دواد : ٦ / ٢٩١ ، حديث رقم : ١٧٨٩ .

(٤) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢ / ٧٤٥ ، رسالة بعنوان : " شرح حديث "إن أغبط أوليائي" .

(٥) فتح الباري : ١ / ٢٣١ .

فسر الآية بـ " الخشوع في الصلاة " (١) ، ولم يذكر غيره من الأقوال ، وهذا يدل على أنه هو الراجح والمرتضى عنده .

ج – استدلاله على القول الراجح في الغالب بالمنقول والمعقول :

مثال ذلك : ما أورده في تفسير الأيام المعلومات في قوله تعالى : {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ }(الحج/٢٨) حيث أورد ثلاثة أقوال فيها وصحح الأول منهما وارتضاه واستدل عليه من القرآن الكريم ووجه الدليل، فقال ما ملخصه : في الأيام المعلومات ثلاثة أقوال :

القول الأول : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنها الأيام العشر الأول من ذي الحجة ، كما حكاه عنه البخاري(٢) ، وروي – أيضاً – عن ابن عمر ، وعن عطاء والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأحمد – في المشهور ، عنه .

القول الثاني : قالت طائفة : الأيام المعلومات : يوم النحر ويومان بعده ، روي عن ابن عمر وغيره من السلف ، وقالوا : هي أيام الذبح ، وروي – أيضاً – عن علي وابن عباس ، وعن عطاء الخراساني والنخعي وهو قول مالك وأبي يوسف ومحمد وأحمد – في رواية عنه ، ومن قال : أيام الذبح أربعة ، قال : هي يوم النحر وثلاثة أيام بعده .

القول الثالث : وروي عن محمد بن كعب ، أن المعلومات أيام التشريق خاصة .

ثم قال ابن رجب : والقول الأول أصح ؛ فإن الله سبحانه وتعالى قالَ – بعد ذكره في هذه الأيام المعلومات : { ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ} (الحج : ٢٩) ، والتفث : هو ما يصيب الحاج من الشعث والغبار ، وقضاؤه : إكماله ، وذلك يحصل يوم النحر بالتحلل فيه من الإحرام ، فقد جعل ذلك بعد ذكره في الأيام المعلومات ، فدل على أن الأيام المعلومات قبل يوم النحر الذي يقضى فيه التفث ويطوف فيه بالبيت العتيق ، فلو كانت الأيام المعلومات أيام الذبح لكان الذكر فيها بعد قضاء التفث ووفاء النذور والتطوف بالبيت العتيق ، والقران يدل على أن الذكر فيها قبل ذلك ، وأما قوله تعالى : { عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأنعام} (الحج : ٢٨) ، فإما أن يقال : إن ذكره على الذبائح يحصل في يوم النحر ، وهو أفضل أوقات الذبح ، وهو آخر العشر ، وإما أن يقال : إن ذكره على ما رزقنا من بهيمة الأنعام ، ليس هو ذكره على الذبائح ، بل ذكره في أيام العشر كلها ، شكراً على نعمة رزقه لنا من بهيمة الأنعام ؛ فإن لله – تعالى – علينا فيها نعماً كثيرة دنيوية ودينية " (٣).

---

(١) انظر كتاب الذل والانكسار أو الخشوع في الصلاة ص : ٦٢.

(٢) صحيح البخاري : كتاب العيدين – باب فضل العمل في أيام التشريق: ٢ / ٢٠ أورده معلقاً .

(٣) فتح الباري : ٩ / ٦– ٨ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى : مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢ / ٨٠٦ .

سابعاً : شرحه أحياناً لأقوال الصحابة والتابعين في التفسير وتوجيهه لها :

هناك بعض الأقوال الواردة عن الصحابة والتابعين في التفسير تحتاج إلى شرح وتوضيح وتوجيه والمطلع على كتب ورسائل ابن رجب الحنبلي التي اهتمت بذكر القضايا التفسيرية عن السلف يجد أنه لم يغفل عن هذا الأمر، بل كثيراً ما كان يتعرض لهذه الأقوال بالتوجيه ، والشرح والبيان وإزالة ما فيها من إبهام والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١- ما نقله في تفسير قول الله تعالى : { مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ } (الروم : ٤٤) عن بعض السلف أنهم قالوا : "أي في القبر ، ثم شرح ابن جب هذا القول فقال : يعني أن العمل الصالح يكون مهاداً لصاحبه حيث لا يكون للعبد من متاع الدنيا فراش ولا وساد ولا مهاد بل كل عامل يفترش عمله ويتوسده من خير أو شر " ([1]) .

٢- ما أورده عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ }(الشورى/١٣) أنه قال: وصاك به وأنبياءه كلهم ديناً واحداً ، ثم شرح ابن رجب هذا القول فقال : ومعنى ذلك: أن دين الأنبياء كلهم دين واحد وهو الإسلام العام المشتمل على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وعلى توحيد الله وإخلاص الدين له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كما قال تعالى: {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}(البينة : ٤ ، ٥)..." ([2]) .

٣- ما أورده عن البخاري([3]) عن : ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال في تفسير قوله تعالى : {شرعة ومنهاجا} [المائدة: ٤٨] أي سبيلاً وسنة، ثم قال ابن رجب : وهذا من رواية أبي إسحاق، عن التيمي، وعن ابن عباس شرعة ومنهاجاً: سبيلاً وسنة ، ثم شرح ابن رجب هذا القول فقال : ومعنى قول ابن عباس: أن المنهاج هو السنة، وهو الطريق الواسعة المسلوكة المداوم عليها، والشرعة: هي السبيل والطريق الموصل إليها، فهي كالمدخل إليها كمشرعة الماء وهي المكان الذي يورد الماء منه، ويقال: شرع فلان في كذا إذا ابتدأ فيه، وأنهج البلاء في الثوب إذا اتسع فيه ، وبذلك فرق طائفة من المفسرين وأهل اللغة بين الشريعة والمنهاج، منهم الزجاج([4]) وغيره ([1]) ، وهذا كله جهد عظيم بذله ابن رجب الحنبلي يذكر فيشكر .

([1]) شرح حديث يتبع الميت ثلاث ص : ٢١ .

([2]) فتح الباري : ١ / ١٧ ، ١٨ .

([3]) انظر صحيح البخاري : كتاب التفسير – باب سورة المائدة : ٦ / ٥٠ ، أورده معلقاً ، ووصله عبد الرزاق في تفسيره : ٢/ ٢٢، عن الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن التيمي ، عن ابن عباس به .

([4]) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ١٨٤ .

ثامناً : مناقشته أحياناً لأقوال الصحابة والتابعين في التفسير ورده لبعضها بالحجة والدليل :

إن المطلع على مصنفات ابن رجب الحنبلي يجده يعتمد كثيراً على أقوال الصحابة والتابعين في التفسير لكنه لا يكتفي بمجرد النقل عنهم بل أحياناً يناقش هذه الأقوال يرد بعضها ، إما لمخالفتها لما دل عليه القرآن، أو السنة أو لإجماع السلف، أو لعدم صحة النقل عنهم والأمثلة على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي :

١- قال ابن رجب : " وقد دل القرآن على أن الماء مادة جميع الحيوانات قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} (الانبياء: ٣٠) ، وقال تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} (النور: ٤٥) وقول من قال (٢) : أن المراد بالماء النطفة التي يخلق منها الحيوانات بعيد لوجهين :

أحدهما: أن النطفة لا تسمى ماءً مطلقاً بل مقيداً لقوله تعالى: {خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ}(الطارق: ٦، ٧) ، وقوله تعالى: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} (المرسلات:٢٠) .

والثاني: أن من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة كدود الخل والفاكهة ونحو ذلك فليس كل حيوان مخلوقاً من نطفة والقرآن دل على خلق جميع ما يدب وما فيه حياة من ماء فعلم بذلك أن أصل جميعها الماء المطلق..." (٣) .

٢- قال ابن رجب : " في تفسير قوله تعالى: {إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ}(البقرة/٢٧١) ، واختلفوا في الزكاة: هل الأفضل إسرارها أم إظهارها؟ فروي عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، قال: جعل الله صدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها، يقال: بخمسة وعشرين ضعفاً، خرجه ابن جرير (٤) ، وفي رواية، قال: وكذلك جميع الفرائض والنوافل في الأشياء كلها ، وقال سفيان الثوري في هذه الآية: هذا في التطوع ، وعن يزيد بن أبي حبيب: إنما نزلت هذه الآية في اليهود والنصارى وكان يأمر بقسم الزكاة في السر، ثم نقل عن ابن عطية (٥) أنه قال : وهذا مردود، لا سيما عند السلف الصالح، فقد قال ابن جرير الطبري: " أجمع الناس، أن إظهار الواجب، أفضل "(٦)..." (١) .

---

(١) فتح الباري : ١ / ١٨ ، ١٩ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى : جامع العلوم والحكم ص : ٤٧٢- ٤٧٤ ، و فتح الباري : ٣ / ٦٩ .

(٢) وهو قول أبي العالية الرياحي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، والسدي ، راجع : تفسير ابن أبي حاتم : ٨ / ٢٦٢٠ ، تفسير البغوي : ٥ / ٣١٦ ، وتفسير يحي بن سلام : ١ / ٤٥٦ .

(٣) لطائف المعارف ص : ٢٤ .

(٤) انظر تفسير الطبري : ٥ / ٥٨٣ .

(٥) راجع : المحرر الوجيز : ١ / ٣٦٥ .

(٦) انظر تفسير الطبري : ٥ / ٥٨٤ .

تاسعاً : اهتمامه بما ورد عن بعض الصحابة والتابعين من مواعظ ورقائق مستنبطة من الآيات القرآنية :

إن القارئ لمؤلفات ابن رجب رحمه الله يجد أنه أكثر من ذكر المواعظ والعبر التي وردت عن الصحابة والتابعين عند تفسيره لآيات الذكر الحكيم بل وعن غيرهم من الصالحين والعارفين وينسبها في الغالب لقائلها (٢) وأحياناً يحكم على سندها (٣) لما لهذه المواعظ والرقائق من فوائد جليلة وآثار عظيمة على النفس، والأمثلة على ذلك كثيرة نقتصر منها على ما يلي :

١- ما حكاه من رواية مطرف بن الشخير، عن كعب، قال: كنت عند عمر، فقال: يا كعب، خوفنا، فقلت يا أمير المؤمنين، إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة، لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، إلا ساجداً على ركبتيه، حتى إن إبراهيم خليله - عليه السلام - ليخر جاثياً، ويقول: نفسي نفسي، لا أسألك اليوم إلا نفسي، قال: فأطرق عمر ملياً، قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أولستم تجدون هذا في كتاب الله - عز وجل؟ قال عمر: كيف؟ يقول الله - عز وجل - في هذه الآية : { يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ} (النحل/١١١)... " (٤).

٢- ما نقله عن بعض السلف عند تفسيره لقوله تعالى : { بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة/٨١)، أنه كان يردد هذين البيتين بالليل، ويبكي بكاء شديداً :

ابك لذنبك طول الليل مجتهداً. . . إن البكاء معول الأحزان

لا تنس ذنبك في النهار وطوله. . . إن الذنوب تحيط بالإنسان (٥)

٣- ما نقله عن الحسن البصري عند تفسير قوله تعالى: { وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } (المزمل /٢٠) أنه قال : " أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفى طرقكم، وفى أسواقكم، وفى

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٢ / ٤٣٨ ، رسالة بعنوان : " صدقة السر وفضلها "، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع: فتح الباري : ٢ / ٢٨٤ ، ٨ / ٣٥٣ ، لطائف المعارف ص : ٢٦٧ ، ٢٨٩ ، التخويف من النار ص : ٢٤٦ - ٢٥١ ، جامع العلوم والحكم : ١ / ٢٩٦ - ٣٠٠ .

(٢) راجع : لطائف المعارف : ٢٢٢ ، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ٣٤٩ ، رسالة بعنوان : " جزء من الكلام على حديث شداد بن أوس "إذا كنز الناس الذهب والفضة ، : ٢ / ٤٧٧ ، ورسالة بعنوان : " سيرة عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز " ، : ١ / ٩٠ ، جامع العلوم والحكم : ١ / ١٢٩ ، ١٣٠ ٢ ، فتح الباري : ١ / ٢١٣ - ٢١٥ ، شرح حديث يتبع الميت ثلاث ص : ١٦ ، لطائف المعارف ص : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

(٣) انظر شرح حديث يتبع الميت ثلاث ، ص : ١٨ ، ١٩ ، فقد ذكر موعظة طويلة عن عائشة - رضي الله عنها - وحكم على إسنادها بأنه حسن .

(٤) التخويف من النار ص : ١٠٨ ، والخبر أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق ، ص : ٧٥ ، برقم : ٢٢٥ .

(٥) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ١٣٦ ، رسالة بعنوان : شرح حديث " لبيك اللهم لبيك " .

مجالسكم، وأينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة " (١) .

٤- وما نقله عن الحسن - أيضاً - أنه قال : يا ابن آدم إذا وسوس لك الشيطان بخطيئة أو حدثت بها نفسك فاذكر عند ذلك ما حملك الله من كتابه مما لو حملته الجبال الرواسي لخشعت وتصدعت أما سمعته يقول: { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }(الحشر/٢١) ، فإنما ضرب لك الأمثال لتتفكر فيها، وتعتبر بها وتزدجر عن معاصي الله عز وجل، وأنت يا ابن آدم أحق أن تخشع لذكر الله، وما حملك من كتابه وآتاك من حكمة، لأنّ عليك الحساب ولك الجنة أو النار(٢) .

عاشراً : موقفه من الإسرائيليات الواردة عن الصحابة والتابعين :

الإسرائيليّات: هي الأخبار المنقولة عن أهل الكتاب من غير طريق القرآن والسّنن الثّابتة عن النّبيّ - صلى الله عليه وسلم - كالّذي يحكى عن كعب الأحبار وكان من أحبار اليهود فأسلم، ووهب بن منبّه، وقد اعتنى بأخبارهم، وغيرهما (٣) ، " وقد دخلت الإسرائيليات في روايات التفسير المأثورة منذ عهد الصحابة - رضي الله عنهم - وذلك نظراً لما بين القرآن من اتفاق مع التوراة والإنجيل في بعض المسائل، فكان بعض الصحابة إذ مر بآية من قصص القرآن ربما وجد في نفسه ميلاً إلي أن يسأل عن بعض ما طواه القرآن ولم يتعرض له من القصة، فلا يجد من يجيبه على سؤاله سوي هؤلاء النفر الذين دخلوا في الإسلام من أهل الكتاب وحملوا ما معهم من ثقافة دينية ، غير أن الصحابة لم يسألوا أهل الكتاب عن كل شيء، ولم يقبلوا منهم كل شيء، بل كانوا يسألون عن أشياء لا تعدو أن تكون توضيحا لقصة أو بياناً لبعض ما أجمل في القرآن، مع توقّفهم فيما يلقي إليهم، فلا يحكمون عليه بصدق أو بكذب ما دام يحتمل كلا الأمرين، امتثالاً لأمر النبي - صلى الله عليه وسلم : «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، و { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا } (البقرة: ١٣٦) ..» (٤) .

كما أنهم لم يسألوهم عن شيء مما يتعلق بالعقيدة أو يتصل بالأحكام، إلا أن يكون على جهة الاستشهاد والتقوية لما جاء به القرآن، كما أنهم لم يكونوا يسألون عن الأشياء التي يشبه السؤال عنها أن يكون من اللهو والعبث، كالسؤال عن لون كلب أهل الكهف، أو مقدار سفينة نوح، واسم الغلام الذي قتلة الخضر ... ونحو ذلك، بل كانوا يعدون ذلك قبيحاً من قبيل تضييع الأوقات ، كذلك كان الصحابة لا

---

(١) أسباب المغفرة ص : ٥ .

(٢) الذل والانكسار ص : ٥٨ .

(٣) المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، لعبد الله العنزي ، ص : ٣٤٣ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن - باب {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا } [البقرة: ١٣٦]: ٦ / ٢٠ برقم : ٤٤٨٥ .

يُصَدِّقون اليهود فيما يخالف الشريعة أو يتنافى مع العقيدة ، بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا إذا سألوا أهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأ، رَدُّوا عليهم خطأهم، وبيَّنوا لهم وجه الصواب فيه " (١) .

هذا و" تنقسم الأخبار الإسرائيلية إلى أقسام ثلاثة، وهى :

القسم الأول: ما يُعلم صحته بأن نُقِل عن النبي – صلى الله عليه وسلم – نقلاً صحيحاً، وذلك كتعيين اسم صاحب موسى – عليه السلام – بأنه الخضر، فقد جاء هذا الاسم صريحاً على لسان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما عند البخاري(٢) أو كان له شاهد من الشرع يؤيده ، وهذا القسم صحيح مقبول.

القسم الثاني : ما يُعلم كذبه بأن يناقض ما عرفناه من شرعنا، أو كان لا يتفق مع العقل، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته .

القسم الثالث: ما هو مسكوت عنه، لا هو من قبيل الأول، ولا هو من قبيل الثاني، وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نُكذِّبه، وتجوز حكايته، لما تقدَّم من قوله – صلى الله عليه وسلم: "لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم، و { قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا ... } الآية [البقرة: ١٣٦]..." (٣) وهذا القسم غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر ديني، ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا اختلافاً كثيراً، ويأتي عن المفسِّرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت..." (٤) .

وابن رجب الحنبلي نقل كغيره من المفسرين من هذه الإسرائيليات عن الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم – سواء ما وافق الشرع و العقل ، أو ما خالفهما ، أو ما هو مسكوت عنه ، لكنه كان ينقل ما وافق الشرع و العقل ويؤيده بما ورد في القرآن أو السنة ، ويشير أحياناً إلى ما خالف الشرع والعقل ويرده ، و يتوقف فيما مسكوت عنه ، وبذل في ذلك جهداً لا بأس به، وفي نقله للإسرائيليات نجده أحياناً كان ينسبها إلى راويها ، وأحياناً كان يكتفي بقوله : وفي الأثر أو مروي عن السلف أو في الكتب السالفة ، أو رُوي، وغير ذلك ، وعلى العموم هو لم يكثر من ذكر الإسرائيليات المتعلقة بالتفسير في مصنفاته .

– فمثال ما نقله مما وافق الشرع والعقل وذكر الدليل عليه من القرآن أو السنة ما يلي :

١– ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلاَّ مَلاَئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا } (المدثر/٣١) عن قتادة أنه قال : في التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر (٥) ، فهذا موافق لما ورد في الآية الكريمة المذكورة .

---

(١) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي : ١ / ١٢٣ ، ١٢٤ ، بتصرف .

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم – باب ما ذكر في ذهاب موسى صلى الله عليه وسلم في البحر إلى الخضر : ١ / ٢٦ ، حديث رقم : ٧٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن – باب {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا } (البقرة: ١٣٦) : ٦ / ٢٠ برقم : ٤٤٨٥

(٤) التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي : ١ / ١٣٠ ، ١٣١ .

(٥) التخويف من النار ص : ٢١٩ .

٢- ما نقله عن وهب بن منبه أنه قال : إن الله – عز وجل – قال لموسى عليه السلام: إني لأذود أوليائي نعيم الدنيا ورخائها كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرة ، وما ذلك لهوانهم علي، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا ، ثم قال ابن رجب مستدلاً على صحة هذا الأثر : " ويشهد لهذا ما خرجه الترمذي(١) عن قتادة بن النعمان، عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الله إذا أحب عبداً حماه عن الدينا، كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء» ، وخرجه الحاكم(٢) ، ولفظه: « إن الله ليحمي عبده من الدنيا وهو يحبه، كما تحمون مريضكم الطعام والشراب، تخافون عليه» ، وفي " صحيح مسلم " (٣) عن عبد الله بن عمرو عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر» ..." (٤) .

٣- وما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ } (الصافات/١٦٥) أنه " روي أن من صفة هذه الأمة في الكتب السالفة: صفهم في الصلاة، كصفهم في القتال " (٥) ، فهذا موافق للآية الكريمة المذكورة ، و قوله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ } (الصف/٤).

– ومثال ما خالف شرعنا وحكى بطلانه ما نقله عن الحسن البصري عند تفسيره لقوله تعالى : { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (الروم/٥٤) من أنه " استدل على إبطال قول من قال: أول من رأى الشيب إبراهيم عليه السلام، بعموم قول الله عز وجل: " {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ} (الروم/٥٤) ، ثم قال ابن جب : وهذا استدلال حسن (٦) .

– ومثال ما هو مسكوت عنه وأورده ابن رجب وتوقف فيه ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا}(الإسراء/٢٩)، قد روي عن سليمان عليه السلام، أنه كان يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف (٧) .

هذا وقد وقع ابن رجب الحنبلي فيما وقع فيه كثير من المفسرين من نقل بعض الإسرائيليات الغريبة والتي لا يقبلها عقل ولا توافق شرع دون التعليق عليها مثال ذلك : ما نقله عن ابن جرير(٨) بسنده عن عبد

---

(١) سنن الترمذي ، أبواب البر والصلة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في الحمية : ٣ / ٤٤٩ ، حديث رقم : ٢٠٣٦ ، وقال : وهذا حديث حسن غريب .

(٢) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الطب : ٤ / ٢٣١ ، حديث رقم : ٧٤٦٥ ، وقال : صحيح ، ووافقه الذهبي .

(٣) صحيح الإمام مسلم ، كتاب الزهد والرقائق : ٤ / ٢٢٧٢ ، حديث رقم : ٢٩٥٦ .

(٤) جامع العلوم والحكم : ٢ / ١٩٠ .

(٥) فتح الباري : ٦ / ٢٦٩ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى لطائف المعارف ، ص : ٨٦ .

(٦) فتح الباري : ٢ / ١٢ بتصرف .

(٧) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ١٦٨ ، رسالة بعنوان : " شرح حديث عمار بن ياسر " اللهم بعلمك الغيب " .

(٨) انظر تفسير ابن جرير : ١ / ٣٩٦ ، ٣٩٧ .

الرحمن بن زيد بن أسلم، أنه قال في قوله : { وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }(البقرة/٢٥) ، قال: المطهرة: التي لا تحيض، قال: وكذلك خلقت حواء – عليها السلام – حتى عصت، فلما عصت قال الله تعالى: " إني خلقتك مطهرة، وسأدميك كما أدميت هذه الشجرة " (١) ، وقد نقل ابن كثير هذا الخبر عن ابن جرير ثم قال : " وهذا غريب " (٢) .

المطلب الرابع : جهوده في أمور أخرى تتعلق بالتفسير بالمأثور :

مما يرتبط بالتفسير بالمأثور ويدخل ضمن تفسير القرآن بالسنة : القراءات وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ، إذ أن هذا كله لا يعرف إلا عن طريق النقل عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والصحابة والتابعين، والمطلع على كتب ابن رجب الحنبلي والتي اهتم فيها بالقضايا التفسيرية يجد أنه لم يغفل هذه الأمور بل اهتم بها كثيراً وبذل فيها جهداً كبيراً يتضح ذلك فيما يلي :

اولاً : جهوده في عرض بعض القراءات القرآنية :

لقد اهتم ابن رجب بالقراءات القرآنية ككثير من أصحاب كتب التفسير، وله جهد لا بأس به في ذكر بعض القراءات وتوجيهها وبيان معانيها، وذكر أقوال المفسرين في تفسيرها والأحكام الفقهية المترتبة عليها، ولم يقتصر على ذكر القراءات الصحيحة ، بل أورد – أيضاً – بعض القراءات الشاذة للاستعانة بها على التفسير، والقراءات التي وردت على جهة التفسير ولم تثبت كقراءة، وأحياناً يشير إلى ذلك، ونجده أحياناً كان يعزو القراءة إلى من قرأ بها من القراء الأجلاء ، وفي بعض الأحيان كان يذكرها دون عزوها إلى قارئها وإنما يكتفي بقوله : " قُرأ " ، وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك :

١– قول ابن رجب : " وقد ورد في كتاب الله: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ}(المؤمنون/٧٢). هذه قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وعاصم وقرأ حمزة والكسائي: {أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَاجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ}. وقرأ ابن عامر خرجاً في الموضعين وقال تعالى في قصة ذي القرنين { فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا }(الكهف/٩٤). وقرأ " خَرَاجَا " (٣) أيضا قال ابن عباس رضي الله عنه خرجا يعني أجراً " (٤) .

٢– وقولُهُ عند تفسير قول الله –عز وجل : { وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ}(البقرة/٢٢٢) ، فيه قراءتان : "يَطْهُرْنَ " – بسكُونِ الطاءِ وضمَ الهاءِ – ، و"يَطَّهَّرْنَ " – بفتح الطاءِ وتشديدِهَا وتشديدِ الهاءِ (٥) ، وقد قيل : إنَّ القراءة الأولى أُريدَ بها انقطاعُ الدَّمِ ، والقراءةُ الثانيةُ أُريدَ بها التَّطَهُّر بالماءِ ، وممن فسر الأولى

---

(١) فتح الباري : ٢ / ١٢ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٢٠٥ .

(٣) انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ، ص : ٤٠٠ .

(٤) الاستخراج لأحكام الخراج ص : ٩ ط : دار الكتب العلمية بيروت لبنان .

(٥) "يَطْهُرْنَ " بالتخفيف قراءة ابن كثيرٍ ونافعٌ وأبي عمرٍو وابن عامرٍ ، و قراءة "يَطَّهَّرْنَ " مشددة : قراءة عاصم ، في رواية أبي بكر والمفضل، وحمزة والكسائيُّ فكلاتهما متواترتان ، انظر : الحجة للقراء السبعة ، للحسن الفارسي : ٢ / ٣٢١ .

بانقطاع الدمِ ابنُ عباسٍ ومُجاهد وغيرُهما ، وابنُ جريرٍ([1]) وغيرُهُ : يشيرونَ إلى حكايةِ الإجماع على ذلكَ ، ومنَعَ غيرُه الإجماعَ ، وقال : كل من القراءتينِ تحتملُ أن يُراد بها الاغتسالُ بالماءِ ، وأنْ يُراد بها انقطاعُ الدمِ ، وزوَالُ أذَاهُ ، وفي ذلك نظر ، فإنَّ قراءةَ التشديدِ تدل على نسبة فِعْلِ التطهر إليها، فكيف يُراد بذلكَ مجردُ انقطاع الدمِ ولا صنع لها فيه ، وقولُهُ : "حَتَّى يَطْهُرْنَ " ، غاية النَّهْي عن قربانهن، فيدل بمفهومِهِ على أنَّ ما بعد التطهير يزول النهي ، فعلى قراءةِ التشديدِ المُفَسَّرة بالاغتسال إنَّما يزول النَّهْيُ بالتطهرِ بالماءِ ، وعلى قراءةِ التخفيفِ يدل على زوال النهي بمجردِ انقطاع الدمِ " ([2]) .

٣- ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } (التكوير آية : ١٢ ، ١٣) حيث قال : " وقرأ " سُعِّرَتْ " و" سُعِرتْ " بالتشديد والتخفيف قال الزجاج ([3]) : المعنى واحد ، إلا أن معنى المشدد أوقدت مرة بعد مرة " ([4]) .

٤ – قوله عند تعرضه لتفسير قول الله – عز وجل : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا } (النساء : ١٤٥) وقد قرئ " الدَّرْكِ " بسكون الراء وتحريكها ([5]) وهي لغتان قال الضحاك الدرج إذا كان بعضها فوق بعض ، والدرك إذا كان بعضها أسفل من بعض ، وقال غيره الجنة درجات والنار دركات وقد تسمى النار درجات – أيضاً – كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار : { وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } (الأنعام : ١٣٢) ..." ([6]) .

٥- قوله عند تفسيره لقوله تعالى : { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ }(التوبة/١٧). وقرئ " مَسْجِدَ اللَّهِ " ([7]) ، فقيل : إن المراد به جميع المساجد على كلا القراءتين ؛ فإن المفرد المضاف يعم ، كقوله : { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ } (البقرة : ١٨٧) ، وقيل : المراد بالمسجد الحرام خاصة ، كما قال : { وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلاّ الْمُتَّقُونَ} (الأنفال : ٣٤) ، وقيل : إن المراد به المساجد على القراءة الأخرى ، وأنه جمعه لتعدد بقاع المناسك هناك ، وكل واحد منها في معنى مسجد ، روي ذلك عن عكرمة ، والله أعلم ، فمن قال : إن المراد به المسجد الحرام خاصة ، قال : لا يمكَّن الكفار من دخول الحرم كله ، بدليل قوله تعالى : { إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } (التوبة : ٢٨) وجمهور أهل

([1]) قراءة " سُعِّرَتْ " بالتشديد قرأ بها : نافع وابن عامر وحفص عن عاصم ، و " سُعِرتْ " بالتخفيف قرأ بها : حمزة ور الكسائي ، انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ، ص : ٦٧٣ .

(٢) فتح الباري : ٢ / ٧ ط : مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة – الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م .

(٣) انظر معاني القرآن وإعرابه : ٥ / ٢٩١ .

(٤) التخويف من النار ، ص : ١٠٢ .

(٥) قراءة عاصم وحمزة والكسائي { فِي الدَّرْكِ } بسكون الراء وقراءة الباقين بفتح الراء ، انظر حجة القراءات لابن زنجلة ، ص : ٢١٨ .

(٦) التخويف من النار ص : ٦٩ .

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وقرأ الباقون " مَسَاجِدَ " بالجمع ، انظر حجة القراءات لابن زنجلة ، ص : ٣١٦ .

العلم على أن الكفار يمنعون من سكنى الحرم، ودخوله بالكلية، وعمارته بالطواف وغيره، كما أمر النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من ينادي: " لا يحج بعد العام مشرك " (١) ، ورخص أبو حنيفة لهم في دخوله دون الإقامة به .

ومن قال: المراد جميع المساجد، فاختلفوا: فمنهم: من قال: لا يمكن الكفار من قربان مسجد من المساجد، ودخوله بالكلية ، ومنهم من رخص لهم في دخول مساجد الحل في الجملة ، ومنهم: من فرق بين أهل الكتاب والمشركين، فرخص فيه لأهل الكتاب دون المشركين.. (٢) .

فهذه قراءات صحيحة متواترة أوردها وعزى بعضها لأصحابها ونقل عن العلماء تفسيرها وأقوالهم في ذلك ووجه بعضها، وذكر ما يترتب على بعضها من أحكام فقهية .

ومن القراءات الشاذة التي ذكرها في مصنفاته التي اهتم فيها بالتفسير ما أورده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قرأ : { وَالسَّلَاسِلَ يُسْحَبُونَ } (غافر : ٧١) بنصب " السَّلَاسِلَ " وفتح ياء " يَسْحَبُونَ " (٣) قال هو أشد عليهم، هم يسحبون السلاسل خرجه ابن أبي حاتم "(٤)..." (٥) .

ومن القراءات التفسيرية ما أورده عن عائشةَ – رضي الله عنها – وغيرِها من الصحابةِ – رضي الله عنهم – أنهم قرأوا : " حافظوا على الصَّلوات والصَّلاةِ الوُسطى وصلاةِ العصرِ" (٦) من باب ذكر الخاصِّ بعد العامِّ " (٧) فلفظ " وصلاة العصر " هنا تفسير وليس قراءة .

ثانياً : جهوده في أسباب النزول :

لا شك أن معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية أمر مهم جداً لما يترتب عليه من فوائد عظيمة وكثيرة تتلخص فيما يلي :

الفائدة الأولى: معرفة حكمة الله تعالى على التعيين فيما شرعه بالتنزيل .

الفائدة الثانية: الاستعانة على فهم الآية ودفع الإشكال عنها .

---

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة – باب ما يستر من العورة : ١ / ٨٢ ، حديث رقم : ٣٦٩ ، والإمام مسلم في صحيحه ،كتاب الحج – باب لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وبيان يوم الحج الأكبر: ٢ / ٩٨٢ ، حديث رقم : ١٣٤٧ .

(٢) فتح الباري : ٣ / ٢٩٥ .

(٣) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني ، ص : ٢ / ٢٤٤ .

(٤) لم أجدها في النسخ المطبوعة من تفسير ابن أبي حاتم .

(٥) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص : ١٢٤، ١٢٥ .

(٦) رواه الترمذي في سننه : كتاب التفسير – باب ومن سورة البقرة : ٥ / ٦٧ حديث رقم : ٢٩٨٢ ، وقال : حسن صحيح .

(٧) تفسير سورة الفاتحة ص : ١٨ بتصرف .

الفائدة الثالثة : دفع توهم الحصر عما يفيد بظاهره الحصر .

الفائدة الرابعة: تخصيص الحكم بالسبب عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب لا بعموم اللفظ .

الفائدة الخامسة: معرفة أن سبب النزول غير خارج عن حكم الآية إذا ورد مخصص لها، وذلك لقيام الإجماع على أن حكم السبب باق قطعاً، فيكون التخصيص قاصراً على ما سواه

الفائدة السادسة: معرفة من نزلت فيه الآية على التعيين حتى لا يشتبه بغيره فيتهم البريء ويبرأ المريب مثلاً .

الفائدة السابعة: تيسير الحفظ وتسهيل الفهم وتثبيت الوحي في ذهن كل من يسمع الآية إذا عرف سببها ([1]).

وقد أدرك ابن رجب الحنبلي هذه الأهمية وتلك الفوائد؛ لذا نجده قد اهتم اهتماماً بالغاً بإيراد أسباب نزول الآيات القرآنية التي لها سبب نزول وبذل في ذلك جهداً كبيراً يتمثل فيما يلي :

١- عرضه لأسباب نزول كثير من الآيات القرآنية وعزوها لمصادرها في الغالب :

إن القارئ لكثير من مؤلفات ابن رجب الحنبلي التي اهتم فيها بالقضايا التفسيرية يجد أنه كثيراً ما كان يعرض أسباب نزول بعض الآيات القرآنية ويعزوها لمصادرها وينسبها لراويها والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي :

أ- ما نقله عن الإمام البخاري من حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنه أنه قال : " بينما نحن نصلي مع النبي – صلى الله عليه وسلم – إذ أقبلت عير تحمل طعاماً ، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي – صلى الله عليه وسلم – إلا اثنا عشر رجلاً ، فنزلت هذه الآية : { وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا } [الجمعة : ١١] ..." (٢).." (٣) .

ب- ما أورده عن الإمام مسلم في " صحيحه " مِن حديث حماد بنِ سلمة أنه قال: نا ثابت، عَن أنس، أن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة فيهم لَم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فأنزل الله عز وجل: { وَيَسْأَلونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ } (البقرة : ٢٢٢) إلى آخر الآية، فقالَ رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اصنعوا كل شيء إلا النكاح " وذكر بقية الحديث"([4])...."([1]) .

([1]) مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني : ١ / ٩ ١٠- ١١٤ . بتلخيص .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجمعة – باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة ، فصلاة الإمام ومن بقي جائزة : ٢ / ١٣ ، حديث رقم : ٩٣٦ .

([3]) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٨ / ٣٠٩ .

([4]) صحيح مسلم كتاب الحيض – باب اصنعوا كل شيء إلا النكاح : ١ / ٢٤٦ ، حديث رقم : ٣٠٢ .

ج – ما ذكره عند تفسيره لسورة العلق حيث قال : وأول ما أنزل عليه سورة { اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ }(العلق/١)، وفي أخرها: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى} (العلق/٩) إلى قوله: { كَلاَّ لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ } (العلق/١٩) ، ثم قال ابن رجب : وقد نزلت هذه الآيات بسبب قول أبي جهل: لئن رأيت محمداً ساجداً عند البيت لأطأن على عنقه ، وقد خرج هذا الحديث مسلم في " صحيحه([٢])..... " ([٣]) .

ويلاحظ من خلال تلك الأمثلة أنه أحياناً كان يعزو سبب النزول إلى مصدره مبتدأً بذكر المصدر كما في المثال الأول والثاني، وأحياناً يذكر المصدر عقب ذكره لسبب النزول كما في المثال الثالث .

٢- حكمه على أسانيد الروايات الواردة في سبب النزول في الغالب :

إن المطلع على آثار ابن رجب الحنبلي يجد أنه كان في الغالب عندما يذكر سبب نزول بعض الآيات القرآنية يحكم على الروايات الواردة في سبب النزول بالصحة أو الضعف ، وهذا يرجع إلى أنه كان عالماً بارعاً في الحديث وعلومه، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي :

أ- ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ }(الحشر/٩) ، حيث قال : وقد صح أن سبب نزولها أن رجلاً منهم أخذ ضيفاً من عند النبي يُضيفه، فلم يجد عنده إلا قوت صبيانه، فاحتال هو وامرأته حتى نوّما صبيانهما، وقام إلى السراج كأنه يصلحه فأطفأه، ثم جلس مع الضيف يريه أنه يأكل معه ولم يأكل، فلما غدا على رسول الله – صلى الله عله وسلم – قال له : " عجب الله من صنيعكما الليلة ". ونزلت الآية "([٤]) .." ([٥]) .

ب – ما ذكره عن حميد بن حماد من حديث عائذ بن شريح قال : سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي – صلى الله عليه وسلم – جالساً وحياله جحر فقال : " لو جاء العسر ، فدخل هذا الجحر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه " فأنزل الله عز وجل : { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا } (سورة الشرح : ٥ ، ٦) ثم قال: " خرجه ابن أبي حاتم في تفسيره([٦]) وخرجه البزار في مسنده ([٧])...." وحميد بن حماد هذا

([١]) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ٢ / ٥ .

(٢) انظر صحيح مسلم – كتاب صفة القيامة والجنة والنار– باب قوله : { كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى } (العلق : ٦، ٧) : ٤ / ٢١٥٤ ، حديث رقم : ٢٧٩٧ .

(٣) فتح الباري : ٢ / ٣٠٣ ، ولمزيد من الأمثلة انظر نفس المرجع : ١ / ١٠٤ ، ١٩٢، – ١٩٤ ، ٣ / ٩٣ – ٩٩ ، ، : ٩ / ٢٥٦ .

([٤]) صحيح الإمام مسلم : كتاب – باب : ٢ / ١٦٢٤ ، حديث رقم : ٢٠٥٤ ، أخرجه مختصراً .

([٥]) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ص : ٧٨ .

([٦]) انظر تفسير القرآن العظيم : ١٠ / ٣٤٤٦ ، خبر رقم : ١٩٣٩٤ .

([٧]) انظر مسند البزار : ١٤ / ٧١ ، حديث رقم : ٧٥٣٠ ، وقال : وهذا الحديث لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح ، وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٢ / ٢٨٠ ، حديث رقم : ٣٠١٠ ، وقال «هذا حديث عجيب غير أن الشيخين لم يحتجا بعائذ بن شريح» ، وقال الذهبي : تفرد به حميد بن حماد عن عائذ وحميد منكر الحديث كعائذ .

ضعفوه " (١) .

ج – ما نقله عن ابن أبي حاتم (٢) من حديث جعفر بن محمد، عن أبيه: سمعت جابراً يحدث عن حجة الوداع، قال: لما طاف النبي – صلى الله عليه وسلم – قال له عمر: هذا مقام إبراهيم؟ قال : " نعم " ، قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فأنزل الله { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً} (البقرة: ١٢٥) ، ثم قال ابن رجب : وهذا غريب، وهو يدل على أن هذا القول كان في حجة الوداع، وأن الآية نزلت بعد ذلك، وهو بعيد جداً ، وعبد الوهاب(٣) ليس بذاك المتقن ، وقد خالفه الحفاظ، فرووا في حديث حجة الوداع الطويل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر، أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أتى إلى المقام، وقرأ : { وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلّىً} (البقرة:١٢٥) ثُمَّ صلى ركعتين، والمقام بينه وبين البيت "(٤)...." (٥) .

د – ما أورده عن الترمذي (٦) من حديثِ أبي سفيان السعدي، عن أبي نضرةَ عن أبي سعيد قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة ، فأرادوا النُقلةَ إلى قرب المسجد ، فنزلت هذه الآية : { إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}(يس/١٢). فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:" إنَّ آثاركم تكتب "، فلَمْ ينتقلوا ، ثم قال ابن رجب : وأبو سفيانُ، فيه ضعْفٌ ، والصحيحُ: رواية مسلم(٧)، عن أبي نضرة عن جابر..." (٨) .

ويلاحظ أنه أحياناً يصدر الرواية بالحكم عليها كما في المثال الأول ، وأحياناً يذكر الحكم على الرواية عقب ذكرها كما في المثال الثاني ويذكر ذلك باختصار ، وأحياناً يستطرد في الحكم على الرواية كما في المثال الثالث ، وقد يحكم على الرواية الواردة في سبب النزول بالضعف إذا كانت ضعيفه ويشير إلى سبب النزول الصحيح كما في المثال الرابع ، وقد ينقل سبب النزول ولا يشير إلى صحته أو ضعفه (٩) .

٣– عنايته بسرد الروايات الواردة في سبب نزول الآية أو الآيات عند تعدد السبب والنازل واحد :

---

(١) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ص : ٢٠٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم : ١ / ٢٢٦ ، خبر رقم : ١١٩٦ .

(٣) أحد رجال سند ابن أبي حاتم في روايته لهذا الحديث ، وهو عبد الوهاب بن عطاء الخفاف أبو نصر العجلى قال ابن أبي حاتم : سألت أبى عن عبد الوهاب بن عطاء فقال : يكتب حديثه محله الصدق، قلت : هو أحب إليك أو أبو زيد النحوي في ابن أبي عروبة؟ فقال عبد الوهاب وليس عندهم بقوى الحديث ، انظر الجرح والتعديل : ٦ / ٧٢ .

(٤) صحيح مسلم كتاب الحج – باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم : ٢ / ٨٨٦ – ٨٩١ ، حديث رقم : ١٢١٨.

(٥) فتح الباري : ٣ / ٩٥ ، ٩٦ .

(٦) سنن الترمذي ، كتاب التفسير : – باب ومن سورة يس: ٥ / ٢١٦ ، حديث رقم : ٣٢٢٦، وقال : هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري .

(٧) انظر صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد : ١ / ٤٦٢ ، حديث رقم : ٦٦٥ .

(٨) فتح الباري :٣ / ١١١ ، ١١٢ ، ٤ / ٢٩ ، ٣٠ .

(٩) انظر التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار ص : ١٤٣ .

نلاحظ أن ابن رجب عندما يتعرض في مصنفاته لتفسير الآية أو الآيات التي تعدد سبب نزولها يورد تلك الأسباب، ويعزوها لمصدرها من ذلك ما يلي :

أ – قوله : وقد أخبر الله تعالى بقربه ممن دعاه، وإجابته له، فقال: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } (البقرة:١٨٦) ، وقد روي في سبب نزولها: أن أعرابياً قال: يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله – عز وجل –: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } (البقرة:١٨٦) ، خرجه ابن جرير([١]) وابن أبي حاتم([٢]) ، فهذا سبب ، ثم ذكر سبباً ثانياً فقال : وروي عبد الرزاق([٣])، عن جعفر بن سليمان، عن عوف، عن الحسن، قال: سأل أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أين ربنا ؟ فأنزل الله – عز وجل –: { وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ } (البقرة:١٨٦) ، وسرد سبباً ثالثاً فقال : وروى عبد بن حميد بإسناده ([٤])، عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: نزلت هذه الآية: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ } (غافر:٦٠) ، قالوا: كيف لنا به أن نلقاه حتى ندعوه ؟ فأنزل الله عز وجل على نبيه – صلى الله عليه وسلم –: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ } (البقرة:١٨٦) ، فقالوا: صدق ربنا، هو بكل مكان ([٥]) .

ب – قوله عند تفسير قول الله – عز وجل : {لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنْ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}(آل عمران/١٨٨) ، وهذه الآية نزلت في اليهود، سألهم النبي – صلى الله عليه وسلم – عن شيء فكتموه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم وما سئلوا عنه، قال ذلك ابن عباس، وحديثه مخرج في " الصحيحين " ([٦])، فهذا سبب ، ثم أورد سبباً آخر فقال : وفيهما([٧]) – أيضاً – عن أبي سعيد أنها نزلت في رجال من المنافقين كانوا إذا خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – إلى الغزو تخلفوا عنه،

([١]) انظر جامع البيان في تفسير القرآن : ٣ / ٤٨٠ ، تحقيق أحمد شاكر : وضعف الحديث .

([٢]) راجع تفسير القرآن العظيم : ١ / ٣١٤ ، خبر رقم : ١٦٦٥ .

([٣]) انظر تفسير عبد الرزاق : ١ / ٣١٤ ، خبر رقم : ١٩٦ ، وأخرجه الطبري في تفسيره من طريق عبد الرزاق : ٣ / ٤٨١، تحقيق أحمد شاكر ، وقال : وهذا الإسناد صحيح إلى الحسن، ولكن الحديث ضعيف، لأنه مرسل، لم يسنده الحسن عن أحد من الصحابة .

([٤]) أورده السيوطي وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر من طريق عبد الله بن عبيد ، انظر الدر المنثور : ١ / ٤٧٠ ، ولم أجده في المطبوع من تفسير عبد بن حميد ولا مسنده .

(٥) فتح الباري : ٣ / ١١١ ، ١١٢ .

(٦) انظر صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن – باب { لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا} (آل عمران: ١٨٨) : ٦ / ٤٠ ، ٤١ ، حديث رقم : ٤٥٦٨: ، وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم : ٤ / ٢١٤٣ ، حديث رقم : ٢٧٧٨ .

(٧) راجع صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن – باب (لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا } (آل عمران: ١٨٨) : ٦ / ٤٠ ، حديث رقم : ٤٥٦٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: ٤ / ٢١٤٢ ، حديث رقم : ٢٧٧٧ .

وفرحوا بمقعدهم خلافه فإذا قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ([١]) .

٤- إيراده لسبب نزول الآية وربطه بين الآية والسبب أحياناً وتفسيره للآية بناء على سبب نزولها :

لقد كان ابن رجب الحنبلي يورد سبب نزول الآية الكريمة، ويربط بين سبب النزول والآية عند عدم وضوح العلاقة بينهما ، ويفسر الآية بناء على سبب النزول ، ويضع في اعتباره أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب من أمثلة ذلك ما يلي :

أ – ما نقله عن الصحيحين ([٢])عن ابن عمر رضي الله عنه : أن النبي – صلى الله عليه وسلم – حرَّق نخل بني النضير وقطَّع وهي الْبُوَيْرة فنزلت فيهم هذه الآية { مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ } (الحشر: ٥) ، ثم قال ابن رجب رابطاً بين الآية وسبب نزولها وموجهاً للآية طبقاً لسبب نزولها : " وإذا علم أن الآية نزلت بسبب بني النضير فبنوا النضير بما تركوا أرضهم ونخلهم وسلاحهم وقد جعلها الله فيئاً وخصه برسوله إما لأنه كان يملك الفيء في حياته أو لأنه كان يقسمه باجتهاده ونظره بخلاف الغنيمة ولا ريب أن بني النضير لم يتركوا أرضهم إلا بعد حصار ومحاربة ولم ينزلوا من حصونهم إلا خشية القتل ومع هذا فقد جعل الله أرض بني النضير فيئاً "([٣]) .

ب – ما ذكره عند تفسيره لقول الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } (المائدة : ٨٧) ، حيث قال : " وهذه الآية نزلت بسبب قوم امتنعوا من تناول بعض الطيبات زهداً في الدنيا وتقشفاً، وبعضهم حرم ذلك على نفسه، إما بيمين حلف بها، أو بتحريمه على نفسه ([٤]) ، ثم قال ابن رجب موجهاً للآية بناء على سبب نزولها : وذلك كله لا يوجب تحريمه في نفس الأمر، وبعضهم امتنع منه من غير يمين ولا تحريم، فسمى الجميع تحريماً، حيث قصد الامتناع منه إضراراً بالنفس، وكفاً لها عن شهواتها ، ويقال في الأمثال: فلان لا يحلل ولا يحرم ، إذا كان لا يمتنع من فعل حرام، ولا يقف عند ما أبيح له، وإن كان يعتقد تحريم الحرام، فيجعلون من فعل الحرام ولا يتحاشى منه محللاً له وإن كان لا يعتقد حله" ([٥]) .

---

(١) جامع العلوم والحكم : ٢ / ٤٩٢ .

([٢]) انظر صحيح البخاري : كتاب التفسير – باب قوله : {مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ} [الحشر: ٥] : ٦ / ١٤٧ ، حديث رقم : ٤٨٨٤ ، صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير –باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقها : ٣ / ١٣٦٥ ، حديث رقم : ١٧٤٦

(٣) انظر الاستخراج لأحكام الخراج ص : ٢٨، ٢٩ ط : دار الكتب العلمية – بيروت الأولى : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م .

([٤]) راجع سنن الترمذي ، أبواب التفسير – باب ومن سورة المائدة : ٥ / ١٠٥ ، حديث رقم : ٣٠٥٤ ، وقال حسن غريب ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي : ٧ / ٥٤، وانظر المراسيل لأبي داود ص : ١٧٩، رقم الحديث : ٢٠١ .

(٥) جامع العلوم والحكم : ١ / ٥٠٤ .

ج – ما نقله عن الإمام أحمد([١]) وأبي داود([٢]) والترمذي وصححه([٣]) من حديث سماك عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما وجه النبي – صلى الله عليه وسلم – على الكعبة قالوا: يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون على بيت مقدس؟ فأنزل الله عز وجل : { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ }(البقرة/١٤٣) الآية ، ثم أورد ابن رجب تفسير السلف لهذه الآية بناء على سبب النزول فقال : قال عبيد الله بن موسى: هذا الحديث يخبرك أن الصلاة من الإيمان. ... وممن روي عنه أنه فسر هذه الآية بالصلاة إلى بيت المقدس: ابن عباس من رواية العوفي عنه، وسعيد بن المسيب، وابن زيد، والسدي، وغيرهم ، وقال قتادة، والربيع بن أنس([٤]): نزلت هذه الآية لما قال قوم من المسلمين: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأولى؟ ثم قال ابن رجب : وهذا يدل على أن المراد بها الصلاة – أيضاً – لأنها هي التي تختص بالقبلة من بين الأعمال ، ولم يذكر أكثر المفسرين في هذا خلافاً وأن المراد بالإيمان هاهنا الصلاة؛ فإنها علم الإيمان وأعظم خصاله البدنية ([٥]) .

٥- توضيحه أحياناً لما في سبب النزول من إبهام :

أحياناً كان ابن رجب يبين ما في سبب النزول من ألفاظ مبهمة حتى يتضح المعنى ويستقيم عند القارىء ، من ذلك ما أورده عن ابن ماجه ([٦]) من رواية سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد، فأرادوا أن يقربوا، فنزلت: { وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} (يس: ١٢) ، قال: " فثبتوا " ، وقد ذكر البخاري عن مجاهد، أنه فسر الآثار – يعني: في هذه الآية – بالخطا، وزاد – أيضا – بقوله: آثار المشي في الأرض بأرجلهم([٧]) ، وفي حديث أنس([٨]): فكره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يعروا المدينة أو منازلهم ، يعني: يخلوها فتصير عراة من الأرض ، والعراء: الفضاء الخالي من الأرض، ومنه: قوله تعالى: {فنبذناه بالعراء} (الصافات: ١٤٥) ([٩]) ، فقد بين ابن رجب معنى يعروا حتى يتضح معنى سبب النزول ويُفهم .

([١]) المسند : ٤ / ٤٢٦ ، حديث رقم : ٢٦٩١ ، وقال المحقق : (شعيب الأرنؤوط) : صحيح لغيره .

([٢]) سنن أبي داود : ٤ / ٢٢٠ ، حديث رقم : ٤٦٨٠ .

([٣]) سنن الترمذي ، كتاب التفسير – باب ومن سورة البقرة : ٥ / ٥٨ ، حديث رقم : ٢٩٦٤ ، وقال : حسن صحيح .

([٤]) انظر تفسير الطبري : ٢ / ٦٥١ ، ٦٥٢ .

(٥) فتح الباري : ١ / ١٩٠ – ١٩٢ .

(٦) سنن ابن ماجة : كتاب المساجد والجماعات – باب الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً : ١ / ٢٥٨ ، حديث رقم : ٧٨٥، وقال البوصيري : هذا إسناد ضعيف موقوف فيه سماك وهو ابن حرب وإن وثقه ابن معين وأبو حاتم فقد قال أحمد مضطرب الحديث وقال يعقوب بن شيبة روايته عن عكرمة مضطربة وروايته عن غيره صالحة ، انظر مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة : ١ / ١٠١ ، والحديث له أصل في صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة – باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد : ١ / ٤٦٢ ، حديث رقم : ٦٦٥ .

(٧) رواه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب : باب : احتساب الآثار : ١ / ١٣٢ ، حديث رقم : ٦٥٥ ، ٦٥٦ .

(٨) المرجع السابق حديث رقم : ٦٥٦ .

(٩) فتح الباري : ٦ / ٣٠ .

٦- ذِكره في بعض الأحيان لما يترتب على سبب النزول من آداب وأحكام :

كان ابن رجب أحياناً يذكر ما يترتب على سبب نزول الآية أو الآيات من آداب وأحكام وينقل ذلك عن أهل العلم ، مثال ذلك : ما عزاه للصحيحين ([١]) من حديث عائشة – رضي الله عنها – في قوله تعالى: { وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا} (الإسراء: ١١٠) ، أنها نزلت في الدعاء ، ثم قال ابن رجب : وكذا روي عن ابن عباس وأبي هريرة، وعن سعيد بن جبير وعطاء وعكرمة وعروة ومجاهد ولإبراهيم وغيرهم ، ثم نقل ابن رجب عن أهل العلم ما يترتب على هذا السبب من آداب وأحكام فقال : قال الإمام أحمد: ينبغي أن يسر دعاءه؛ لهذه الآية ، قال: وكان يكره أن يرفعوا أصواتهم بالدعاء ، وقال سعيد بن المسيب: أحدث الناس الصوت عند الدعاء ، وكرهه مجاهد وغيره ، وروى وكيع، عن الربيع، عن الحسن – والربيع، عن يزيد بن أبان، عن أنس – أنهما كرها أن يسمع الرجل جليسه شيئا من دعائه ([٢]) .

ثالثاً : جهوده في الناسخ والمنسوخ :

النسخ " هو رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر" ([٣]) ولا يعرف النسخ إلا عن طريق (نقل صريح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا ، وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر، ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده – صلى الله عليه وسلم – والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد) ([٤])

وهو ثلاثة أنواع :

الأول : ما نسخ تلاوته وحكمه . **الثاني** : ما نسخ حكمه دون تلاوته . **الثالث** : ما نسخ تلاوته دون حكمه ([٥]) .

(ولمعرفة الناسخ والمنسوخ أهمية كبيرة عند أهل العلم من الفقهاء والأصوليين والمفسرين حتى لا تختلط الأحكام، ولذلك وردت آثار كثيرة في الحث على معرفته، فقد رُوِي أن عليًّا – رضي الله عنه– مرَّ على قاض فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، فقال: هلكت وأهلكت([٦]) ، وعن ابن عباس أنه

([١]) انظر صحيح البخاري : كتاب الدعوات – باب الدعاء في الصلاة : ٨ / ٧٢ ، حديث رقم : ٦٣٢٧ ، وصحيح مسلم : كتاب لصلاة – باب التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية بين الجهر والإسرار، إذا خاف من الجهر مفسدة : ١ / ٣٢٩ ، حديث رقم : ٤٤٧ .

(٢) فتح الباري : ٧ / ٤٠٣ ، وانظر في إيراده لأسباب النزول أيضاً : فتح الباري : ١ / ١٨٢ ، ٢/ ١٩٨ ، ٢ / ٥ ، ٢ : ٣٣٤ و مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٤ / ٣٩ ، ٤٠، ٥٦ ،.وشرح حديث لبيك اللهم لبيك ص : ٣٦ ، والاستخراج لأحكام الخراج ص : ١٠٦، ١٠٧ ، وجامع العلوم والحكم ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٩٣ ، ٣٩٠ والفرق بين النصيحة والتعيير ص : ١٧ ط : دار القاسم .

(٣) راجع الموافقات لإبراهيم بن موسى بن محمد الغرناطي : ٣ / ٣٤١ ، ومناهل العرفان للزرقاني : ٢ / ١٧٦ .

(٤) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٣ / ٨١ ، نقله عن ابن حصار .

(٥) انظر الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ٣ / ٧٠ ، ٧١ ، ٨١ .

(٦) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ، ص : ٤٨ .

قال في قوله تعالى: { وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً }(البقرة/٢٦٩) ، قال: " ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره، وحرامه وحلاله" (١)... " (٢) .

و وقد أدرك ابن رجب أهمية علم الناسخ والمنسوخ ومدى أصالته ، وعلاقته بالتفسير، واحتياج المفسر له؛ لذا القارئ لتراث هذا العالم الجليل يجد أنه اهتم بذلك و بذل فيه جهداً كبيراً يتمثل فيما :

١ – تحريره لأقوال السلف في النسخ والاستدلال عليها :

من أمثلة ذلك ما يلي :

أ – قول ابن رجب عند تفسيره لقوله تعالى : { يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ....} الآية (البقرة: ٢١٧) و قد اختلف العلماء في حكم القتال في الأشهر الحرم هل تحريمه باق أو نسخ فالجمهور : على أنه نسخ تحريمه، و نص على نسخه الإمام أحمد و غيره من الأئمة، و ذهبت طائفة من السلف : منهم عطاء : إلى بقاء تحريمه، و رجحه بعض المتأخرين، و استدلوا بآية المائدة، و المائدة من آخر ما نزل من القرآن و قد

روي : " أحلوا حلالها وحرموا حرامها " (٣) ، و قيل ليس فيها منسوخ و في المسند : " أن عائشة رضي الله عنه قالت : هي آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه و ما وجدتم فيها حرام فحرموه "(٤) و روى الإمام أحمد في مسنده " حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه و سلم يغزو في الشهر الحرام إلا أن يغزى و يغزو فإذا حضره أقام حتى ينسلخ "(٥) ..... ثم قال ابن رجب : و استدل الجمهور بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي – صلى الله عليه و سلم – بفتح البلاد و مواصلة القتال و الجهاد و لم ينقل عن أحد منهم أنه توقف عن القتال وهو طالب له في شيء من الأشهر الحرم و هذا يدل على إجماعهم على نسخ ذلك و الله أعلم (٦) ، ويلاحظ هنا أنه أورد قولين في النسخ ولم ينتصر لأحدهما ، وهو عادةً يميل إلى قول الجمهور في الترجيح – كما سبق .

ب – ما أورده عن الشافعي أنه قال : سمعت ممن أثق بخبره وعلمه يذكر أن الله – تعالى – أنزل فرضاً في الصلاة ، ثم نسخه بفرض غيره ، ثم نسخ الثاني بالفرض في الصلوات الخمس : كأنه يعني قول الله – عز وجل : { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدْ عَلَيْهِ } (المزمل:١-٤) ثم

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره : ٥ / ٥٧٦ .

(٢) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص : ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ، ص : ٢٣٩ ، مرفوعاً من طريق أبي اليمان، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم، عن ضمرة بن حبيب، عن عطية بن قيس، عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذكر الحديث ، قلت وإسناده ضعيف ، لضعف أبي بكر بن عبد الله واسمه بكير ، ضعفه الإمام أحمد ويحيى وأبو حاتم وأبو زرعة والنسائي والدارقطني ، انظر " الضعفاء والمتروكون " لابن الجوزي : ١ / ١٥٢ ، وهو حديث مرسل والمرسل نوع من أنواع الحديث الضعيف ، لأن عطية بن قيس الكلابي تابعي لم يدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – انظر تهذيب التهذيب : ٧ / ٢٢٨ .

(٤) المسند : ٤٢/ ٣٥٣ ، حديث رقم : ٢٥٥٤٧ ، وقال المحقق : إسناده صحيح .

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند : ٢٣ / ٦٠ ، حديث رقم : ١٤٧١٣ .

(٦) لطائف المعارف ص : ٢٢٤،٢٢٥ .

نسخه في السورة معه بقوله : { إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ } الآية إلى قوله : { فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ } (المزمل :٢٠) فنسخ قيام الليل ، أو نصفه ، أو أقل ، أو أكثر بما تيسر .

قال الشافعي : ويقال نسخ ما وصف في المزمل بقول الله – عز وجل – : { أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ } ودلوك الشمس : زوالها { إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ } العتمة { وَقُرْآنَ الْفَجْرِ } الصبح { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ } (الإسراء:٧٨–٧٩) فأعلمه أن صلاة الليل نافلة لا فريضة ، وأن الفرائض فيما ذكر من ليل أو نهار " ([1]) .

٢– حكمه أحياناً على الروايات الواردة في النسخ :

من ذلك قوله : " وفي " صحيح الحاكم "([2]) عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس – رضي الله عنهما قال : أول ما نسخ من القرآن فيما ذكر لنا شأن القبلة، قال الله تعالى : { وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ }(البقرة/١١٥)، فاستقبل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فصلى نحو بيت المقدس وترك البيت العتيق فقال الله تعالى : { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ....} (البقرة/١٤٢)، يعنون: بيت المقدس، فنسخها الله وصرفه إلى البيت العتيق ، وقال: صحيح على شرطهما ، وليس كما قال؛ فإن عطاء هذا هو الخراساني، ولم يلق ابن عباس؛ كذا وقع مصرحاً بنسبته في كتاب " الناسخ والمنسوخ " لأبي عبيد ([3]) ، ولابن أبي داود وغيرهما " ([4]) ، فيلاحظ هنا أن ابن رجب نقل عن الحاكم هذه الرواية التي تفيد القول بالنسخ وحكمه عليها بالصحة، لكنه لم يرتض هو هذا الحكم وحكم عليه بالضعف لانقطاعه بين عطاء الخرساني وابن عباس رضي الله عنه .

٣– رده للقول بالنسخ أحياناً بالحجة والدليل وتقديره لقول الجمهور في ذلك :

فقد كان ابن رجب الحنبلي أحياناً يرد القول بالنسخ بالحجة والدليل، ويقدر ما نقل عن جمهور السلف في القول بالنسخ من عدمه ، من أمثلة ذلك ما يلي :

أ– ما نقله عند تفسيره لقوله تعالى : { إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ..... } (البقرة: ٢٧١) عن النقاش أنه قال : " إنَّ هذه الآيةَ نسخَها قولُهُ تعالى : {الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}(البقرة/٢٧٤) ، انتهى ما

([1]) فتح الباري : ١/ ٣٠٦ .

(٢) المستدرك : ٢ / ٢٩٤ ، حديث رقم : ٣٠٦٠ ، صححه ووافقه الذهبي ، لكن استدرك عليهما ابن رجب وضعفه لانقطاعه ، وهو كما قال ابن رجب ، لأن عطاء الخرساني لم يسمع من ابن عباس رضي الله عنهما كما ذكر ابن حجر ، انظر : تهذيب التهذيب : ٧ / ٢١٤ .

(٣) انظر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد القاسم بن سلام ص : ١٨ .

(٤) فتح الباري : ١ / ١٨٤ ، ١٨٥ .

ذكرَهُ ، ثم قال ابن رجب معلقاً على هذا القول : ودعوى النسخ ضعيفة جدًّا ، وإنَّما معْنى هذه الآيةِ ، كمَعْنى التِي قبلها : إنَّ النفقةَ تُقبلَ سرًّا ، وعلانيةً " (١) .

ب – ما ذكره عند تفسير قول الله – عز وجل : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ } إلى قوله : { فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ ارْتَبْتُمْ لاَ نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلاَ نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنْ الآثِمِينَ}(المائدة/١٠٦)، من أن هذه الآية لم ينسخ العمل بها عند جمهور السلف، وقد عمل بها أبو موسى، وابن مسعود، وأفتى بها علي، وابن عباس، وهو مذهب شريح والنخعي وابن أبي ليلى وسفيان والأوزاعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم، قالوا: تقبل شهادة الكفار في وصية المسلمين في السفر، ويستحلفان مع شهادتهما، وهل يمينهما من باب تكميل الشهادة، فلا يحكم بشهادتهما بدون يمين، أم من باب الاستظهار عند الريبة؟ وهذا محتمل، وأصحابنا جعلوها شرطاً ، وهو ظاهر ما روي عن أبي موسى وغيره ، وقد ذهب طائفة من السلف إلى أن اليمين مع الشاهد الواحد هو من باب الاستظهار، فإن رأى الحاكم الاكتفاء بالشاهد الواحد، لبروز عدالته، وظهور صدقه، اكتفى بشهادته بدون يمين الطالب (٢) .

هذا ولم يقتصر اهتمام ابن رجب الحنبلي على ما نسخ حكمه دون تلاوته بل أورد – أيضاً – ما نسخ تلاوته وبقي حكمه من أمثلة ذلك :

أ– قوله : " وكان في القرآن الذي نسخ لفظه والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم " (٣)..."(٤) .

٢– قوله : " وكان في القرآن المنسوخ : " إنما أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " (٥)..." (٦) .

المبحث الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير بالرأي

" المراد بالرأي هنا "الاجتهاد" وعليه فالتفسير بالرأي ، عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسِّر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١/ ٤٣٩ رسالة صدقة السر وفضلها .

(٢) جامع العلوم والحكم ص : ٦٩٤ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى الاستخراج لأحكام الخراج ، ص : ٢٩ – ٣٢

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في سننه ،أبواب الحدود – باب الرجم : ٣ / ٥٨٨ ، حديث رقم : ٢٥٥٣ ، وصححه الألباني انظر : صحيح وضعيف سنن ابن ماجة : ٦ / ٥٣ ، حديث رقم : ٢٥٥٣ .

(٤) جامع العلوم والحكم ص : ٢٩٢.

(٥) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند : ٣٦ / ٢٣٧ ، حديث رقم : ٢١٩٠٦ ، والطبراني في المعجم الكبير : ٣ / ٢٤٧ ، حديث رقم : ٣٣٠١ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٧ / ١٤٠ وعزاه لأحمد والطبراني ، ثم قال : ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٦) مجموع رسائل الحافظ رجب : ١ / ٢٣٩ رسالة الحِكَم الجَدِيرة بالإذاعة من قول النبيﷺ " بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة

يحتاج إليها المفسِّر(١) ، و " التفسير بالرأي الجائز – أيضاً – يجب أن يلاحظ فيه الاعتماد على ما نقل عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه مما ينير السبيل للمفسر برأيه ، وأن يكون صاحبه عارفاً بقوانين اللغة خبيراً بأساليبها وأن يكون بصيراً بقانون الشريعة حتى ينزل كلام الله على المعروف من تشريعه "(٢) .

ولقد كان ابن رجب الحنبلي عالماً مجتهداً مجدداً في كثير من العلوم خاصة علم التفسير؛ لذا نجده لم يقتصر في تفسيره للقرآن الكريم في كتبه ورسائله على النقل والرواية فقط ، بل فسر بعض آيات القرآن الكريم بالرأي المحمود والقول المفيد ، والفكر السديد، بعد أن توفرت لديه أدوات المفسر(٣) ، ويظهر جهده وطريقته في ذلك فيما يلي :

المطلب الأول : تفسيره لمفردات الألفاظ القرآنية ورجوعه في ذلك إلى اللغة العربية :

لقد فسر ابن رجب الحنبلي كثيراً من ألفاظ القرآن الكريم برجوعه إلى اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، و اشتمل على ما اشتملت عليه من ألفاظ ومعاني وأساليب و وتراكيب، لكنه فاق الحد في الفصاحة والبلاغة والإعجاز وقد بذل ابن رجب الحنبلي في ذلك جهداً كبيراً ويظهر جهده فيما يلي :

أولاً : تفسيره للفظ القرآني بناء على معناها اللغوي دون الإشارة إلى أصل معنى اللفظ في اللغة :

مثال ذلك ما يلي :

١– تفسيره لبعض مفردات قوله تعالى { لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (البقرة : ١٧٧) حيث قال : " والمرادُ بالبأساءِ : الفقرُ ونحوُه ، وبالضَّرَّاءِ . المرضُ ونحوُه ، وحينَ البأسِ : حالُ الجهادِ (٤) .

---

(١) التفسير والمفسرون لمحمد السيد حسين الذهبي : ١ / ١٨٣ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني : ٢ / ٤٩ ، ٥٠ .

(٣) وانظر في اهتمام ابن رجب بالتفسير بالرأي : جامع العلوم والحكم ص : ٣٨ ، و أهوال القبور : ١١٤ وكتاب التوحيد ص : ٦٧ ، ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب، رسالة ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء : ١ / ٥١ ، ورسالة شرح حديث مثل الإسلام مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ٢٠٠ ، ورسالة غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع – مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ٢١٧ ، ٢٢١ ، والحِكَم الجَدِيرة بالإذاعة من قول النبيﷺ ((بُعِثْتُ بالسيف بين يدي الساعة)) ، و بغية الإنسان في وظائف رمضان ص : ٦٩ ولطائف المعارف ص : ٥٧٢ ، ورسالة فضل علم السلف على الخلف ص : ١٠، وفتح الباري : ١ / ٢٠٢ ، ٣ / ١١١ ، ١١٢ .

(٤) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس ص : ١٢٢ .

٢- وتفسيره للحنث في قوله تعالى : { وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ } (الواقعة : ٤٦) ، حيث قال : " وقد وصفَ اللَّهُ أهلَ النارِ بالإصرارِ على الكبائرِ ، فقال : { وَكانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيم } (الواقعة : ٤٦) ، والمرادُ بالحنثِ : الذنبُ الموقِعُ في الحنْثِ ، وهوَ الإثمُ " (١) .

٣- ما ذكره عند تفسيره لمفردات قوله تعالى : { وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } (الفتح/٢٩) ، حيث قال :" أَخْرَجَ شَطْأَهُ" أي فراخه " فَآزَرَهُ " أي ساواه وسار مثل الأم وقوي به "فَاسْتَغْلَظَ " أي غلظ " فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ " جمع ساق " (٢) .

٤- ما أورده عند تفسيره لمفردات قوله تعالى: { فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ}(البقرة/٢٣٩). حيث قال : "رِجَالاً " يعني: قياماً على أرجلهم، فهو جمع راجل، لا جمع رجل، و" الركبان" على الدواب " (٣) .

ثانياً : بيانه لأصل معنى الكلمة في اللغة ثم بيان المراد بها في الآية الكريمة :

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : " فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ " (المائدة : ٦) ، حيث قال : " أصل التيمم في اللغة القصد، ثم صار علماً على هذه الطهارة المخصصة " (٤) .

٢- وما بينه عند تفسيره للكلالة في قوله تعالى : { يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ } حيث قال : والكلالة مأخوذة من تكلل النسب وإحاطته بالميت وذلك يقتضي انتفاء الانتساب مطلقاً من العمودين الأعلى والأسفل " (٥) .

٣- ما فصَّله عند تفسيره لقوله تعالى : { وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}(الأنبياء/٣٥). [الأنبياء: ٣٥] ، وقوله تعالى : { وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(الأعراف/١٦٨) : أصل الفتنة : الابتلاء والامتحان والاختبار، ويكون تارة بما يسوء، وتارة بما يسر، كما قال تعالى : { وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ}(الأنبياء/٣٥) ، وقوله تعالى : { وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}(الأعراف/١٦٨) ، حيث قال : وغلب في العرف استعمال الفتنة في الوقوع فيما يسوء.

---

(١) فتح الباري ١ / ١٩٧.

(٢) انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ٢٢١ ، رسالة غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع .

(٣) فتح الباري : ٨ / ٣٦٠ .

(٤) فتح الباري : ٢ / ٢٠٤ .

(٥) جامع العلوم والحكم ص : ٨٥٩ .

والفتنة نوعان: أحدهما: خاصة، تختص بالرجل في نفسه. والثاني: عامة، تعم الناس.

فالفتنة الخاصة: ابتلاء الرجل في خاصة نفسه بأهله وماله وولده وجاره، وقد قال تعالى : { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (التغابن/١٥). ؛ فإن ذلك غالباً يلهي عن طلب الآخرة والاستعداد لها، ويشغل عن ذلك .....وأما الفتن العامة: فهي التي تموج موج البحر، وتضطرب، ويتبع بعضها بعضاً كأمواج البحر فكان أولهما فتنة قتل عثمان – رضي الله عنه (١) .

٤ – ما نقله عن تفسيره لقوله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمْ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا}(الفرقان/٦٣) عن الحسن أنه قال : " الهون في كلام العرب: اللين والسكينة والوقار. قال: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا} قال: حلماء لا يجهلون، وإذا جهل عليهم حلموا " (٢) .

ثالثاً : بيانه أحياناً لسبب إطلاق اللفظ على المعنى :

مثال ذلك : ما ذكره عند قوله تعالى : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} (الفاتحة/٦) حيث قال : وإنما سمي الصراط صراطاً : لأنه طريق واسع سهل، يوصل إلى المقصود وهذا مثل دين الإسلام في سائر الأديان، فإنه يوصل إلى الله وإلى داره، وجواره، مع سهولته وسعته ، وبقية الطرق وإن كانت كثيرة، فإنها كلها مع ضيقها وعسرها لا توصل إلى الله، بل تقطع عنه وتوصل إلى دار سخطه وغضبه، ومجاورة أعدائه " ولهذا قال تعالى: { وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنْ الْخَاسِرِينَ} (آل عمران/٨٥). .وقال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ } (آل عمران/١٩)..." (٣) .

رابعاً : استدلاله أحياناً على معنى الفظ القرآني بما ورد في القرآن الكريم أو بما جاء في السنة النبوية :

اقرأ مثلاً ما ذكره في تفسير الرشد في قوله تعالى : { وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمْ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَئِكَ هُمْ الرَّاشِدُونَ } (الحجرات/٧) ، حيث قال : " والرشدُ : هو طاعةُ الله ورسولِه ثم ذكر الآية السابقة ، ثم قال وكان النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – يقولُ في خطبتِهِ : "من يطع اللَّهَ ورسولَهُ فقدْ رَشَد ، ومن يعصِ اللَّهَ ورسولَهُ فقد غَوَى" (٤)، والرشدُ ضِدُّ الغَيِّ ، قال تعالى : { قَدْ تَبَيَّنَ

---

(١) فتح الباري : ٤ / ٢٠١ ، ٢٠٢ – ٢٠٤ .

(٢) الذل والانكسار ص : ٦٠ . فتح الباري : ١ / ٢٠ ، ٢١ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع فتح الباري : ١ / ٢٠ ، ٢١ ، ٢ / ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣ / ٣٨٠ ، و الذل والانكسار ص : ٣٥ ، ٣٧ . فتح الباري : ٤ / ٢٠١ ، ٢٠٢ – ٢٠٤ .

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ١٩٣ ، رسالة شرح حديث "مثل الإسلام" .

(٤) الحديث رواه أبو داود في سننه ، كتاب : باب :١ / ٢٨٧ ، حديث رقم : ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، وضعفه الألباني : انظر : ضعيف أبي داود : ٢ / ٦ ، ٧ .

الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ } (البقرة : ٢٥٦) ، فمن لم يكنْ رشيدًا فهوَ إمَّا غاوٍ وإمَّا ضال ، كما قالَ تعالى : { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى } (النجم : ٢) فالغاوي : من تعمَّدَ خلافَ الحقِّ ، والضالُّ : من لم يتعمَّدْ " (١)

خامساً : بيانه للفروق اللغوية بين بعض الألفاظ القرآنية :

قد تعرض ابن رجب في كتبه ورسائله لبيان الفروق اللغوية بين بعض الألفاظ القرآنية ومعانيها وبذل في ذلك جداً لا بأس به، وكانت طريقته في ذلك أنه يذكر الآية أو الآيات القرآنية ثم يُفصِّل الفرق بين بعض ألفاظها وألفاظ أخرى وردت في بعض الآيات سواء في ذلك ما ذكره هو أو ما نقله عن غيره ، وأحياناً كان ينقل هذه الفروق ثم يعقبها بالشرح والبيان، ثم يستدل عليها ببعض ما ورد عن السلف رضوان الله عليهم من ذلك :

١- ما أورده عند تفسيره قوله تعالى : { وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ } (البقرة : ١٥٥- ١٥٧) حيث نقل عن سليمان الخواص (٢) أنه قال : الصبر دون الرضا والرضا أن يكون الرجل قبل نزول المصيبة راضٍ بأي ذلك كان والصبر أن يكون بعد نزول المصيبة يصبر ، ثم قال ابن رجب : وحقيقة الفرق بين الصبر والرضا : أن الصبر كف النفس وحبسها عن التسخط مع وجود الألم ، والرضا يوجب انشراح الصدر وسعته وإن وجد الإحساس بأصل الألم لكن الرضا يخفف الإحساس بالألم لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة وقد يزيل الإحساس به بالكلية؛ ولهذا قال طائفة كثيرة من السلف منهم عمر بن عبد العزيز وغيره إن الراضي لا يتمنى غير حاله التي هو عليها بخلاف الصابر ، وقد روي عن طائفة من الصحابة هذا المعنى أيضاً وأنهم كانوا لا يتمنون غير ما هم عليه من الحال منهم عمر وابن مسعود رضي الله عنهما (٣) .

٢ – ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالكُم بَيْنكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تكون تِجَارَة عَن تَرَاض مِنْكُم وَلَا تقتلُوا أَنفسكُم إِن الله كَانَ بكم رحِيما وَمن يفعل ذَلِك عُدْوانًا وظلما فَسَوف نصليه نَارا وَكَانَ ذَلِك على الله يَسِيرا } (النساء/٢٩) حيث قال : وفرق الله بين الظلم والعدوان في هذ الآية ، قد يفرق بين الظلم والعدوان بأن الظلم ما كان بغير حق بالكلية كأخذ مال بغير استحقاق لشيء منه وقتل نفس لا يحل قتلها وأما العدوان فهو مجاوزة الحدود وتعديها فيما أصله مباح مثل أن يكون له على أحد حق من مال أو دم أو عرض فيستوفي أكثر منه فهذا هو العدوان وهو تجاوز ما يجوز أخذه فيأخذ ما له أخذه وما

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ رسالة : جزء من الكلام على حديث شداد ابن أوس " إذا كنز الناس الذهب والفضة " .

(٢) هو من العابدين الكبار بالشام كان من عباد أهل الثغر كان لا يأكل إلا الحلال المحض من أقران إبراهيم بن أدهم حكاياته في تعبده أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في ذكره ما له حديث مستقيم يرجع إليه انظر سير أعلام النبلاء للذهبي : ٧ / ٢٣٠ ، والثقات لابن حبان : ٨ / ٢٧٧ .

(٣) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي – صلى الله عليه وسلم – لابن عباس رضي الله عنهما ص : ١١٩ .

ليس له أخذه وهو من أنواع الربا المحرمة ...والظلم المطلق أخذ ما ليس له أخذه ولا شيء منه من مال أو دم أو عرض(١) .

٣- ما أورده عند تفسير قوله تعالى : { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (يونس : ٥) حيث قال : " والضياء هو النور الذي يحصل فيه نوع حرارة وإحراق كضياء الشمس بخلاف القمر فإنه نور محض فيه إشراق بغير إحراق ومن هنا وصف الله شريعة موسى بأنها ضياء كما قال : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ} (الأنبياء : ٤٨) ، وإن كان قد ذكر أن في التوراة نوراً كما قال : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ } (المائدة : ٤٤) لكن الغالب على شريعتهم الضياء لما فيها من الآصار والأغلال والأثقال ووصف شريعة محمد – صلى الله عليه و سلم – بأنها نور لما فيها من الحنيفية السمحة قال الله تعالى : { قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ } (المائدة : ١٥) وقال تعالى : { الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ... } (الأعراف : ١٥٧) (٢) .

المطلب الثاني : شرحه للآية أو الآيات القرآنية بالتفصيل أحياناً :

أحياناً نجد ابن رجب – رحمه الله تعالى – يفسر الآية أو الآيات الكريمة ويشرحها شرحاً مفصلاً يتناول فيه ما اشتملت عليه من معان وفوائد بل ويؤكد هذه المعاني والدلائل بما ورد في القرآن أو السنة

ونراه يتبع في ذلك طريقين:

الطريق الأول : شرحه للآية بالتفصيل من أول وهلة :

والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي :

١- تناوله بالشرح والتفصيل لقوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } [المائدة : ٥٤] ، حيث قال : فوصفَ اللهُ سبحانه المحبينَ له بخمسةِ أوصافٍ :

أحدها : الذِّلةُ على المؤمنين ، والمرادُ لِينُ الجانبِ وخفضِ الجناح والرأفةِ والرحمةِ للمؤمنينَ ، كما قال تعالى لرسولِهِ { وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ}(الشعراء/٢١٥) ، ووصفَ أصحابَه بمثلِ ذلك في قولِهِ

---

(١) شرح حديث لبيك اللهم لبيك ص : ١٠٣ ، بحذف .

(٢) جامع العلوم والحكم ص : ٥٠٥ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع فتح الباري : ٥ / ١٩٨ .

{ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ }(الفتح/٢٩). ، وهذا يرجعُ إلى أن المحبينَ للَّهِ يحبونَ أحباءَهُ ويعودونَ عليهم بالعطفِ والرأفةِ والرحمةِ .

الثاني : العزةُ على الكافرينَ ، والمرادُ الشّدَةُ والغلظةُ عليهم ، كما قالَ تعالى : { يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ }(التحريم/٩) ، وهذا يرجعُ إلى أنَّ المحبينَ لهُ يبغضونَ أعداءَه ، وذلك من لوازِمِ المحبةِ الصادقةِ .

الثالث : الجهادُ في سبيلِ الله ، وهو مجاهدةُ أعدائِهِ باليدِ واللسانِ ، وذلك أيضًا من تمامِ معاداةِ أعداءِ الله الذي تستلزمُه المحبةُ ، وأيضًا فالجهادُ في سبيلِ الله فيه دعاءُ الخلقِ إلى اللهِ وردُّهم إلى بابِه بالقهرِ لهم والغلبة ، كما قال تعالى : {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ} (آل عمران/١١٠).

الرابع : أنهم لا يخافون لومةَ لائم ، والمرادُ أنهم يجتهدونَ فيما يرضى به من الأعمالِ ولا يبالونَ بلومةِ من لامَهُم في شيءٍ منه إذا كان فيه رِضا ربِّهم ،وهذا من علاماتِ المحبةِ الصادقةِ ، إنَّ المحبَّ يشتغلُ بما يرضى به حبيبُه ومولاه ، ويستوِي عنده مَنْ حَمَدهُ في ذلكَ أو لامَهُ .

الخامس : متابعةُ الرسولِ – صلى الله عليه وسلم – وهو طاعتُه واتباعُه في أمر ونهيهِ (١).

٢– ما فصله عند تفسيره لقوله تعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (النساء : ٣٦) ، حيث قال : " فجمع الله تعالى في هذه الآية بين ذكر حقه على العبد وحقوق العباد على العباد – أيضاً – وجعل العباد الذين أمر بالإحسان إليهم خمسة أنواع :

أحدها : من بينه وبين الإنسان قرابة وخص منهم الوالدين بالذكر لامتيازهما عن سائر الأقارب بما لا يشركونهما فيه فإنهما كانا السبب في وجود الولد ولهما حق التربية والتأديب وغير ذلك.

الثاني من هو ضعيف محتاج إلى الإحسان وهو نوعان من هو محتاج لضعف بدنه وهو اليتيم ومن هو محتاج لقلة ماله وهو المسكين .

والثالث : من له حق القرب والمخالطة وجعلهم ثلاثة أنواع جار ذو قربى وجار جنب وصاحب بالجنب .

والرابع: من هو وارد على الإنسان، غير مقيم عنده، وهو ابن السبيل، يعني المسافر إذا ورد إلى بلد آخر، وفسره بعضهم بالضيف: يعني به ابن السبيل إذا نزل ضيفا على أحد.

---

(١) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس ص : ٨٠، ٨١ .

والخامس: ملك اليمين، وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم بهم كثيرا وأمر بالإحسان ... وفصل أقوال المفسرين في تفسير هذه الأصناف ([1]) .

الطريق الثاني : تفسيره للآية بإيجاز ثم تفصيله لما أوجزه :

مثال ذلك قوله عند تفسيره لقوله تعالى : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً} (النساء : ١٧) : وعمل السوء إذا انفرد يدخل فيه جميع السيئات صغيرها وكبيرها ، والمراد بالجهالة الإقدام على السوء وإن علم صاحبه أنه سوء فإن كل من عصى الله فهو جاهل وكل من أطاعه فهو عالم وبيانه من وجهين :

أحدهما : أن من كان عالماً بالله تعالى وعظمته وكبريائه وجلاله فإنه يهابه ويخشاه فلا يقع منه مع استحضار ذلك عصيانه كما قال بعضهم: لو تفكر الناس في عظمة الله – تعالى – ما عصوه وقال آخر: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً .

والثاني : أن من آثر المعصية على الطاعة فإنما حمله على ذلك جهله وظنه أنها تنفعه عاجلاً باستعجال لذتها وإن كان عنده إيمان فهو يرجو التخلص من سوء عاقبتها بالتوبة في آخر عمره وهذا جهل محض فإنه تعجل الإثم والخزي، ويفوته عز التقوى وثوابها ولذة الطاعة وقد يتمكن من التوبة بعد ذلك وقد يعاجله الموت بغتة فهو كجائع أكل طعاما مسموما لدفع جوعه الحاضر ورجا أن يتخلص من ضرره بشرب الذرياق ([2]) بعده وهذا لا يفعله إلا جاهل " (٣) .

المطلب الثالث : بيانه أحياناً للمعنى الإجمالي للآية أو الآيات :

كثيراً ما نجد ابن رجب الحنبلي يذكر المعنى الإجمالي للآية أو الآيات دون الخوض في تفسير مفرداتها ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١– ما ذكره في تفسير قوله تعالى : { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } (٧– ١٠) حيث قال : " والمعنى : قد أفلح من زكى نفسَه بطاعة الله ، وخابَ من دسَّاها بالمعاصي، فالطاعةُ تُزكي النفس وتُطهرها ، فترتفع ، والمعاصي تُدسِّي النفس ، وتقمعها ، فتنخفض ، وتصيرُ كالذي يُدسُّ في التراب " ([4]).

---

(١) جامع العلوم والحكم ص : ٣٤٦ ، ٣٤٨ ، ومن أراد مزيداً من الأمثلة فليراجع : ذيل طبقات الحنابلة : ٢ / ١٤٢ ، ١٤٣ ، مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ٣٤٩ ، ٣٥٠ رسالة : جزء من الكلام على حديث شداد ابن أوس " إذا كنز الناس الذهب والفضة " .

(٢) الذرياق ويقال له الترياق: وهو ما يستعمل لدفع السم من الأدوية والمعاجين ، انظر لسان العرب لابن منظور : ١٠/ ٣٣.

(٣) لطائف المعارف ص : ٥٦٩ ، ٥٧٠.

(٤) جامع العلوم والحكم ص : ٤١٧ .

٢- ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ } (الغاشية : ٢١ – ٢٦) حيث قال والمعنى : " إنما عليك تذكيرهم بالله ودعوتهم إليه ولست مسلطاً على إدخال الإيمان في قلوبهم قهراً ولا مكلفاً بذلك ثم أخبر تعالى بأن مرجع العباد كلهم إليه وحسابهم عليه " (١) .

٣- ما بينه عند تفسيره لقوله تعالى : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } (المطففين : ١٤ – ١٧) حيث قال : " فوصفهم بأن كسبهم ران على قلوبهم والران هو ما يعلو على القلب من الذنوب من ظلمة المعاصي وقسوتها ثم ذكر جزاءهم على ذلك وهو ثلاثة أنواع : الحجاب عن ربهم ثم صلي الجحيم ثم التوبيخ فأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن ربهم – عز وجل – ولما كانت قلوبهم في الدنيا مظلمة قاسية لا يصل إليها شيء من نور الإيمان وحقائق العرفان كان جزاؤهم على ذلك في الآخرة حجابهم عن رؤية الرحمن " (٢) .

والملاحظ في الأمثلة السابقة أن ابن رجب ذكر التفسير الإجمالي لبعض آيات القرآن الكريم من قبل نفسه دون أن ينقل ذلك عن غيره وأحياناً نجده ينقل هذا عن غيره من العلماء مثال ذلك ما نقله عن الخطابي (٣) في تفسير قوله تعالى : {وَلاَ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ}(المدثر/٦) أنه قال : أي: لا تعط لتأخذ أكثر مما أعطيت، ولم يرد به المنة؛ فإنها تفسد الصنيعة، ولا منة لأحد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بل له المنة على جميع الأمة " (٤) .

المطلب الرابع : إعرابه لبعض ألفاظ القرآن الكريم وجمله وتصريفه لبعض كلماته :

كثير من آيات القرآن الكريم يتوقف بيان معناها على إعرابها أو إعرابها بعض ألفاظها؛ لذا نجد كثيراً من العلماء اهتموا بإعراب القرآن الكريم سواءً بإفراد كتب لذلك أو بإعراب بعض آياته الكريمه في ثنايا تفاسيرهم أو كتبهم الأخرى ، وممن اهتم بهذا الأمر العالم الجليل والمفسر النحرير الحافظ ابن رجب الحنبلي سواءً في كتبه الخاصة بالإعراب أو في مؤلفاته الخاصة بالتفسير – كما سبق بيانه – أو مؤلفاته الأخرى، ويظهر جهد ابن رجب في إعراب بعض آيات وسور القرآن الكريم فيما يلي :

---

(١) جامع العلوم والحكم ص : ١٦٥ .

(٢) استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس ص : ٦٢ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليراجع: جامع العلوم والحكم ص : ١٩٧، ١٩٨ .

(٣) انظر أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) : ١ / ٣٠٤ .

(٤) فتح الباري : ٣ / ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ولمزيد من الأمثلة انظر: ذيل طبقات الحنابلة : ٢ / ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥، ١٤٧ ، ١٥١

أولاً : تأليفه لبعض الكتب الخاصة بإعراب بعض آيات وسور القرآن الكريم مثل كتاب : " إعراب البسملة " وإعراب أم الكتاب " لكنهما مفقودان كما سبق الإشارة إلى ذلك .

ثانياً : الإعراب التفصيلي لبعض آيات القرآن الكريم وذكر آراء أهل اللغة والإعراب في إعراب اللفظ أو الجملة كما سبق بيانه في جهود ابن رجب في تفسير سورة الإخلاص .

ثالثاً : الإعراب الإجمالي لبعض حروف وألفاظ وجمل القرآن الكريم، وبيان اختلاف أهل اللغة والإعراب في إعراب الجملة أو الكلمة، وغالباً ما ينقل هذا عن غيره من العلماء ويستشهد على ما ذكره من إعراب ببعض الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية وفيما يلي بعض الأمثلة على ذلك :

١- قوله : العطفُ في قوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ} (الحجر/٨٧)، من بابِ: عطفِ الصِّفاتِ على الصِّفاتِ، لا من: عطفِ الموصوفاتِ على الموصوفاتِ، ونظيرُه قولُه سبحانه وتعالى: { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى } (الأعلى : ١-٤) (١) .

٢ – ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ } (الهمزة : ٨ ،٩) ، حيث قال : " مُمَدَّدَةٍ " صفة للعمد يعني أن العمد التي أوثقت بها الأبواب ممدة مطولة والمدود الطويل أرسخ وأثبت من القصير" (٢) .

٣ – ما ذكره في نوع " الباء " في قوله تعالى : { وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } (الزخرف : ٧٢) و قوله : { بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } (الحاقة : ٢٤) من أنها : باء السببية وقد جعل الله العمل سبب لدخول الجنة " (٣) .

أما بالنسبة لتصريف بعض ألفاظ القرآن الكريم ووزنها الذي من شأنه أن يوضح المعنى، فقد بذل جهداً لا بأس به في هذا الشأن، حيث أورد تصريفات بعض كلمات القرآن الكريم ونوعها هل هي مصدر أم اسم فاعل أم اسم مفعول أو غير ذلك مما يعين علي تفسيرها من ذلك :

ما ذكره عند تفسيره لقوله عزَّ وجلَّ : {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ }(البقرة/٢٢٢). ، و"المحيضُ " ، قيل : إنَّه مَصْدَرٌ كالحَيْضِ ، وقيلَ : بل هو اسم للحيض ، فيكونُ اسمَ مصدرٍ " (٤).

---

(١) تفسير سورة الفاتحة ص : ١٨ ، بتصرف يسير .

(٢) انظر التخويف من النار ص : ٨٣ وانظر في الإعراب : فتح الباري : ٢ / ٢٠١- ٢٠٣

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٤ / ٣٩٣ رسالة المحجة في سير الدلجة ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى : الاستخراج لأحكام الخراج ص : ٢٧ .

(٤) فتح الباري : ٢ / ٥ .

ونجده أحياناً لا يذكر تصريف الكلمة أو نوعها وكفى ، بل نجد يصحح ما قال به بعض العلماء في تصريف الكلمة إذا كان مخالفاً للغة من ذلك : ما أورده عن البخاري عند تفسير لقوله تعالى : { أَوْ كَصَيِّبٍ مِنْ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ } (البقرة/١٩) حيث قال : " وقد ذكرَ البخاريُّ عن بعضِهِم ([١]) ، أنَّ الفعلَ الماضِي منه : "صابَ وأصابَ " والمضارعُ منه : "يصوبُ " ثم قال ابن رجب :" ، وهذا عجيبٌ : فإنَّ "أصابَ " إنما تقالُ في ماضِي "يصيبُ " ، مِنَ الإصابةِ التي هي ضدَّ الخطأ ، وأمَّا "صابَ يصوبُ " ، فمعناه : نزلَ من علوٍ إلى سفْل " (٢) .

رابعاً : مناقشته لأقوال النحاة في الإعراب، والاستشهاد بالآيات القرآنية و السنة النبوية على القضايا النحوية :

مثال ذلك : قوله " الرواية التي خرجها البخاري([٣]) في هذا الباب " إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا " فيه الإتيان بالضمير المنفصل مع تأتي الإتيان بالضمير المتصل، وهو ممنوع عند أكثر النحاة إلا للضرورة كقول الشاعر:

" ضمنت إياهم الأرض في دهر الدهارير " ([٤]) .

وإنما يجوز اختياراً إذا لم يتأت الإتيان بالمتصل مثل أن يبتدأ بالضمير قبل عامله نحو{ إِيَّاكَ نَعْبُدُ } (الفاتحة/٥) ؛ فإنه لا يبتدأ بضمير متصل أو يقع بعد نحو إلا إياه ، فأما قول الشاعر: " أن لا يجاورنا إلاك "([٥])، فشاذ ، وأما قوله : " وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي " ([٦]) ، فهو عندهم متأول على أن فيه معنى الاستثناء، كأنه قال: ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا ، ولكن هذا الذي وقع في هذا الحديث يشهد لجوازه من غير ضرورة، ويكون حينئذ قوله: " إنما يدافع عن أحسابهم أنا " شاهداً له غير محتاج إلى تأويل، والله أعلم ([٧]) .

المطلب الخامس : بيانه لبعض الصور البلاغية في الآيات القرآنية :

([١]) انظر صحيح البخاري ، أبواب الاستسقاء – باب ما يقال إذا مطرت : ٢ / ٣٢ .

(٢) فتح الباري : ٩ / ٢٣١، ٢٣٢ .

(٣) صحيح البخاري كتاب الإيمان – باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا أعلمكم بالله» :١ / ١٣ ، برقم : ٢٠ ،

(٤) البيت للفرزدق همام بن غالب ونصه : وبالوارث الباعث الأموات قد ضمنت ... إيّاهم الأرض فى دهر الدّهارير ، انظر ديوان الفرزدق بشرح عبد الله الصاوي ، ص : ٢٦٤ ، مطبعة الصاوي – مصر .

(٥) نص البيت : فما نبالي إذا ما كنت جارتنا ... ألّا يجاورنا إلّاك ديّار انظر تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد لابن هشام ، ص : ٨١ ، ولم ينسبه لقائله .

(٦) عزاه ابن منظور للفرزدق ونص البيت : أنا الضامن الحاني عليهم، وإنما ... يدافع عن أحسابهم أنا، أو مثلي ، انظر لسان العرب : ١٥ / ٢٠٠ .

(٧) فتح الباري : ١ / ٩٢ .

من المعلوم أن القرآن الكريم قد بلغ الحد في الفصاحة والبلاغة والبيان مما جعل العرب يعجزون عن الإتيان بأقصر سورة من مثله، فهو عظيم السبك بديع النسق، به من الأساليب العجيبة والصور البلاغية البديعة الكثير والكثير مما يزيد في التحدي والإعجاز، وقد ألفت في ذلك الكتب والمجلدات واهتم بذكرها الكثير من المفسرين والبلاغيين وغيرهم ، وكان لابن رجب الحنبلي نصيب كبير في إبراز هذا الجانب فقد بذل في ذلك جهداً لا بأس به ، سواء ما يتعلق بعلم المعاني من إنشاء وخبر ووصل وفصل وقصر وإيجاز وإطناب ومساواة وغير ذلك أو بعلم البيان من مجاز وتشبيه واستعارة وكناية، أو ما يتعلق بعلم البديع من مناسبة في المعنى أو حسن التعليل أو المشاكلة وغير ذلك، و يظهر جهد ابن رجب في هذا الجانب في إيراد الصورة البلاغية وتوجيهها وشرحها وتفسير الآية بناءً عليها سواء ما أورده مختصراً أو مفصلاً وسواء ما صرح به أو ما أشار إليه إشارة .

فمن الأمثلة التي صرح فيها بالصورة البلاغية التي اشتملت عليها الآيات القرآنية ما يلي :

١- ما عرضه من صورة بلاغية في قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ } (المنافقون: ٤) حيث قال " وقد ورد في القرآن تشبيه المنافقين بالخشب المسندة مع حسن ثم ذكر الآية ثم قال : " فوصفهم بحسن الأجسام وتمامها وحسن المقال وفصاحته حتى يعجب من منظرهم من رآهم ، ويسمع قولهم من سمعه سماع إصغاء وإعجاب به ، ومع هذا فبواطنهم خراب ومعانيهم فارغة ، فلهذا مثلهم بالخشب المسندة التي لا روح لها ولا إحساس وقلوبهم مع هذا ضعيفة في غاية الضعف " (١) .

فنلاحظ أنه ذكر ما في هذه الآية الكريمة من صور بلاغية على سبيل التفصيل حيث ذكر أن الآية فيها تشبيه ثم وجهه وبين وجه الشبه والسبب في تشبيه المنافقين بالخشب المسندة دون غيرها .

٢- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } (المدثر : ٤) حيث قال : " كنى بالثياب عن الأعمال وهي الدين والتقوى والإيمان والإسلام ، وتطهيره : إصلاحه وتخليصه من المفسدات له ، وبذلك تحصل طهارة النفس والقلب والنية ، و به يحصل حسن الخلق ؛ لأن الدين هو الطاعات التي تصير عادة وديدنا وخلقا ، قال تعالى { وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم } [القلم : ٤] (٢) ، حيث ذكر ما في الآية الكريمة من صورة بلاغية وهي الكناية ثم فسر الآية الكريمة بناءً عليها .

٣- ما استعرضه عند تفسيره لقوله تعالى : { وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ٢١٧ رسالة غاية النفع في شرح حديث تمثيل المؤمن بخامة الزرع وانظر : ١ / ٢١٨ ، ٢٢١ أشار إلى تشبيه وتمثيل آخر في آيات أخر .

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١ / ١٠١ .

الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ}(الأعراف: ١٧٥– ١٧٧). حيث قال : " شبَّه اللَّهُ عالمَ السُّوءِ الَّذي لم ينتفعْ بعلمِهِ بالكلبِ " ثم فصل هذا التشبيه فقال : " والمُرادُ بهذا المثلِ : أنَّ منْ لم يزجرْهُ علمُه عن القبيح ، صارَ القبيحُ عادةً لهُ ولم يؤثرْ فيه علمُه شيئًا ، فيصيرُ حالُه كحالِ الكلبِ اللاهثِ " فإنَه إنْ طُرِدَ لَهِثَ ، وإنْ ترِكَ لَهِثَ ، فالحالتانِ عنده سواءٌ .وهذا أخسُّ أحوالِ الكلبِ وأبشعُهَا ، فكذلكَ من يرتكبُ القبائح مع جهلِهِ ومع علمِهِ ، فلا يؤثِّرُ علمُه شيئًا ....."([١]).

٤– ما عرضه عند تفسيره لقوله تعالى : {أَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ}(الرعد/١٧). حيث قال : " شبه الله القلوب الحاملة للعلم والإيمان بالأودية الحاملة للسيل فقلب كبير يسع علماً عظيماً كوادٍ كبير يسع ماءً كثيراً وقلب صغير يسع علماً قليلاً كوادٍ صغير يسع ماءً قليلاً فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها كما سالت الأودية من الماء بقدرها ([٢]) .

ومن الأمثلة التي أشار فيها إلى الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات القرآنية ما يلي :

١– ما أورده عند تفسيره لقوله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ} (البقرة/٢٢٢) حيث قال : " أي : عن حُكمِهِ والمباشرةِ فيه ([٣]) ، أي أن الآية فيها مجاز بالحذف ، وقد أشار إلى هذه الصورة البلاغية إشارة .

٢– ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ } (الحج : ٤٥)، وقوله : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ... } الآية (النحل : ١١٢) ، وقوله : { وَ كَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا } (الطلاق : ٨) وقوله : { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا } (يوسف : ٨٢)، المراد بذلك أهل القرى وأمثال ذلك في القرآن كثير " (٤) أي أن الآيات فيها مجاز بالحذف أيضاً .

.

المطلب السادس : استنباطه لبعض ما دلت عليه الآيات القرآنية من فوائد ودلائل بهية :

لم يقتصر هذا العالم الجليل على تفسير الآيات القرآنية، ونقل أقوال علماء السلف في المراد بها بل نجده يعدد بعض الفوائد والدلائل والعبر التي تدل عليها الآية أو الآيات الكريمة ، وبذل في ذلك جهداً بالغاً

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ١ / ٢٠٣ ،٢٠٤ رسالة شرح حديث " مثل الإسلام "

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٢ / ٥٥٩ رسالة : مقدمة تشتمل على أن جميع الرسل كان دينهم الإسلام

(٣) فتح الباري : ٢ / ٥ .

(٤) الاستخراج لأحكام الخراج ص : ٤٣ وانظر جامع العلوم والحكم ص : ١٢٩.

وملحوظاً ، يتضح جهده ومنهجه في ذلك فيما يلي :

أولاً : استنباطه لهذه الفوائد والدلائل أثناء تفسيره للآية أو الآيات الكريمة ، وأحياناً يقتصر على ذِكْرِ الفائدة دون أن يتعرض لتفسير الآية، سواء في ذلك ما استنبطه هو من قبل نفسه أو ما نقله عن غيره من العلماء والأمثلة على ذلك كثيرة نقتصر منها على ما يلي :

١- ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ } (الجمعة : ٢) ، حيث قال : " وقوله في الأميين والمراد بهم العرب: تنبيه لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم وليس عندهم شيء من آثار النبوات كما كان عند أهل الكتاب فمنَّ الله عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا أفضل الأمم وأعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل من الأمم قبلهم.
و في كونه منهم فائدتان :
إحداهما : أن هذا الرسول كان أيضاً أمياً كأمته المبعوث إليهم لم يقرأ كتاباً قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى: { وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} (العنكبوت: ٤٨) ، ولا خرج عن ديار قومه فأقام عند غيرهم حتى تعلم منهم شيئاً بل لم يزل أمياً بين أمة أمية لا يكتب ولا يقرأ حتى كمل الأربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذي اعترف حذاق أهل الأرض ونظارهم أنه لم يقرع العالم ناموس أعظم منه وفي هذا برهان ظاهر على صدقه .
و الفائدة الثانية: التنبيه على أن المبعوث منهم ، وهم الأميون – خصوصاً أهل مكة – يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وأمانته وعفته وأنه نشأ بينهم معروفاً بذلك كله وأنه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس ثم يفتري الكذب على الله (١) ، ويلاحظ أنه في هذا المثال ذكر بعض ما في الآية الكريمة من فوائد بعد تفسيره لما يحتاج إلى تفسير منها..

٢- ما ذكره عند حديثه عن قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ} (الفيل/١) ، حيث قال عن نوع الاستفهام في الآية : " استفهام تقرير لمن سمع هذا الخطاب، ثم قال : وهذا يدل على اشتهار ذلك بينهم ومعرفتهم به، وأنه مما لا يخفى علمه على العرب، خصوصاً قريش وأهل مكة، وهذا أمر اشتهر بينهم وتعارفوه، وقالوا فيه الأشعار السائرة (٢) .

٣- ما أورده عند حديثه عن قوله تعالى : { وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ } (الممتحنة : ١٢) ، حيث قال : " وفي هذا إشارة إلى أن الطاعة لا تكون إلا في معروف ، فلا يطاع مخلوق إلا في معروف ولا يطاع في

---

(١) لطائف المعارف ص: ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٢) لطائف المعارف ص : ٩٤ .

معصية الخالق ..([1])، ويلاحظ هنا أنه في هذين المثالين السابقين ذكر ما دلت عليه الآيتين من فوائد دون أن يتعرض لتفسيرهما ، ويلاحظ أيضاً أنه في الأمثلة السابقة استنبط هو بعض ما في الآيات من فوائد ودلائل ، والمثال التالي نقل ذلك عن غيره من العلماء .

٤- ما نقله عن ابن الجوزي فيما حكاه عن الوزير [يحي بن محمد بن هبيرة] أنه قال في تفسير قوله تعالى : { وَما أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ } (الفرقان : ٢٠) " فهو يدل على فضل هداية الخلق بالعلم ويبين شرف العالم على الزاهد المنقطع فإن النبي – صلى الله عليه وسلم – يكون كالطبيب والطبيب يكون عند المرضى فلو انقطع عنهم هلكوا " ([2]) .

ثانياً : استدلاله على استنبطه من فوائد ودلائل بما ورد في القرآن الكريم نفسه، أو بما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو أصحابه رضوان الله عليهم :

فكثيراً ما نجد ابن رجب الحنبلي يستنبط بعض الفوائد التي دلت عليها الآية أو الآيات القرآنية الكريمة، ويؤكد ما استنبطه بالعقل بما ورد في النقل ، سواء أكان من القرآن الكريم أو مما ورد عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو من أقوال أصحابه رضوان الله عليهم مثال ذلك :

١ – ما استنبطه من قوله تعالى { أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ } (الجاثية : ٢٣)، حيث قال : " في الآية جواز إطلاق الإله على الهوى المتبع ، ثم نقل تفسير الآية عن الحسن أنه قال : هو الذي لا يهوى شيئاً إلا ركبه ، وعن قتادة أنه قال : هو الذي كلما هوي شيئاً ركبه وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى ، ثم دلل على هذا الاستنباط بما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية فقال : " ويشهد لذلك الحديث الصحيح عن النبي – صلى الله عليه وسلم : " تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش "([3]) ، فدل هذا على أن كل من أحب شيئاً وأطاعه وكان غاية قصده ومطلوبه ووالى لأجله وعادى لأجله فهو عبده وكان ذلك الشيء معبوده وإلهه ....، ثم قال أيضاً : " ويدل عليه – أيضاً – أن الله تعالى سمي طاعة الشيطان في معصيته عبادة للشيطان كما قال تعالى : { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ } (يس : ٦٠) ..." إلخ ([4]) .

---

(١) فتح الباري : ١ / ٧٧.

([2]) ذيل طبقات الحنابلة : ٢ / ١٤٧ .

([3]) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الجهاد والسير – باب الحراسة في الغزو في سبيل الله: ٤ / ٣٤ ، حديث رقم : ٢٨٨٦.

([4]) انظر كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ص ٢٥ –٣٠ .

٢ – قوله : " وقدْ دلَّ قولُهُ تعالى : { قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } وقوله : { قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } (الجمعة : ٦) على جواز تمني الموت لمن وثق بعمله شوقاً إلى لقاء الله– عز وجل – فأولياء الله لا يكرهون الموت بل يتمنونه ثم أخبر أنهم { لَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } (الجمعة : ٧) ، فدل على أنه إنما يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها قال بعض السلف : ما يكرهُ الموت إلا مريبٌ ثم استدل على هذه الفائدة فقال : " وفي حديث عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم: " وأسألك لذة النظر إلى وجهك وشوقاً إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة" (١) ، فالشوق إلى لقاء الله – تعالى – إنما يكون بمحبة الموت وذلك لا يقع غالباً إلا عند خوف ضراء مضرة في الدنيا أو فتنة مضلة في الدين فأما إذا خلا عن ذلك كان شوقا إلى لقاء الله – عز وجل – وهو المسؤول في هذا الحديث وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: " لا يتمنين الموت إلا من وثق بعمله"(٢) فالمطيع لله مستأنس بربه فهو يحب لقاء الله والله يحب لقاءه والعاصي مستوحش بينه وبين مولاه وحشة الذنوب فهو يكره لقاء ربه ولا بد له منه " (٣).

٣ – ما استنبطه من قوله تعالى : { وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ } (البقرة/٢٢٨)، حيث قال : " فإنَّه يدلُّ على أنَّ المرأةَ مؤتمنةٌ على الإخبار بما في رحِمِها ، ومُصَدَّقة فيه إذا ادَّعَتْ من ذلك مُمْكِنًا ، ثم استدل على هذه الفائدة فقال : " روى الأعْمشُ ، عن مُسْلمٍ ، عن مسروق ، عن أبيِّ بنِ كعْبٍ ، قال : " إنَّ من الأمانةِ أن ائتمنتِ المرأة على فَرْجِها " (٤) .." (٥) .

.

---

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، لأبي حاتم ابن حبان البستي : ٥ / ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، حديث رقم : ١٩٧١، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده قوي .

(٢) مسند الإمام أحمد : ١٤ / ٢٦٠ ، حديث رقم : ٨٦٠٧ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) صحيح دون قوله : "إلا أن يكون قد وثق بعمله"، فإنها زيادة منكرة .

(٣) لطائف المعارف ص : ٥١١ ، ٥١٢ بتصرف .

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى : ٧ / ٦٠٩ ، حديث رقم : ١٥١٨٤ ، والحاكم في المستدرك : ٢ / ٤٥٨ ، برقم : ٣٥٨١ ، ولم يحكم عليه ، وسكت عنه الذهبي في التلخيص .

(٥) انظر فتح الباري : ٢ : ١٤٣ ، ١٤٤ ، ومن أراد الاستزادة من الأمثلة فليرجع إلى : لطائف المعارف أيضاً :٦٦، ١٨٥ ، ١٨٦ و فتح الباري : ١ / ٢٩ ، ٢ / ٢٠١ ، وجامع العلوم والحكم ص : ١٨٦ ونور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما ص : ٩٣،٩٤ ، ١١٩ .والتخويف من النار ص : ١١٠ ، ١٩٨، وأهوال القبور : ١٣٧، ١٩٢ ، وكتاب التوحيد ص : ٤٤،٤٥ ، ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٤ / ٤٠١ ، و رسالة المحجة في سير الدلجة و : ٤ / ١٢، و رسالة اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى والقاعدة الذهبية في المعاملات الإسلامية " لا ضرر ولا ضرار ص : ٤٦ ط : الكتاب العربي .

المطلب السابع : تفصيله لمجملات بعض الآيات القرآنية :

المراد بالمجمل هنا : " ما كان اللفظ فيه محتمِلًا لمعانٍ كثيرة، ولم يكن حمله على بعضها أَوْلَى من الباقي " (١) ، ولقد بذل ابن رجب الحنبلي جهداً لا بأس به في تفصيل مجملات بعض الآيات القرآنية في مؤلفاته التي تعرض فيها لتفسير آيات القرآن الكريم ولم يعتمد في تفسيره لهذه المجملات على النقل ، بل على الرأي ، يتمثل هذا الجهد فيما يلي :

١- ذِكْرُه للمراد بالبر في القرآن الكريم حيث قال : البرَّ يُطلق باعتبارين معينين :

أحدُهما : باعتبار معاملة الخلق بالإحسان إليهم ، وربما خصَّ بالإحسانِ إلى الوالدين ، فيقال : برُّ الوالدين ، ويطلق كثيراً على الإحسان إلى الخلق عموماً ، وإذا قرن البرُّ بالتَّقوى ، كما في قوله – عز وجل : { وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى }(المائدة/٢). ، فقد يكون المرادُ بالبرِّ معاملةَ الخلق بالإحسّان ، وبالتَّقوى : معاملة الحقِّ بفعل طاعته ، واجتناب محرَّماته ، وقد يكونُ أُريد بالبرِّ : فعل الواجبات ، وبالتقوى : اجتناب المحرَّمات ، وقوله تعالى : { وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}(المائدة/٢). قد يُراد بالإثم : المعاصي ، وبالعدوان : ظُلم الخلق ، وقد يُراد بالإثم : ما هو محرَّم في نفسه كالزِّنى ، والسرقة ، وشُرب الخمر ، وبالعُدوان : تجاوز ما أذن فيه إلى ما نُهي عنه ممَّا جنسُه مأذونٌ فيه ، كقتل مَن أُبيح قتلُه لِقِصاصٍ ، ومن لا يُباح ، وأخذُ زيادة على الواجب من الناس في الزكاة ونحوها ، ومجاوزة الجلد في الذي أمر به في الحدود ونحو ذلك .

والمعنى الثاني من معنى البرِّ : أنْ يُراد به فعلُ جميع الطاعات الظاهرة والباطنة ، كقوله تعالى : {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُتَّقُونَ}(البقرة/١٧٧). ، وقد رُوي أنَّ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – سئل عن الإيمان ، فتلا هذه الآية (٢)، ثم قال ابن رجب : فالبرُّ بهذا المعنى يدخل فيه جميعُ الطاعات الباطنة كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والطاعات الظاهرة كإنفاق الأموال فيما يحبُّه الله ، وإقام الصَّلاة ، وإيتاء الزّكاة ، والوفاء بالعهد ، والصَّبرِ على الأقدار ، كالمرض والفقر ، وعلى الطَّاعات ، كالصَّبر عِند لقاءِ العدوِّ (٣) .

٢- تفسيره للفساد في الأرض ، الوارد في قوله تعالى : { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ

---

(١) دراسات في علوم القرآن ، لمحمد بكر إسماعيل ، ص : ٢٣٥ .

(٢) تعظيم قدر الصلاة ، لأبي عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي : ١ / ٤١٦ ، حديث رقم : ٤٠٨ ، وأورده ابن تيمية في كتابه : الإيمان ، ص : ٨٥ تحقيق وتخريج الألباني وصححه .

(٣) جامع العلوم والحكم ص : ٥٧٠ – ٥٧٢ ، وراجع : لطائف المعارف ص : ٤١٠ ، ٤١٤ ومجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ٤ / ٣٩٢ رسالة المحجة في سير الدلجة و ٢ / ٤٦٩ رسالة نزهة الأسماع .

نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا }(المائدة/٣٢). ، حيث قال : " ويدخل في الفساد في الأرض : الحراب والرِّدَّة ، والزنى ، فإنَّ ذلك كلَّه فساد في الأرض وكذلك تكرُّر شرب الخمر والإصرار عليه هو مظنةُ سفكِ الدِّماء المحرمة (١).

٣- تفسيره للسوء في قوله تعالى : { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً } [النساء: ١٧] حيث قال : " وعمل السوء إذا انفرد يدخل فيه جميع السيئات صغيرها وكبيرها " (٢).

٤- بيانه للأمانة الواردة في قوله تعالى : { إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً} (الأحزاب/٧٢) ، حيث قال : المحرمات أمانة من الله عند عبده، والسمع أمانة، والبصر واللسان أمانة، والفرج أمانة وهو أعظمها، وكذلك الواجبات كلها أمانات: كالطهارة، والصيام، والصلاة، وأداء الحقوق إلى أهلها (٣) .

٥- تفصيله لعموم التقوى في قوله تعالى : { الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (البقرة : ١- ٥) ، حيث قال : " ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات، وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات وهي أعلى درجات التقوى..." (٤) .

المطلب الثامن : إشارته أحياناً إلى بعض الكليات القرآنية من خلال ذكره للآيات القرآنية الدالة عليها :

" الكُليَّات القرآنية ، هي: الألفاظ والأساليب التي اطَّردت معانيها في جميع القرآن الكريم، أو في طائفةٍ منه ، نحو قول ابن عباس رضي الله عنه : كل " رجز" في القرآن فهو: عذاب ، وقول أبي العالية : كل " أليم" في القرآن فهو: موجع ، وكثيراً ما يُستَثنى منها مواضع" (٥) ، أو هي " القواعد والأحكام العامة التي تنطبق على مجالات وأبواب متعددة وعلى جزئيات غير منحصرة ، وردت ضمن هذه الكليات بعض الأحكام الأساسية في التشريع الإسلامي، لكونها ممتزجة مع بعض الكليات العامة، وأيضا لأن بعض العلماء

---

(١) جامع العلوم والحكم ص : ٢٣٩ .

(٢) لطائف المعارف ص : ٥٦٩ .

(٣) شرح حديث مثل الإسلام انظر مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١ / ٢٠٢ .

(٤) جامع العلوم والحكم ص : ٣٨٩ .

(٥) أرشيف ملتقى أهل التفسير : ١ / ٦٣٨ .

يسمونها أحكاماً كلية نظراً لأهميتها و سبقها في نزول التشريعات الإسلامية مثال ذلك : الوصايا العشر في سورة الأنعام وأواخر سورة الفرقان" (١) .

وقد اهتم ابن رجب الحنبلي ببيان هذا الأمر اهتماماً بالغاً ، وبذل فيه جهداً كبيراً، ونراه كثيراً ما يذكر القاعدة، ثم يعدد بعض الآيات التي تدل عليها ويشير إلى الأخرى ، وأحياناً يستدل على تلك القاعدة بما ورد في السنة النبوية والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي :

١- ما ذكره في ورود وعيد الظالمين في القرآن الكريم حيث قال : " وأكثر ما يرد في القرآن وعيد الظالمين يراد به الكفار كقوله تعالى : { وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُون} (إبراهيم : ٤٢) ، وقوله تعالى: { وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيل } (الشورى:٤٤) ومثل هذا كثير "(٢)

٢- ما ذكره في ورود لفظ الكتاب في القرآن الكريم حيث قال : " أما " الكتاب " فالمراد به الفرض ولم يذكر في القرآن لفظ الكتاب وما تصرف منه إلا فيما هو لازم إما شرعاً مثل قوله : { كُتِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ } (البقرة/١٨٣) ، و{ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ }(البقرة/٢١٦). ، وقوله : { كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ } (النساء/٢٤) ، وإمَّا قدرًا ، نحو قوله : {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي }(المجادلة/٢١) ، وقوله : { وَلَوْلاَ أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ الْجَلاَءَ } (الحشر/٣). " ... (٣) .

٣- وما ذكره في مجيء لفظ الهوى في القرآن الكريم حيث قال : " والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق : أنَّه الميلُ إلى خلاف الحقِّ ، كما في قوله – عز وجل : { وَلاَ تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ }(ص/٢٦). ، وقال : { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} (النازعات/٤٠) ، وقد يُطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقاً ، فيدخل فيه الميل إلى الحقِّ وغيره ، وربما استُعمِل بمعنى محبة الحقِّ خاصة والانقياد إليه..."(٤) .

المطلب التاسع : قيامه بدفع ما يوهم ظاهره التعارض في بعض الآيات القرآنية :

هناك بعض الآيات القرآنية ظاهرها يوهم التناقض والتعارض، لكنها في الحقيقة ليس بينها تعارض أو تناقض و تحتاج إلى إزالة هذا اللبس، وقد بذل ابن رجب الحنبلي جهداً لا بأس به في ذلك حيث كان يورد بعض الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض ثم يقوم بإزالة هذا الوهم مثال ذلك :

---

(١) الكليات حسب ترتيب سورها في النزول لأحمد الريسوني ص : ١ متاح على هذا الرابط :
faculty.mu.edu.sa/download.php?fid=134797

(٢) فتح الباري : ١ / ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٣) فتح الباري : ١ / ١٦١ ، وجامع العلوم والحكم ص : ٢٨٠ .

(٤) فتح الباري : ١ / ٧٢٨ ، ومن أراد المزيد من الأمثلة فليرجع إلى : جامع العلوم والحكم ص : ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٧٨، ٣٧٩ ، فتح الباري : ١ / ٢٩، ٣٠ ، ١٤٦ ، ٢٨١ ، وانظر شرح حديث جبريل ص : ٣١ .

ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى : { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } (الرحمن:١٧) حيث قال : " إن الشتاء لهُ مشرق ومغرب ، والصيف كذلك ، ولهذا ثناهما الله تعالى في قوله : { رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ } (الرحمن:١٧) ، وجمعهما في قوله : { بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ } (المعارج:٤٠) باعتبار مشارق الشتاء والصيف والخريف والربيع ؛ فإن لكل يوم من السنة مطلعاً مشرقاً خاصاً ومغربا خاصاً ، وأفردهما في قوله " رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ " (الشعراء :٢٨) باعتبار الجنس " (١).

المبحث الثالث : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير غريب القرآن الكريم

المطلب الأول : تعريف غريب القرن الكريم :

المراد بغريب القرآن هنا هو اللفظ الغامض الذي يحتاج إلى مزيد جهد وفكر لمعرفة المراد به في سياق النص القرآني إذ أن " الغريب من الكلام: إنما هو الغامض، ، كما أن الغريب من الناس، إنما هو البعيد عن الوطن، المنقطع عن الأهل.

والغريب من الكلام، يقال به على وجهين:

أحدهما: أن يراد به أنه بعيد المعنى، غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد، ومعاناة فكر.

والوجه الآخر: أن يراد به كلام من بعدت به الدار، من شواذ قبائل العرب.

فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها وإنما هي كلام القوم وبيانهم " (٢) .

والمراد بالغريب هنا النوع الأول .

المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير غريب القرآن الكريم :

إن المطلع على مؤلفات ابن رجب الحنبلي يجد أنه لم يفته هذا النوع من التفسير بل اهتم به وركز عليه وبذل فيه جهداً عظيماً ، يتمثل جهده في تفسير الألفاظ القرآنية الغريبة التي تحتاج إلى مزيد من التوضيح والبيان فيما يلي :

أولاً : إيراده أحياناً لأصل معنى اللفظ الغريب في اللغة ثم بيان المراد به في سياق الآية الكريمة

كثيراً ما نجد ابن رجب الحنبلي يورد أصل معنى اللفظ القرآني الغريب في لغة العرب ثم يبين المراد به في الآية الكريمة ، إذ أن هذا مهم في تفسير اللفظ الغريب حيث إنه يعين على تفسيره ، ويساعد على معرفة ما إذا كان اللفظ مستعمل في معناه الحقيقي أو في معنى آخر مجازي والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١- عند تفسيره للسرادق في قوله تعالى : { إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا } (الكهف : ٢٩) نجده ينقل عن " الزجاج أن المراد

---

(١) فتح الباري : ٣ / ٦٥ .

(٢) غريب الحديث للخطابي :١ / ٧٠ ، ٧١ .

بالسرادق في لغة العرب كل ما أحاط بشيء نحو الشقة في المضرب والحائط المشتمل على الشيء ، ثم نقل عن ابن قتيبة أنه قال : السرادقات الحرة التي تكون حول الفسطاط قيل هو الدهليز معرب وأصله بالفارسية سرادار ، ثم أورد عن ابن عباس – رضي الله عنهما أن المراد به : سرادق من نار " (١) .

٢- وعند تفسيره للهَون في قوله تعالى : { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا } (الفرقان : ٦٣) أورد عن الحسن أنه قال : الهون في كلام العرب : اللين والسكينة والوقار " (٢) .

ثانياً : حكايته لأقوال الصحابة والتابعين في تفسير الألفاظ الغريبة :

فقد كان ابن رجب الحنبلي يعتمد كثيراً على أقوال الصحابة والتابعين في تفسير غريب القرآن الكريم ، والقارئ لكتبه يجده أحياناً كان يكتفي بذكر قول واحد وارد عن بعضهم في المراد باللفظ الغريب، وأحياناً يعدد أقولاً كثيرة واردة عنهم في تفسير اللفظ الغريب ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها ما يلي :

١- عند تفسيره للفظ " أَمْشَاجٍ " في قول الله عز وجل : {إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} (الإنسان/٢) نجده يقول : " وفسر طائفة من السلف أمشاج النطفة بالعروق التي فيها، قال ابن مسعود: أمشاجها: عروقها " (٣) .

٢- وعند تفسيره للأصفاد في قوله عز وجل : { وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ } (إبراهيم/٤٩). نجده ينقل عن " أسباط عن السدي، أن الأصفاد جمع اليدين إلى العنق ، وعن معمر، عن قتادة في قوله: { مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ } (إبراهيم/٤٩). ، قال: مقرنين في القيود والأغلال (٤) ، فنلاحظ في هذين المثالين أنه اكتفى بذكر قول واحد في تفسير اللفظ الغريب .

٣- وعند تعرضه لتفسير لفظ " زَمْهَرِيرًا " في قوله تعالى : { مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلاَ زَمْهَرِيرًا } (الإنسان/١٣) نجده يعدد أقوال السلف في تفسيره لكن دون أن يرجح بينها لكونها متقاربة فيقول : " عن ليث عن مجاهد، قال: الزمهرير، الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده ، وعن قابوس بن أبي ظبيان، عن ابن عباس، قال: يستغيث أهل النار من الحر، فيغاثون بريح باردة، يصدع العظام بردها، فيسألون الحر ، وعن عبد الملك بن عمير، قال بلغني أن أهل النار يسألون خازنها أن يخرجهم إلى جانبها، فيخرجهم، فيقتلهم البرد والزمهرير، حتى يرجعوا إليها فيدخلوها، مما وجدوا من البرد ، وروى أبو نعيم بإسناده

---

(١) التخويف من النار ص : ٨٦ ، ٨٧ .

(٢) الذل والانكسار للعزير الجبار . ص : ٦٠ .

(٣) جامع العلوم والحكم : ١ / ١٥٨ .

(٤) التخويف من النار ص : ١٢٥ .

عن ابن عباس أن كعباً قال في جهنم برداً هو الزمهرير يسقط اللحم حتى يستغيثوا بحر جهنم ، وروي عن ابن مسعود قال: الزمهرير لون من العذاب ، وعن عكرمة قال: هو البرد الشديد (١) .

٤- وعند تفسيره للفظ " غِسْلِينٍ " في قوله تعالى : { فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ } (الحاقة : ٣٥- ٣٧) نجده يعدد أقوال السلف في المراد به فيقول : عن " علي بن أبي طلحة عن ابن عباس من غسلين قال : هو صديد أهل النار، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس : الغسلين الدم والماء يسيل من لحومهم وهو طعامهم، وعن مقاتل قال : إذا سال القيح والدم بادروا إلى أكله قبل أن تأكله النار، وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس : الغسلين شجرة في جهنم، وعن الضحاك مثله وروي خصيف عن مجاهد عن ابن عباس قال: ما أدري ما الغسلين ولكني أظنه الزقوم، وقال أبو هلال عن قتادة : هو طعام من طعام جهنم من شر طعامهم، وقال يحيى بن سلام : هو غسالة أجوافهم وقال ابن قتيبة هو فعلين من غسلت كأنه الغسالة (٢) .

ونلاحظ في هذين المثالين أنه عدد أقوال الصحابة والتابعين في تفسير اللفظ الغريب ولم يكتف بنقل قول واحد .

ثالثاً : حكمه أحياناً على بعض أسانيد الأقوال الواردة عن السلف في تفسير اللفظ الغريب :

فنجده أحياناً لا يكتفي بمجرد حكاية أقوال الصحابة والتابعين في تفسير اللفظ الغريب، بل يحكم على بعض أسانيدها بالصحة أو الضعف ، اقرأ مثلاً ما أورده في تفسير لفظ " صَعُودًا " في قوله تعالى : ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ (المدثر : ١٧) حيث قال : " وروى سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله سأرهقه صعودا قال جبل في النار ورويناه من طريق فيه ضعف عن الضحاك عن ابن عباس قال : هو جبل من النار زلق كلما صعده الفاجر زلق فهوى في النار وعن ابن السائب قال : هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف أن يصعدها حتى إذا بلغ أعلاها رد إلى أسفلها ثم يكلف أيضا أن يصعدها فذلك دأبه أبداً ويجذب من أمامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقامع الحديد فيصعدها في أربعين سنة " (٣) .

رابعاً : استدلاله أحياناً على تفسير اللفظ الغريب في الآية بما ورد في آية أخرى أو بما جاء في السنة :
اقرأ مثلاً تفسيره للأفواج في قوله تعالى: ﴿ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ (النصر : ٢) .
حيث قال: " والأفواج : الجماعة إثر الجماعة كما قال الله تعالى ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ ﴾ (الملك: ٨) وفي

---

(١) التخويف من النار ص : ٩٦ .

(٢) التخويف من النار ص : ١٤٧ ، ١٤٨ ، وص : ١٥٠، ١٥١ ، حيث عدد أقوال السلف في المراد بالهيم ، و ص : ١٤٦ حيث عدد الأقوال في المراد بالغصة والضريع و ص : ١٦٢ حيث نقل أقوال المفسرين في المراد بالقطران ، وص : ١٧٠ ، ١٧١ حيث عدَّد أقوال العلماء في المراد بالعتل والزنيم، وراجع فتح الباري : ١ / ٣٤٣ أورد معنى الخنس .

(٣) التخويف من النار ص : ١١٤، ١١٥ .

المسند من طريق الأوزاعي حدثني أبو عمار حدثني جار لجابر بن عبد الله قال: قدمت من سفر فجاءني جابر بن عبد الله يسلم على فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا، فجعل جابر يبكي، ثم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا، وسيخرجون منه أفواجًا» (١)... (٢) .

خامساً : اهتمامه بقول الجمهور في تفسير اللفظ الغريب وتوجيهه له :

اقرأ على سبيل المثال ما ذكره عند تفسيره للفظ : " تَعُولُوا " الوارد في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (سورة النساء آية : ٣)، حيث قال : " ومما يستدلُّ به على فضلِ قلةِ العيالِ قولُهُ تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ ، على تفسير من فسَّرَهُ بكثرة العيال ، ولكنَّ الجمهورَ على تفسير بالجورِ والحيفِ ، فإنَّ ملكَ اليمينِ قد تكثرُ به الأولادُ أكثرُ من الزوجاتِ الأربع ، فإنه لا ينحصرُ في عددٍ " (٣)..

المبحث الرابع : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير الموضوعي

المطلب الأول : تعريف التفسير الموضوعي :

التفسير الموضوعي هو : " بيان مراد الله– تعالى– بقدر الطاقة البشرية– في موضوع معين من موضوعات القرآن الكريم، عن طريق جمع الآيات الخاصة به، ودراستها وفق منهج خاص، يبرز لنا هدف هذا الموضوع وأبعاده، ويبين غنى الإسلام تماماً عن كل منهج سواه، ويوضح أن السعادة كل السعادة في اتباع المنهج الإلهي ، والشقاء كل الشقاء في الإعراض عنه " (٤) .

وقيل هو : " إفراد الآيات القرآنية التي تعالج موضوعاً واحداً وهدفاً واحداً، بالدراسة والتفصيل، بعد ضم بعضها إلى بعض، مهما تنوعت ألفاظها، وتعددت مواطنها – دراسة متكاملة مع مراعاة المتقدم والمتأخر منها، والاستعانة بأسباب النزول، والسنة النبوية، وأقوال السلف الصالح المتعلقة بالموضوع " (٥) .

و التفسير الموضوعي نوع من أنواع التفسير لم يعرف بهذا الاسم إلا في العصر الحديث وإن كانت له بذور عند المفسرين القدامى فنجد كثيراً من المفسرين القدامى ألفوا كتباً مستقلة جمعوا فيها الآيات ذات الموضوع الواحد والهدف المشترك وفسروها وربطوا بينها واستعانوا في تفسيرها بأقوال الصحابة والتابعين: مثل ابن القيم الذي ألف كتاباً في هذا سماه " التبيان في أقسام القرآن " وكتاباً آخر سماه " الأمثال في القرآن

---

(١) رواه الإمام احمد في المسند : ٢٣ / ٤٧ ، حديث رقم : ١٤٦٩٦ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف .

(٢) تفسير سورة النصر ص : ٢٦ .

(٣) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب : ١/ ٧٤٥ رسالة شرح حديث إن أغبط أوليائي .

(٤) الموسوعة القرآنية المتخصصة تأليف : مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، ص : ٢٨٩ .

(٥) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه لأحمد بن عبد الله الزهراني ، ص : ١٢.

" ، وابن ناصح الحنبلي الذي ألف كتاباً سماه " استخراج الجدال من القرآن " ، وأبي عبيدة ألف كتاباً في " مجاز القرآن " ، وأن كثيراً منهم من تطرق لهذا النوع من التفسير في ثنايا مؤلفاته سواءً أكانت في التفسير أو في غيره مثل " أبو حامد الغزالي" في كتابه إحياء علوم الدين ، وابن القيم في بعض مؤلفاته .

المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير الموضوعي :

من العلماء الربانيين الذين تطرقوا في كتبهم لهذا النوع من التفسير ابن رجب الحنبلي، حيث كان له باع طويل في هذا النوع ، وبذل جهداً كبيراً في ذلك في كثير من كتبه ورسائله خاصة في رسالته " فضل علم السلف على الخلف " و " والذل والانكسار للعزيز الجبار " و" التخويف من النار " و " وذم قسوة القلب " وغيرها، حيث نراه يجمع الآيات ذات الموضوع الواحد والهدف المشترك ويفسرها ويربط بينها ويستنبط الفوائد والعبر منها ، ثم يورد كثيراً من الأحاديث النبوية التي تتعلق بهذا الموضوع وكثيراً من أقوال الصحابة والتابعين في تفسير هذه الآيات وبعض ما ورد عن الصالحين من حكم ومواعظ .

من هذه الموضوعات التي تحدث عنها القرآن الكريم، وجمع ابن رجب معظم الآيات الخاصة بها وتناولها بالشرح والتفصيل والربط بينها في ثنايا كتبه ورسائله ما يلي :

أولاً : **الإسلام** :

حيث أورد كثير من الآيات التي تحدثت عن الإسلام وعلق على بعضها فقال : قال تعالى : " .. ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ } (آل عمران/٨٥). ، وقالَ تعالَى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (آل عمران/١٩) ، والإسلامُ العامُّ : هو دينُ اللَّهِ الَّذي كانَ عليهَ جميعُ الرسلِ ، كما قالَ نوحٌ : ﴿ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (يونس/٧٢) ، وقالَ تعالَى : ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج/٧٨) ، وقالَ تعالَى :﴿ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة/١٣٢) ، وقالَ عن يوسف إنَّه قالَ :﴿ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (سورة يوسف : ١٠١) ، وقالَ تعالَى عن ملكةِ سبأ :﴿ وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل : ٤٤) ، وقالَ عنِ الحواريينَ : إنهم قالُوا : ﴿ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ (المائدة/١١١) ، ثم قال : وحقيقة الإسلام : الاستسلام لله تعالى والانقياد لطاعته، وأما الإسلام الخاص، فهو دين محمد – صلى الله عليه وسلم – ومنذ بعث الله محمداً – صلى الله عليه وسلم – لم يقبل من أحد ديناً غير دينه، وهو الإسلام الخاص و بقية الأديان كفراً ؛ لما تضمن اتباعها من الكفر بدين محمد والمعصية لله في الأمر باتباعه؛ فإنه ليس هناك إلا أحد أمرين :

إما الاستسلام لله والانقياد لطاعته وأوامره، وهو دين الإسلام الذي أمر الله تعالى به ، وإما المعصية لله والمخالفة لأوامره، وذلك يستلزم طاعة الشيطان؛ لأن الشيطان يأمر بسلوك الطرق التي عن يمين الصراط وشماله، ويصد عن سلوك الصراط المستقيم ، ثم بين أن الإسلام هو الصراط المستقيم الذي قصده الله في

كثير من آيات الذكر الحكيم ، وبعد أن أورد هذه الآيات الواردة في الإسلام استـأنس في حديثه عن الإسلام بكثير من أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأقوال الصحابة والتابعين (١) .

ثانياً : العلم :

حيث أورد في رسالته المسماة " فضل علم السلف على الخلف " كثيراً من الآيات التي تحدثت عن العلم وفضله ونوعيه النافع وهو المحمود وغير النافع وهو المذموم ثم شرع في تفسيرها ثم ساق بعد ذلك أحاديث كثيرة عن العلم وأنواعه وفضله ، وقد استهل حديثه عن هذا بقوله : " أما بعد فهذه كلمات مختصرة في معنى العلم وانقسامه إلى علم نافع ، وعلم غير نافع ، والتنبيه على فضل علم السلف على علم الخلف فنقول وبالله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قد ذكر الله تعالى في كتابه العلم تارة في مقام المدح وهو العلم النافع ، وتارة في مقام الذم وهو العلم الذي لا ينفع فأما الأول فمثل قوله تعالى ﴿ قُل هَل يَستَوِي الَّذينَ يَعلَمونَ وَالَّذينَ لا يَعلَمون ﴾ }(الزمر/٩) ، وقوله : ﴿ شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلّا هُوَ وَالمَلائِكَة وَأُولوا العِلمَ قائِماً بِالقِسطِ ﴾ (آل عمران/١٨) ، ثم ساق آيات أخرى كثيرة تدل على هذا النوع ثم قال : " وقد أخبر عن قوم أنهم أوتوا علماً ولم ينفعهم علمهم ، فهذا علم نافع في نفسه لكن صاحبه لم ينتفع به ، قال تعالى ﴿ مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلوا التَوراةَ ثُمَّ لَم يَحمِلوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أَسفاراً ﴾ (الجمعة/٥) ، وقال : ﴿ وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الَّذي آتَيناهُ آياتِنا فَانسَلَخَ مِنها فَأَتبَعَهُ الشَيطانُ فَكانَ مِنَ الغاوينَ وَلَو شِئنا لَرَفَعناهُ بِها وَلَكِنَّهُ أَخلَدَ إِلى الأَرضِ وَاتَّبَعَ هَواهُ ﴾ (الأعراف/١٧٥) ، ثم أورد آيات كثيرة تحدثت ذلك ثم قال : " وأما العلم الذي ذكره الله – تعالى – على جهة الذم له ، فقوله في السحر : ﴿ وَيَتَعَلَّمونَ ما يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَلَقَد عَلِموا لَمَنِ اشتَراهُ مالَهُ في الآخِرَةِ مِن خَلاقٍ ﴾ (البقرة/١٠٢) ، وقوله ﴿ فَلَمّا جاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ فَرِحوا بِما عِندَهُم مِنَ العِلمِ وَحاقَ بِهِم ما كانوا بِهِ يَستَهزِئون ﴾ (غافر/٨٣) ، وقوله تعالى : ﴿ يَعلَمونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُنيا وَهُم عَنِ الآخِرَةِ هُم غافِلون﴾ (الروم/٨)... " (٢) .

ثالثاً : ذم الدنيا وفنائها ومدح الآخرة وبقائها :

وقد تحدث عن هذا في كتابه لطائف المعارف حيث قال : (وفي القرآن تعريض بذم الدنيا وفنائها مع مدح الآخرة وذكر كمالها وبقائها كما قال تعالى: { زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ } (آل عمران: ١٤، ١٥) ، وقال الله تعالى: { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا} (يونس: ٢٤) الآية ثم قال: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

---

(١) راجع مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي :١ / ١٩٣– ٢٠٠ رسالة شرح حديث مثل الإسلام .

(٢) رسالة فضل علم السلف على علم الخلف .: ١– ١٠ .

الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (يونس: ٢٥، ٢٦) الآية.

وقال الله تعالى: { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً} (الكهف: ٤٥، ٤٦) ، وقال الله تعالى: { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (العنكبوت:٦٤) ، وقال الله تعالى: { اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ } (الحديد: ٢٠) إلى قوله : {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} (الحديد: ٢١) ، وقال الله تعالى: { بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (الأعلى: ١٦، ١٧) ، وقال الله تعالى: { أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} (التوبة: ٣٨) ، وقال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه: { يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} (غافر:٣٩) (١) .

رابعاً : الخشوع :

وقد تحدث عن هذا في رسالته " الذل والانكسار للعزيز الجبار " حيث ذكر كثيراً من الآيات التي تحدثت عن الخشوع وفسر بعضها، وعدد أقوال المفسرين فيها مبيناً معنى الخشوع وسبب حصوله ، وكثيراً من الآيات التي تحدثت عن أنواع العبادات التي يظهر فيها الذل والخشوع والانكسار لله – عز وجل – وعدَّد الآيات التي تحدثت عن أنواع الخشوع : خشوع القلب ، وخشوع الجوارح ، وخشوع الأرض ، وخشوع الأصوات ، و أفاض في الحديث عن الخشوع في الصلاة في ضوء القرآن الكريم ، ثم استأنس في حديثه عن الخشوع وصوره بما جاء في السنة الغراء وبما ورد عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وأوعب في ذلك (٢) .

خامساً : الظلم :

حيث أورد في بعض مؤلفاته الآيات التي تحدثت عن الظلم وحذرت منه وبينت عواقبه ، وفسر بعضها فقال : " قال تعالى : { وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ} (ق/٢٩) ، وقال : { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ} (غافر /٣١). ، وقال : { وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعالَمِينَ}(آل عمران/١٠٨). وقال : { وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ} (فصلت/٤٦). وقال : {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}(يونس/٤٤). وقال : {إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ }(النساء/٤٠). وقال : { وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْمًا وَلاَ هَضْمًا} (طه/١١٢). والهضمُ : أنْ يُنقَصَ من جزاء حسناته ، والظُّلم : أنْ يُعاقب بذنوب غيره ، ومثل هذا كثير في القرآن ، وهو

---

(١) لطائف المعارف ، ص : ٢٨ .

(٢) انظر كتاب الذل والإنكسار ص : ٦٠ – ٨٨ .

مما يدلُّ على أنَّ الله قادرٌ على الظلم ، ولكنَّه لا يفعلُه فضلاً منه وجوداً ، وكرماً وإحساناً إلى عباده ، وقد فسَّر كثيرٌ من العلماء الظلمَ : بأنَّه وضعُ الأشياء في غير موضعها ..... ثم فصل القول في الحديث عن الظلم ([1]) .

سادساً : التخويف من النار :

وقد ألف رسالة في ذلك سماها : " التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار أفرد فيها أبواباً تحدث فيها عن ذكر الإنذار بالنار ، والتحذير منها ، وعن الخوف من النار وأحوال الخائفين ، وعن تخويف جميع أصناف الخلق بالنار وخوفهم منها ، وعن طبقات النار ودركاتها وصفاتها وعن أبوابها وسرادقها وشدة حرها وزمهريها، وطعام أهل النار وشرابهم ولباسهم، وأودية النار وأنهارها وسلاسلها وأغلالها وأنكالها وغير ذلك، وأورد الآيات الدالة على ذلك وفصل القول في تفسيرها واستعان بأقوال الصحابة والتابعين في بيانها([2])

سابعاً : أسباب المغفرة :

وقد ألف ابن رجب رسالة في ذلك سماها " أسباب المغفرة " ذكر فيها ثلاثة أسباب للمغفرة وذكر تحت كل سبب الآيات الدالة عليه وتناولها بالشرح والتفصيل : هذه الأسباب هي :

السبب الأول : الدعاء مع الرجاء :

قال تعالى: { وَادعُوهُ خَوفَاً وَطَمَعَاً إِنَّ رَحمَتَ الله قَرِيبٌ مِّنَ ٱلمُحسِنِينَ} (الأعراف: ٥٦) فما دام العبد يلح في الدعاء، ويطمع في الإجابة غير قاطع الرجاء فهو قريب من الإجابة، ومن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

السبب الثاني : الاستغفار لو عظمت الذنوب :

والاستغفار: طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سرها وقد كثر في القرآن ذكر الاستغفار ، فتارة يؤمر به ، كقوله تعالى: { وَاستَغفِرُوا الله إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمُ } . (المزمل: ٢٠) وقوله: { وَأَنِ استَغفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيهِ } (هود: ٣) وتارة يمدح أهله كقوله تعالى: { وَٱلمُستَغفِرِينَ بِالأَسحَارِ } (سورة آل عمران: آية ١٧) وقوله تعالى: { وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَو ظَلَمُوا أَنفُسَهُم ذَكَرُوا اللهَ فَاستَغفَرُوا لِذُنُوبِهِم وَمَن يَغفِرُ الذُّنُوب إِلاَّ اللهُ } (آل عمران: ١٣٥) وتارة يذكر أن الله يغفر لمن استغفره كقوله تعالى: { وَمَن يَعمَل سُوءًا أَو يَظلِم نَفسَهُ ثُمَّ يَستغفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَّحِيماً } (النساء: آية : ١١٠) .

السبب الثالث التوحيد :

---

(١) راجع : جامع العلوم والحكم ص : ٤٢٢ ، ٤٢٣ وانظر فتح الباري : ١ / ١٤٤.

([2]) راجع التخويف من النار ص: ١٣– ٢٣، ٤٨ – ٥٣، ٦٩ – ٩٦ ، ١٢٤ – ١٣٠ .

وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة ، قال تعالى: { إِنَّ اللهَ لاَ يَغفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيغفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ } (النساء: ٤٨) فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض، وهو ملؤها أو ما يقارب ملأها خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد فى النار بل يخرج منها ثم يدخل الجنة (١) .

وهذا غيض من فيض ذكره في آثاره العلمية ، وهذا وإن دل على شيء فإنما يدل على مدى علم هذا العالم الجليل وعلى مدى جهده في هذا النوع من التفسير، وأن جذور هذا النوع ترجع إلى العصور السابقة .

المبحث الخامس : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام

المطلب الأول : تعريف آيات الأحكام :

المراد بآيات الأحكام الآيات التي تتعلق بأفعال المكلفين واستنباط الأحكام الشرعية منها ، إذ أن الأحكام جمع حكم وهو في الاصطلاح : (خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع، فيتناول اقتضاء الوجود، واقتضاء العدم، إما مع الجزم، أو مع جواز الترك، فيدخل في هذا الواجب والمحظور، والمندوب، والمكروه، وأما التخيير فهو الإباحة ، وأما الوضع: فهو السبب، والشرط، والمانع) (٢)

المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام :

لقد اهتم ابن رجب الحنبلي بتفسير آيات الأحكام واستنباط الأحكام الشرعية منها اهتماماً بالغاً، وذلك لأنها تمثل الجانب التشريعي في القرآن الكريم ، ولما لها من قيمة عظيمة في حياة المسلم ، ولأنه كان عالماً بارعاً في الفقه وأصوله وقواعده وله مصنفات كثيرة في ذلك – كما سبق بيانه – وقد بذل في هذا جهداً عظيماً يذكر فيشكر وعليه يؤجر ، يظهر هذا الجهد فيما يلي :

أولاً : تفسيره لكثير من آيات الأحكام في العديد من مؤلفاته وإسهابه في ذلك .

ثانياً : نقله عن الصحابة والتابعين ما يتعلق بتفسير الآيات والأحكام ذات الصلة بها .

ثالثاً : استنباطه للأحكام الشرعية من الآيات القرآنية وحكايته لأقوال الفقهاء فيها وأدلة كل قول ، والتوفيق أو الترجيح بينها ، ونجده في ذلك إما أن يذكر الحكم الشرعي ويستدل عليه ببعض الآيات القرآنية التي دلت عليه ويشرع في تفسيرها ، أو يذكر الآية أولاً ويفسرها ثم يبين الحكم الشرعي المستنبط منها ، وتقديره لقول الجمهور والإجماع في التفسير والأحكام الفقهية ، وترجيحه لذلك .

---

(١) أسباب المغفرة ، ص : ١ – ١٠ .

(٢) انظر إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) : ١ / ٢٥ ، تحقيق : أحمد عناية ، الناشر: دار الكتاب العربي ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .

رابعاً : تأييده للحكم المستنبط من الآية الكريمة بآيات أخر من القرآن الكريم .

خامساً : تأييده للحكم المستنبط من الآية الكريمة بما ورد فيه من أحاديث نبوية ، وتخريجه للحديث والحكم عليه في معظم الأحيان .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

١- عند تفسيره قوله تعالى: { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (لقمان/٦) نجده ذكر الحكم الشرعي الذي دلت عليه الآية الكريمة ، ثم شرع في تفسير الآية ونقل ما ورد عن السلف في ذلك وذكر آيات أخرى دلت على هذا الحكم، وأكده بما ورد في السنة النبوية فساق عدة أحاديث في ذلك وصحح ما هو صحيح منها، وضعف ما هو ضعيف وأسهب في الحديث عن هذا الحكم فقال : " فأمَّا تحريمُ الغناءِ: فقد استُنبطَ من القرآنِ من آياتٍ متعدّدة ، فمن ذلكَ : قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} (لقمان/٦) ، قالَ ابن مسعود – رضي الله عنه : هوَ – واللَّهِ – الغناء ، وقال ابنُ عباسٍ: هو الغناءُ وأشباهُه، وفسَّره أيضًا بالغناءِ خَلقٌ من التابعينَ منهُم: مجاهد وعكرمةُ والحسنُ وسعيدُ بنُ جبير وقتادةُ والنَّخعيُ وغيرُهم، وقال مجاهد في قولِهِ تعالى: { وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ }(الإسراء/٦٤): قالَ: الغناءُ والمزاميرُ ، وقالَ ابنُ عباس – رضي الله عنهما – في قولِهِ تعالى: { وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ } (النجم/٦١)، قال: هو الغناءُ – بالحِمْيَرِيةِ ، وقال بعضُ التابعينَ في قولِهِ تعالى: { وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } (الفرقان/٧٢). قالَ: إن اللغوَ هنا: الغناءُ ، وعن أبي أمامَة عن النبيّ – صلى الله عليه وسلم – قالَ: "لا تبيعُوا القَيْناتِ، ولا تشتروهُنَّ، ولا تُعلموهُنَّ، ولا خير في تجارة فيهنَّ، وثمنهُن حَرامٌ ، في مثلِ هذا أنزلت هذه الآيةُ : { وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ } (لقمان/٦) الآية خرَّجَه الإمامُ أحمدُ([١]) والترمذيُّ([٢]) من روايةِ عبيْدِ اللَّهِ بن زحر عن عليّ بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامةَ، وقال: قد تكلمَ بعضُ أهلِ العلمِ في عليّ بنِ يزيدَ وضعَّفهُ، وهوَ شاميّ.....ثم قال ابن رجب : وخرج الاسماعيلي وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه و سلم – قال ثمن المغنية حرام وغناؤها حرام([٣]) وإسناده كلهم ثقات متفق عليهم سوى يزيد بن عبد الملك النوفلي فإنه مختلف في أمره ..." (٤) .

([١]) المسند : ٣٦ / ٦١٢ ، حديث رقم : ٢٢٢٨١ ، وقال المحقق : (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف جداً .

([٢]) سسن الترمذي ، أبواب البيوع عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – باب ما جاء في كراهية بيع المغنيات : ٢ / ٥٧٠ ، حديث رقم : ١٢٨٢ ، وقال : حديث أبي أمامة غريب إنما نعرفه مثل هذا من هذا الوجه، وقد تكلم بعض أهل العلم في علي بن يزيد وضعفه وهو شامي.

(٣) الحديث أخرجه الطبراني في المعجم الكبير : ١ / ٧٣ ، حديث رقم : ٨٧ ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد : ٤ / ٩١ ، حديث رقم : ٦٤١٧ ، وقال : رواه الطبراني، وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي، وهو متروك ضعفه جمهور الأئمة، ونقل عن ابن معين في رواية: لا بأس به. وضعفه في أخرى .

(٤) نزهة الأسماع ٢٩ – ٣٩ .

٢- وعند تفسيره لقوله تعالى : {فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا} (البقرة/٢٣٩) نجده يفسر الآية الكريمة وينقل أقوال السلف في تفسيرها ويذكر الحكم على بعضها ، يحكي إجماع العلماء على الحكم الفقهي المستنبط منها ويذكر تفريعات أخرى للحكم وأقوال الفقهاء فيها فيقول : " ويعني: "رِجَالاً " : قياماً على أرجلهم، فهو جمع راجل، لا جمع رجل، و " الركبان" على الدواب ، وقال ابن المنذر: أجمع أهل العلم على أن المطلوب يصلي على دابته – كذلك قال عطاء بن أبي رباح، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد، وأبو ثور – وإذا كان طالباً نزل فصلى بالأرض ، قال الشافعي: إلا في حالة واحدة، وذلك أن يقل الطالبون عن المطلوبين، ويقطع الطالبون عن أصحابهم، فيخافون عودة المطلوبين عليهم، فإذا كانوا هكذا كان لهم أن يصلوا يومئون إيماء انتهى.

وممن قال: يصلي إلى دابته ويومئ: الحسن والنخعي والضحاك، وزاد: أنه يصلي على دابته طالباً كان أو مطلوباً ، وكذا قال الأوزاعي.

واخلفت الرواية عن أحمد: هل يصلي الطالب على دابته، أم لا يصلي إلا على الأرض؟ على روايتين عنه، إلا أن يخاف الطالب المطلوب، كما قال الشافعي، وهو قول أكثر العلماء .

قال أبو بكر عبد العزيز بن جعفر: أما المطلوب، فلا يختلف القول فيه، أنه يصلي على ظهر الدابة، واختلف قوله في الطالب فقالوا عنه : ينزل فيصلي على الأرض، وإن خاف على نفسه صلى وأعاد، وإن أخر فلا بأس، والقول الآخر: أنه إذا خاف أن ينقطع عن أصحابه أن يعود العدو عليه، فإنه يصلي على ظهر دابته، فإنه مثل المطلوب لخوفه، وبه أقول. انتهى.

وما حكاه عن أحمد من أن الطالب إذا خاف فإنه يصلي ويعيد، فلم يذكر به نصاً عنه، بل قد نص على أنه مثل المطلوب ، قال – في رواية أبي الحارث – إذا كان طالباً وهو لا يخالف العدو، فما علمت أحداً رخص له في الصلاة على ظهر الدابة، فإن خاف إن نزل أن ينقطع من الناس، ولا يأمن العدو فليصل على ظهر دابته ويلحق بالناس، فإنه في هذه الحال مثل المطلوب ، ونقل هذا المعنى عنه جماعة، منهم : أبو طالب والأثرم ، وله أن يصلي مستقبل القبلة وغير مستقبلها على حسب القدرة " (١) .

٣- وعند تفسيره لقوله تعالى : { وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} (البقرة/٢٢٢) ، نجده يفسر الآية الكريمة، وينقل أقوال السلف في تفسيرها ويشير إلى الضعيف منها ، ويسهب في بيان الحكم الشرعي الذي دلت عليه ، ويعدد أقوال الفقهاء فيه ويضعف بعضها : فيقول : " الْمَحِيضِ " ، قيل: إنه مصدر كالحيض، وقيل: بل هو اسم للحيض، فيكون اسم مصدر ، وقوله تعالى: { قُلْ هُوَ أَذًى } ، فسر الأذى بالدم النجس وبما فيه من القذر والنتن وخروجه من مخرج البول، وكل ذلك يؤذي ، قال الخطابي: الأذى هو المكروه الذي ليس بشديد جداً؛ كقوله: { لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى } (آل

---

(١) فتح الباري : ٨ / ٣٦٠ ، ٣٦١ .

عمران/١١١)، وقوله: { إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ } (النساء: ١٠٢) ، قال: والمراد: أذى يعتزل منها موضعه لا غيره، ولا يتعدى إلى سائر بدنها، فلا يجتنبن ولا يخرجن من البيوت كفعل المجوس وبعض أهل الكتاب، فالمراد: أن الأذى بهن لا يبلغ الحد الذي يجاوزونه إليه، وإنما يجتنب منهن موضع الأذى، فإذا تطهرن حل غشيانهن ، وقوله تعالى: {فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ } قد فسره النبي – صلى الله عليه وسلم – باعتزال النكاح (١) ، وقد قيل: بأن المراد بالمحيض هاهنا: مكان الحيض، وهو الفرج، ونص على ذلك الإمام أحمد، وحكاه الماوردي عن أزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – وجمهور المفسرين، وحكى الإجماع على أن المراد بالمحيض المذكور في أول الآية : الدم ، وقد خالف في ذلك ابن أبي موسى من أصحابنا في " شرح الخرقي " ، فزعم أن مذهب أحمد أنه الفرج – أيضاً – وفيه بعد، وجمهور أصحاب الشافعي على أن المراد بالمحيض في الآية الدم، في الموضعين، قوله: { وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ } ، نهي بعد الأمر باعتزالهن في المحيض عن قربانهن فيه، والمراد به: الجماع – أيضاً – وفيه تأكيد لتحريم الوطء في الحيض ، وقوله : { حَتَّى يَطْهُرْنَ } ، فيه قراءتان { يَطْهُرْنَ } – بسكون الطاء وضم الهاء – و { يَطَّهَرْنَ } بتشديد الطاء والهاء (٢) ، وقد قيل: إن القراءة الأولى أريد بها انقطاع الدم، والقراءة الثانية أريد بها التطهر بالماء ، وممن فسر الأولى بانقطاع الدم ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وابن جرير(٣) وغيره: يشيرون إلى حكاية الإجماع على ذلك ، ومنع غيره الإجماع، وقال: كل من القراءتين تحتمل أن يراد بها الاغتسال بالماء، وأن يراد بها انقطاع الدم، وزوال أذاه ، وفي ذلك نظر، فإن قراءة التشديد تدل على نسبة فعل التطهير إليها، فكيف يراد بذلك مجرد انقطاع الدم ولا صنع لها فيه ، وقوله : { حَتَّى يَطْهُرْنَ } غاية النهي عن قربانهن، فيدل بمفهومه على أن ما بعد التطهير يزول النهي ، فعلى قراءة التشديد المفسرة بالاغتسال إنما يزول النهي بالتطهر بالماء، وعلى قراءة التخفيف يدل على زوال النهي بمجرد انقطاع الدم ، واستدل بذلك فرقة قليلة على إباحة الوطء بمجرد انقطاع الدم، وهو قول أبي حنيفة، وأصحابه، إذا انقطع الدم لأكثر الحيض، أو لدونه، ومضى عليها وقت صلاة، أو كانت غير ومخاطبة بالصلاة كالذمية ، وحكي عن طائفة إطلاق الإباحة، منهم: ابن كثير وابن عبد الحكم، وفي نقله عنهما نظر.

والجمهور على أنه لا يباح بدون الاغتسال، وقالوا: الآية، وإن دلت بمفهومها على الإباحة بالانقطاع إلا أن الإتيان مشروط له شرط آخر وهو التطهر، والمراد به : التطهر بالماء؛ بقوله: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ } ، فدل على أنه لا يكفي مجرد التطهر، وأن الإتيان متوقف على التطهر، أو على الطهر والتطهر

---

(١) وهو قول النبي – صلى الله عليه وسلم – بعد أن نزلت الآية الكريمة : " اصنعوا كل شيء إلا النكاح " ، انظر صحيح مسلم ، كتاب الحيض – باب اصنعوا كل شيء إلا النكاح : ١/ ٢٤٦، حديث رقم : ٣٠٢ .

(٢) القراءة بسكون الطاء وضم الهاء قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم ، والقراءة بتشديد الطاء وفتح الهاء المشددة ، قراءة عاصم في رواية أبي بكر والمفضل وحمزة والكسائي، فهما قراءتان متواترتان ، انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ، ص : ١٨٢ .

(٣) انظر تفسير الطبري : ٤ / ٣٨٣ .

بعده، وفسر الجمهور التطهر بالاغتسال، كما في قوله: { وإن كنتم جنبا فاطهروا } (المائدة:٦) ، وحكي عن طائفة من السلف : أن الوضوء كاف بعد انقطاع الدم، منهم: مجاهد، وعكرمة، وطاوس، على اختلاف عنهم في ذلك .

قال ابن المنذر: روينا بإسناد فيه مقال عن عطاء وطاوس ومجاهد، أنهم قالوا: إذا أدرك الزوج الشبق أمرها أن تتوضأ، ثم أصاب منها إن شاء ، وأصح من ذلك عن عطاء ومجاهد موافقة القول الأول – يعني: المنع منه وكراهته بدون الغسل –، قال: ولا يثبت عن طاوس خلاف ذلك ، قال: وإذا بطل أن يثبت عن هؤلاء قول ثان كان القول الأول كالإجماع. انتهى.

ولذلك ضعف القاضي إسماعيل المالكي الرواية بذلك عن طاوس وعطاء؛ لأنها من رواية ليث بن أبي سليم عنهما، وهو ضعيف ، وحكي عن بعض السلف أن التطهر غسل الفرج خاصة، رواه ابن جريج وليث عن عطاء، ورواه معمر عن قتادة، وحكاه بعض أصحابنا عن الأوزاعي، ولا أظنه يصح عنه، وقاله قوم من أهل الظاهر ، والصحيح الذي عليه جمهور العلماء: أن تطهر الحائض كتطهر الجنب، وهو الاغتسال .

ولو عدمت الماء، فهل يباح وطؤها بالتيمم؟ فيه قولان:

أحدهما: يباح بالتيمم، وهو مذهبنا، ومذهب الشافعي وإسحاق والجمهور، وقول يحيى بن بكير من المالكية، والقاضي إسماعيل منهم – أيضاً ، وقال مكحول ومالك: لا يباح وطؤها بدون الاغتسال بالماء ، وقوله : { فَأْتُوهُنّ } إباحة ، وقوله { مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ } : اعتزالهن ، وَهوَ الفرج ، أو ما بين السرة والركبة ، على ما فيهِ مِن الاختلاف كَما سيأتي ، روي هَذا عَن ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة .

وقيل : المراد : مِن الفرج دونَ الدبر ، رواه علي بنِ أبي طلحة عَن ابن عباس . وروى أبان بنِ صالح ، عن مجاهد ، عنة ابن عباس ، قالَ : { مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ اللَّهُ } أن تعتزلوهن ، ورواه عكرمة ، عَن ابن عباس – أيضاً ، وقيل : المراد مِن قبل التطهر لا مِن قبل الحيض ، وروي عَن ابن عباس – أيضاً – ، وغيره ، و { التَّوَّابِينَ } : الرجاعون إلى طاعة الله مِن مخالفته و { الْمُتَطَهِّرِينَ } : فسره عطاء وغيره : بالتطهر بالماء ، ومجاهد وغيره : بالتطهر مِن الذنوب ، وعن مجاهد ، أَنَّهُ فسره : بالتطهر مِن أدبار النساء ، ويشهد لَهُ قول قوم لوط : { إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} (الأعراف : ٨٢) ...(١) .

٤– – ونجده – أيضاً – عند تفسيره لقوله الله – عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلاَةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} (الجمعة/٩) يفسر الآية ثم يحكي أقوال الفقهاء في حكم صلاة الجمعة ويعلق على بعضها فيقول : " والمراد بالسعي: شدة الاهتمام بإتيانها والمبادرة إليها ، فهو من سعي القلوب، لا من سعي الأبدان ، كذا قال الحسن وغيره ، ثم قال : وصلاة

---

(١) فتح الباري : ٢/ ٥ – ٩ .

الجمعة فريضة من فرائض الأعيان على الرجال دون النساء، بشرائط أخر، هذا قول جمهور العلماء، ومنهم من حكاه إجماعاً كابن المنذر ، وشذ من زعم أنها فرض كفاية الشافعية، وحكاه بعضهم قولا للشافعي، وأنكر ذلك عامة أصحابه، حتى قال طائفة منهم: لا تحل حكايته عنه ، وحكاية الخطابي لذلك عن أكثر العلماء وهم منه، ولعله أشتبه عليه الجمعة بالعيد.

وحكي عن بعض المتقدمين: أن الجمعة سنة ، وقد روى ابن وهب، عن مالك، أن الجمعة سنة.

وحملها ابن عبد البر على أهل القرى المختلف في وجوب الجمعة عليهم خاصة، دون أهل الأمصار ، ونقل حنبل، عن أحمد، أنه قال: الصلاة – يعني: صلاة الجمعة – فريضة، والسعي إليها تطوع، سنة مؤكدة ، وهذا إنما هو توقف عن إطلاق الفرض على اتيان الجمعة، وأما الصلاة نفسها، فقد صرح بأنها فريضة، وهذا يدل على أن ما هو وسيلة إلى الفريضة ولا تتم إلا به لا يطلق عليه اسم الفريضة؛ لأنه وإن كان مأموراً به فليس مقصودا لنفسه، بل لغيره ، وتأول القاضي أبو يعلى كلام أحمد بما لا يصح (١) .

سادساً : بيانه لسبب نزول الآية أو الآيات المستنبط منها الحكم الشرعي و التي لها سبب نزول ، وتخريجه والحكم عليه في الغالب .

مثال ذلك : قوله عند حديثه عن قوله تعالى : { وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ }(الكهف :٢٣ ، ٢٤)، وأما قول الخطابي أنه يمنع الحنث كقول من يقول ذلك في الاستثناء المنفصل بعد الكلام كما حكاه عن المكيين فأصل ذلك أنه قد روي عن المكيين كعطاء ومجاهد وعمرو بن دينار وابن جريج وغيرهم أنه ينفع الاستثناء بعد مدة من اليمين ، وروي ذلك عن ابن عباس من وجوه وقد طعن فيها كلها غير واحد منهم القاضي إسماعيل المالكي والحافظ أبو موسى المديني وله في ذلك مصنف مفرد ، وقالت طائفة إنما أراد هؤلاء أن هذا الاستثناء المنفصل يحصل به امتثال قوله عز وجل { وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ }(الكهف :٢٣ ، ٢٤) وسبب نزولها أن قوما سألوا النبي – صلى الله عليه وسلم – عن قصة قال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه مدة ثم نزلت هذه الآية (٢) ، وعلى هذا حمل قول ابن عباس وأصحابه طائفة من العلماء منهم أبو مسعود الأصبهاني الحافظ ، وابن جرير الطبري(٣) ، وكذا يقال في هذا الحديث من تقدم الاستثناء فإن تقديمه أبعد من تأخيره عن اليمين فإن اليمين لم توجد بالكلية وفي تأخيره وجدت ، وقد حمل طائفة منهم الإمام أحمد كلام ابن عباس في تأويل الآية على وجه آخر وهو أن الرجل إذا قال لا أفعل كذا وكذا ثم أراد

---

(١) فتح الباري : ٨ / ٥٨ – ٦٠ ، بتصرف ، ومن أراد مزيداً من الأمثلة فليراجع : جامع العلوم والحكم : ٢ / ٢١٣ – ٢١٦ ، وفتح الباري : ٤ / ١٧٥ – ١٨٢ .

(٢) رواه البيهقي في دلائل النبوة : ٢ / ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، والحديث له أصل رواه الإمام أحمد في المسند : ٤ / ١٥٤ ، ١٥٥، برقم : ٢٣٠٩ ، وقال المحقق (شعيب الأرنؤوط) : إسناده صحيح ، والترمذي في سننه ، أبواب التفسير – باب ومن سورة الإسراء : ٥ / ١٥٥ ، برقم : ٣١٤٠ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٣) انظر جامع البيان للطبري : ١٧ / ٦٤٦ .

فعله فإنه يستثني ويقول إن شاء الله ثم يفعله ويتخلص بذلك من الكذب إذا لم يكن حلف على يمين " ([1]) .

سابعاً : بيانه لعلة الحكم المستنبط من الآية أو الآيات أحياناً والاستدلال عليها ببعض ما ورد في القرآن الكريم :

فمثلاً عند تعرضه لتفسير بعض آيات سورة الفاتحة في كتابه فتح الباري ذكر حكم قراءة الفاتحة خلف الإمام في الصلاة الجهرية وعلة هذا الحكم والدليل عليه فقال : "وفي صحيح مسلم([2]) عن أبي موسى الأشعري، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: " إذا قال الإمام: { غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ } (الفاتحة/٧). فقولوا: " آمين، يجبكم الله " ، ثم قال ابن رجب مبيناً لحكم القراءة خلف الإمام وعلته : ولما كان المأموم مأموراً بالإنصات لقراءة الإمام، مأموراً بالتأمين على دعائه عند فراغ الفاتحة، لم يكن عليه قراءة؛ لأنه قد أنصت للقراءة، وأمَّن على الدعاء فكأنه دعا؛ كما قال كثير من السلف في قول الله تعالى لموسى وهارون: { قَالَ قَدْ أُجِيْبَتْ دَعْوَتُكُمَا}(يونس/٨٩)..، قالوا: كان موسى يدعو، وهارون يؤمن، فسماهما داعيين " ([3]) .

ثامناً : توجيهه لبعض أقوال الفقهاء في الحكم الشرعي المستنبط من الآية أو الآيات القرآنية :

مثال ذلك قوله عند تفسيره لقول الله عز وجل: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ } (التوبة : ٢٨) حيث قال : " وقد اختلف أهل العلم منهم في دخول الكافر المسجد، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، وحكي رواية عن أحمد، رجحها طائفة من أصحابنا.

قال أصحاب الشافعي: وليس له أن يدخل المسجد إلا بإذن المسلم ، ووافقهم طائفة من أصحابنا على ذلك.

وقال بعضهم: لا يجوز للمسلم أن يأذن فيه إلا لمصلحة من سماع قرآن، أو رجاء إسلام، أو إصلاح شيء ونحو ذلك، فأما لمجرد الأكل واللبث والاستراحة فلا ، ومن أصحابنا: من أطلق الجواز، ولم يقيده بإذن المسلم ، وهذا كله في مساجد الحل، فأما المسجد الحرام فلا يجوز للمسلمين الإذن في دخوله للكافر، بل لا يمكن الكافر من دخول الحرم بالكلية عند الشافعي وأحمد وأصحابهما ، واستدلوا بقول الله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ } (التوبة/٢٨) ، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – أمر مناديا ينادي: " لا يحج بعد العام مشرك " ([4]) ، وأجازه أبو حنيفة وأصحابه ، أما

([1]) شرح حديث لبيك الله لبيك ص : ٣٦ – ٣٨ .

([2]) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة – باب التشهد في الصلاة : ١ / ٣٠٣ ، حديث رقم : ٤٠٤ .

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري : ١ / ١٠٣ .

([4]) رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب الصلاة – باب ما يستر من العورة : ١ / ٨٢ ، حديث رقم : ٣٦٩ ، والإمام مسلم في صحيحه ، كتاب الحج – باب لا يحج البيت مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وبيان يوم الحج الأكبر: ٢ / ٩٨٢ ، حديث رقم : ١٣٤٧ .

مسجد المدينة، فالمشهور عندنا وعند الشافعية أن حكمه حكم مساجد الحل ، ولأصحابنا وجه: أنه ملحق بالمسجد الحرام؛ لأن المدينة حرم، وحكي عن ابن حامد، وقاله القاضي أبو يعلى في بعض كتبه ، وهذا بعيد؛ فإن الأحاديث الدالة على الجواز إنما وردت في مسجد المدينة بخصوصه، فكيف يمنع منه ويخص الجواز بغيره؟.

وقالت طائفة: لا يجوز تمكين الكافر من دخول المساجد بحال، وهذا هو المروي عن الصحابة، منهم: عمر، وعلي، وأبو موسى الأشعري، وعن عمر بن عبد العزيز، وهو قول مالك، والمنصوص عن أحمد، قال: لا يدخلون المسجد ولا ينبغي لهم أن يُدخلوهم ، واستدلوا بقول الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يدخلوها إلا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (البقرة/١١٤) ، وظاهره : يدل على أن الكفار لا يمكنون من دخول المساجد، فإن دخلوا أخيفوا وعوقبوا، فيكونون في حال دخولهم خائفين من عقوبة المسلمين لهم ، وقد روي عن علي، أنه كان على المنبر فبصر بمجوسي، فنزل وضربه وأخرجه ، خرجه الأثرم ، وعلى هذا القول، فأحاديث الرخصة قد تحمل على أن ذلك قبل النهي عنه، أو أن ذلك كان جائزا حيث كان يحتاج إلى تألف قلوبهم، وقد زال ذلك ، وفرقت طائفة بين أهل الذمة وبين أهل الحرب، فقالوا: يجوز إدخال أهل الذمة دون أهل الحرب، وروي عن جابر بن عبد الله وقتادة ، وروى عبد الرزاق، عن ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ } (التوبة/٢٨) قال: إلا أن يكون عبداً أو أحداً من أهل الذمة ، وقد روى مرفوعاً من رواية شريك: ثنا أشعث بن سوار، عن الحسن، عن جابر، عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، قال: " لا يدخل مسجدنا هذا مشرك بعد عامنا هذا، غير أهل الكتاب وخدمهم " ، خرجه الإمام أحمد(١) ، وفي رواية له : " غير أهل العهد وخدمهم "(٢) وأشعث بن سوار، ضعيف الحديث ، وقد خص بعض أصحابنا حكاية الخلاف المحكي عن أحمد في المسألة بأهل الذمة (٣) .

---

(١) مسند الإمام أحمد : ٢٣ / ٣٨٧ ، برقم : ١٥٢٢٠ ، وقال المحقق : (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف.

(٢) مسند الإمام أحمد : ٢٣ / ١٨ ، برقم : ١٤٦٤٩ ، أخرجه بسنده عن الحسن عن جابر رضي الله عنه ، وقال المحقق : (شعيب الأرنؤوط) : إسناده ضعيف ، ثم قال : وأخرجه الطبري أيضاً ١٠٨/١٠ بسنده عن جابر بن عبد الله يقول في هذه الآية: (إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام) [التوبة: ٢٨] ، قال: لا، إلا أن يكون عمداً أو أحداً من أهل الجزية ، وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وقال ابن كثير في "تفسيره" : ٧٣/٤ في حديث الحسن عن جابر: تفرد به أحمد مرفوعاً، والموقوف أصح إسناداً.

(٣) فتح الباري : ٣ / ٣٩٤ .

الخاتمة : نسأل الله حسنها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه الغر الميامين

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله

وبعـــــــد

فهذا بحثي سطرته بيدي ، وتحدثت فيه عن التعريف بابن رجب الحنبلي ومصنفاته ، ومصادره في التصنيف، وجهوده في التفسير من خلال كتبه الخاصة بهذا العلم ، وكذا من خلال آثاره ومؤلفاته التي تحدث فيها عن فنون أخرى من العلوم، وضمنها بعض القضايا التفسيرية ، فإن كنت قد وفقت فمن الله وإن كانت الأخرى فمن نفسي ومن الشيطان وحسبي أني اجتهدت، والله أسألَ أن يجزيني عنه خير الجزاء ، وأن يهب مثل ثواب عملي هذا لوالدي رحمهما الله تعالى .

أهم النتائج :

بعد أن طوفت حول تراث ابن رجب الحنبلي وآثاره الكثيرة العظيمة ووقفت على جهوده في التفسير من خلال هذا التراث الذي خلفه لنا أخلص إلى النتائج التالية :

١- أن ابن رجب الحنبلي كان عالماً جليلاً من علماء القرن الثامن الهجري ، جمع بين كثير من الفنون والعلوم مثل التفسير والحديث والفقه والعقيدة والسيرة والتاريخ وغير ذلك .
٢- أنه كان سلفي العقيدة حنبلي المذهب .

٣- أنه بذل جهداً عظيماً في تفسير القرآن الكريم ، جمع فيه بين المنقول والمعقول في التفسير .
٤- أن جهوده في التفسير لم تقتصر على ما صنفه فيه من كتب ورسائل ، بل شملت القضايا التفسيرية التي أوردها في كتبه ورسائله الأخرى ، وهو وإن كان لم يفسر القرآن الكريم كله بل فسر كثيراً من آياته ، إلا أنه بذل جهوداً ملموسة فيما فسره من آيات الذكر الحكيم .
٥- أنه بذل جهداً كبيراً في الترجيح بين الأقوال في التفسير أو التوفيق والجمع بينها ، وكان يقدر رأي الجمهور من السلف ويرجحه عن غيره ويدلل عليه .

٦- أنه اهتم بكثير من القضايا اللغوية في القرآن الكريم ، مثل بيان معاني مفرداته ، وذكر بعض الصور البلاغية والفروق اللغوية بين الألفاظ القرآنية ، وإعراب بعض الكلمات والجمل ، وغير ذلك .

٧- أنه اهتم في كثير من مصنفاته بالتفسير الإجمالي والموضوعي لبعض الآيات القرآنية .

٨- أنه استنبط كثيراً من الأحكام الفقهية والفوائد و الدلائل التي دلت عليها الآيات القرآنية .

٩- أنه كان واعظاً حكيماً زاهداً كبيراً اهتم أثناء تفسيره لبعض آيات القرآن الكريم بنقل كثير من المواعظ والحكم والرقائق عن السابقين .

١٠- أنه كان محققاً مدققاً عالماً بالحديث وفنونه؛ لذا نجده قد حكم على كثير من الأحاديث والروايات الواردة عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، مع تخريجها وعزوها لمصادرها في الغالب .

١١- عدم خوضه في المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ، وقد ورد عنه أنه قال : " ومن أشكل عليه فهم شيء من ذلك واشتبه عليه فليقل كما مدح الله تعالى به الراسخين في العِلْم وأخبر عنهم أنهم يَقُولُونَ عند المتشابه: {آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا} (آل عمران: ٧)(١) ، ولعله كان يرى أن الحروف المفرقة في أوائل السور مما استأثر الله بعلمه ، وسر الله في كتابه ؛ لذا لم يؤثر عنه أنه خاض في تفسيرها .

١٢ – أنه كان أحياناً لا يفسر الآية القرآنية كلها ، وإنما يفسر ما يحتاج إلى تفسير منها، فيما عدا كتبه المستقلة في التفسير مثل تفسير سورة النصر والإخلاص وغيرهما ، وذلك لأن كتبه ومؤلفاته متنوعة لم تقصر على التفسير فقط بل حوت علوماً شتى وفنوناً متنوعة .

١٣ – أنه كان مقلاً من ذكر الإسرائيليات في التفسير .

١٤- لم يهتم بذكر المناسبات بين الآيات ، ولعل السبب في ذلك أن معظم القضايا التفسيرية التي تعرض لها كان لآيات متفرقة ، وليس لآيات متتالية تحتاج إلى بيان المناسبة بينها .

أهم التوصيات :

أوصي الباحثين عامة وطلاب الدراسات العليا خاصة بما يلي :

١- الاهتمام بتراث العلماء الأجلاء والمفسرين النبلاء المخطوط ، والقيام بتحقيقه وطباعته ونشره لتعم الفائدة ويسهل الوصول إليه .

٢- جمع القضايا التفسيرية المتناثرة في مصنفات كثير من العلماء في غير كتب التفسير ودراستها ، ثم طباعتها حتى يظهر جهدهم في التفسير ، وينهل منها طلاب العلم بطريقة سهلة مثل مصنفات " أبي حامد الغزالي " خاصة في كتابه " إحياء علوم الدين ، وكذا مصنفات علماء اللغة، كتهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، وغيره .

٣- التصدي بكل حزم وعزم لأولئك الذين ضلت عقولهم فأنكروا السنة وتراث الأمة ، وبثوا سمومهم عبر وسائل الإعلام المختلفة ، وشبكة المعلومات الدولية (الانترنت) وطباعة المؤلفات والمنشورات والمقالات ،

---

(١) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي : ٤ / ١٠ ، رسالة : " اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى .

سواء عن طريق المناظرات العلنية ، أو محاورتهم عبر صفحاتهم وقنواتهم على شبكة المعلومات الدولية ، أو نشر المؤلفات والمقالات التي تبطل قولهم و تفند شبههم وترد كيدهم .

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م .

٢- الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب ، علي بن عبد العزيز بن علي الشبل ، الناشر : مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض ، الطبعة : ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م

٣- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن ، أبو حاتم، الدارمي، البستي ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، حققه : شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

٤- أحكام الاختلاف في رؤية هلال ذي الحجة ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق: أ. د. عبد الله الجبرين ، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ .

٥- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي ، المحقق: د. عبد الملك عبد الله دهيش ، الناشر: دار خضر – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ .

٦- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى لابن رجب بن الحنبلي ، المحقق: جسم الفهيد الدوسري ، الناشر: مكتبة دار الأقصى – الكويت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٥م .

٧- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني ، تحقيق : أحمد عناية ، الناشر: دار الكتاب العربي ، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .

٨- أرشيف ملتقى أهل التفسير ، متاح على هذا الرابط . http://tafsir.net

٩- أسباب المغفرة لابن رجب الحنبلي ، متاح على هذا الرابط :
http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=38057

١٠- الاستخراج لأحكام الخراج ، ط : دار الكتب العلمية – بيروت الأولى : ١٤٠٥ – ١٩٨٥ م .

١١- استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس ، لابن رجب الحنبلي ، ط : دار الصحابة للتراث بطنطا

١٢- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي المحقق: علي سامي النشار ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٣- أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) ، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي ، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود ، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي) ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

١٤- الأعلام ، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي ، الناشر: دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م .

١٥- الأنساب المتفقة في الخط المتماثله في النقط والضبط لمحمد بن طاهر القيسراني ، طبعة: ليدن بريل، ١٢٨٢ هـ - ١٨٦٥ م .

١٦- إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

١٧- أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ، لابن رجب الحنبلي ، الناشر : دار الكتاب العربي ، الثالثة : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .

١٨- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادي ، ط : دار الكتب العلمية

١٩- الإيمان، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن ، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

٢٠- بدائع الفوائد ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .

٢١- بغية الإنسان في وظائف رمضان ، ابن رجب الحنبلي ، ط : المكتب الإسلامي : ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م .

٢٢- تاريخ ابن قاضي شهبة لأبي بكر ابن أحمد ابن قاضي شهبة ، ط : المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٧٧، تحقيق عدنان درويش .

٢٣- تحرير علوم الحديث ، عبد الله بن يوسف الجديع ، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٢٤- التبيان في أيمان القرآن لابن القيم ، ط : دار عالم الفوائد تحقيق : عبد الله بن سالم البطاطي .

٢٥- تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، علوي بن عبد القادر السَّقَّاف ، الناشر : دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الطبعة : الثانية ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٢٦- التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب الحنبلي ، ط : مكتبة المؤيد، تحقيق بشير محمد عيون ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

٢٧- تذكرة الحفاظ ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي دراسة ، تحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .

٢٨- تفسير سورة الإخلاص ، لابن رجب الحنبلي ، الناشر : دار الصميعي - الرياض .

٢٩- تفسير سورة الفاتحة ، تحقيق : سامي بن محمد بن جاد الله .

٣٠- تفسير سورة النصر ، لابن رجب الحنبلي ، الناشر : دار الصميعي - الرياض .

٣١- تفسير القرآن ، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، الناشر: دار الكتب العلمية ، تحقيق: د. محمود محمد عبده ، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ .

٣٢- تفسير القرآن العظيم ، لعبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم ، تحقيق : أسعد الطيب ، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثالثة - ١٤١٩ هـ .

٣٣- تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء الدمشقي ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ، ،الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م .

٣٤- التفسير الموضوعي للقرآن الكريم ونماذج منه ، أحمد بن عبد الله الزهراني ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٣٥- التفسير والمفسرون ، د / محمد السيد حسين الذهبي ، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة .

٣٦- تفسير يحيى بن سلام ، ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي ، البصري ثم الإفريقي القيرواني ، تحقيق: الدكتورة هند شلبي ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م .

٣٧- تخليص الشواهد وتلخيص الفوائد ، جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف ، الشهير بـ "ابن هشام الأنصاري" ، تحقيق الدكتور/ عباس مصطفى الصالحي ، الناشر: دار الكتاب العربي .

٣٨- تعظيم قدر الصلاة ، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي ، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، الناشر: مكتبة الدار – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ .

٣٩- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، ١٣٨٧ هـ

٤٠- تهذيب التهذيب ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ .

٣١- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج الكلبي المزي ، المحقق: د. بشار عواد معروف ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت .الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ – ١٩٨٠.

٤٢- الثقات ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان ، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ، الناشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة الأولى : ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ .

٤٣- جامع البيان في تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب ، أبو جعفر الطبري ، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ، وطبعة دار هجر

٤٤- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ، الناشر: دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ .

٤٥- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم ، لابن رجب الحنبلي ، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٤٦- الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد ليوسف بن الحسن بن عبد الهادي المشقي الحنبلي المروف بابن المبرد ت : ٩٠٩ هـ ص : ٤٧ ط : مكتبة العبيكان – الرياض تحقيق : عبد الرحمن العثيمين

٤٧- حجة القراءات ، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة ، المحقق سعيد الأفغاني ، الناشر: دار الرسالة .

٤٨- الحجة للقراء السبعة ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسيّ ، المحقق: بدر الدين قهوجي ، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق / بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣م .

٤٩- الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي – صلى الله عليه وسلم – " بعثت بالسيف بين يدي الساعة " ، لابن رجب الحنبلي ، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط ، الناشر: دار المأمون – دمشق ، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٩٩٠م

٥٠- دراسات في علوم القرآن ، محمد بكر إسماعيل ، الناشر: دار المنار ، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م

٥١- الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي ، ط : دار الكتب العلمية .

٥٢- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر ، ط : مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد – الهند

٥٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الناشر: دار الفكر – بيروت

٥٤- دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، المحقق: د. محمد السيد الجليند ، الناشر: مؤسسة علوم القرآن – دمشق ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤هـ .

٥٥- ديوان الفرزدق بشرح عبد الله الصاوي ، مطبعة الصاوي – مصر .

٥٦- ديوان الإسلام، لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن ابن الغزى ، تحقيق : سيد كسروى، ط : دار الكتب العلمية بيروت .

٥٧- الذل والانكسار للعزيز الجبار أو الخشوع في الصلاة ، ط : دار الفضيلة القاهرة تحقيق أحمد مصطفى الطهطاوي .

٥٨- ذم قسوة القلب ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق : طارق بن عاطف حجازي ، ط : دار ابن رجب .

٥٩- ذم المال والجاه ، لابن رجب الحنبلي ، ط : دار القاسم .

٦٠- ذيل طبقات الحنابلة ، المؤلف: لابن رجب الحنبلي ، المحقق: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٥ م .

٦١- الرد الوافر محمد بن أبي بكر بن ناصر الدين الدمشقي ،تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي – بيروت – الأولى : ١٣٩٣ هـ .

٦٢- الرسالة، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي القرشي المكي ، تحقيق: أحمد شاكر ، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر ، الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م .

٦٣- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٦٤- زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المحقق: عبد الرزاق المهدي ، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

٦٥- الزهد والرقائق ، أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي ، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت .

٦٦- السبعة في القراءات ، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي ، المحقق: شوقي ضيف ، الناشر: دار المعارف – مصر ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠هـ .

٦٧- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة لمحمد ابن عبد الله بن حميد النجدي الحنبلي ، مكتبة الإمام أحمد

٦٨- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

٦٩- سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني ، المحقق: شعَيب الأرنؤوط ، الناشر: دار الرسالة العالمية ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

٧٠- سنن الترمذي (الجامع الكبير) لمحمد بن عيسى بن سَوْرة أبي عيسى الترمذي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر – تحقيق أحمد شاكر وآخرون .

٧١- سنن الدارقطني ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي البغدادي الدارقطني ، المحقق :: شعيب الارنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م

٧٢- سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي، التميمي السمرقندي ، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م .

٧٣- السنن الصغرى للنسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

٧٤- السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي ، المحقق: محمد عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٧٥- السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي ، المحقق : حسن عبد المنعم شلبي ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

٧٦- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

٧٧- شرح حديث جبريل لابن رجب الحنبلي ، ط : دار القاسم .

٧٨- شرح حديث لبيك اللهم لبيك ، لابن رجب الحنبلي ، ط : دار عالم الفوائد . تحقيق د / الوليد آل فريان.

٧٩- شرح حديث " يتبع الميت ثلاث " ، لابن رجب الحنبلي ، الناشر : دار الوطن .

٨٠- شأن الدعاء ، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي ، المحقق: أحمد يوسف الدّقاق ، الناشر: دار الثقافة العربية .

٨١- شرح العقيدة الطحاوية ، عبد الرحمن بن ناصر بن براك بن إبراهيم البراك ، الناشر: دار التدمرية ، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

٨٢- شرح غريب ألفاظ المدونة ، الإمام الجُبِّي ، المحقق: محمد محفوظ ، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م .

٨٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي ، ط : تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط – دار ابن كثير – دمشق سنة ١٤٠٦هـ .

٨٤- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي ، المحقق : عبد العلي حامد ، الناشر: مكتبة الرشد بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

٨٥- صحيح وضعيف سنن ابن ماجة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٨٦- صحيح وضعيف سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

٨٧- صحيح وضعيف سنن النسائي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية .

٨٨- الضعفاء والمتروكون ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد البغدادي الدارقطني ، المحقق: د. عبد الرحيم القشقري، الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٨٩- ضعيف أبي داود – الأم ، محمد ناصر الدين الألباني ، دار النشر : مؤسسة غراس للنشر و التوزيع – الكويت الطبعة : الأولى – ١٤٢٣ هـ .

٩٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ط : دار الجيل – بيرت

٩١- طبقات الحفاظ ، لجلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي، ط : دار الكتب العلمية بيروت – الأولى ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣ م .

٩٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .

٩٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق: مجموعة من العلماء ، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

٩٤- الفرق بين النصيحة والتعيير لابن رجب الحنبلي ، ط : دار القاسم .

٩٥- فضائل القرآن للقاسم بن سلام ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي ، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين ، الناشر: دار ابن كثير (دمشق – بيروت) ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ –١٩٩٥ م .

٩٦- فضل علم السلف على الخلف ، المحقق : محمد بن ناصر العجمي ، الناشر : دار الصميعي .

٩٧- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني ، تحقيق : إحسان عباس ،الناشر : دار الغرب الإسلامي – بيروت .

٩٨- القاعدة الذهبية في المعاملات الإسلامية لا ضرر ولا ضرار ، لابن رجب الحنبلي ، المحقق: إيهاب حمدي غيث ، الناشر: دار الكتاب العربي ، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠

٩٩- كشف الأستار عن زوائد البزار ، لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م .

١٠٠- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ، ط : درا إحياء التراث العربي – بيروت .

١٠١- الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور ، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م .

١٠٢- كتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي ، ط : دار القاسم – الرياض – تحقيق : صبري بن سلامة شاهين ، الأولى : ١٤١٥ هـ .

١٠٣- الكليات حسب ترتيب سورها في النزول لأحمد الريسوني متاح على هذا الرابط : https://vb.tafsir.net/tafsir22148/#.WLGU3dLyvIU

١٠٤- لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ لأبي الفضل محمد بن محمد بن محمد ابن فهد الهاشمي المكي ، دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى : ١٤١٩ هـ- م ١٩٩٨ م .

١٠٥- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ، لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، الناشر: دار ابن حزم ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م .

١٠٦- اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، المحقق: أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م .

١٠٧- مباحث في علوم القرآن ، المؤلف: مناع بن خليل القطان ، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م .

١٠٨- مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي، أبو مصعب طلعت ابن فؤاد الحلواني ،ط : الفاروق الحديثة .

١٠٩- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن قاسم ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف – المدينة النبوية ، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

١١٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ، المحقق: حسام الدين القدسي ، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة ، عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م.

١١١- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ،أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، الناشر: وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الطبعة: ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م .

١١٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى – ١٤٢٢ هـ .

١١٣- المراسيل ، لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السِّجِسْتاني ، المحقق: شعيب الأرناؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

١١٤- معالم أصول الدين ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد ، الناشر: دار الكتاب العربي – لبنان .

١١٥- معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج ، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي

الناشر: عالم الكتب – بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م- المعجم الأوسط للطبراني .

١١٦- المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة

١١٧- المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة ، الطبعة: الثانية .

١١٨- معجم المؤلفين ،عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي ، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت .

١١٩- المستدرك على الصحيحين ، الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة ، الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠ م

١٢٠- مسند أبي يعلي الموصلي ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى التميمي، الموصلي ، المحقق: حسين سليم أسد ، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ م .

١٢١- المسند، الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى،١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

١٢٢- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي المعروف بالبزار ، المحقق: محفوظ عبد الرحمن زين الله، وآخرون ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ٢٠٠٩ م .

١٢٣- مسند الرُّوياني ، أبو بكر محمد بن هارون الرُّوياني ، المحقق: أيمن علي أبو يماني ، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة ، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ .

١٢٤- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

١٢٥- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري الشافعي، المحقق: محمد المنتقى ، الناشر: دار العربية – بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ .

١٢٦- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، الحسين بن مسعود بن محمد البغوي الشافعي ، المحقق : عبد الرزاق المهدي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

١٢٧- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

١٢٨- المقدمات الأساسية في علوم القرآن ، لعبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب العنزي ، الناشر: مركز البحوث الإسلامية ليدز – بريطانيا ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .

١٢٩- مقدمة في أصول التفسير ، الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ – ١٩٧٢ م تحقيق د / عدنان زرزور

١٣٠- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد لبرهان الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح ، تحقيق د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين – مكتبة الرشد ١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م – الرياض .

١٣١- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال لعبد القادر بدران ، تحقيق زهير الشاويش الناشر المكتب الإسلامي سنة النشر ١٩٨٥م .

١٣٢- منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري ، حمزة محمد قاسم ، مكتبة دار البيان – دمشق : ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م .

١٣٣- مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي ، الطبعة الثالثة .

١٣٤- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، لمجبر الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحنبلي العليمي ، ط : دار صادر – بيروت – تحقيق عبد القادر الأرنؤوط .

١٣٥- منهج الحافظ ابن رجب الحنبلي في العقيدة لعلي بن عبد العزيز الشبل ، ط : دار الأصمعي – الرياض

١٣٦- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين، حققه : دكتور محمد محمد أمين ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٣٧- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر: دار ابن عفان ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م .

١٣٨- الموسوعة القرآنية المتخصصة ، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين ، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ، عام النشر: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م .

١٣٩- الناسخ والمنسوخ ، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحوي ، المحقق: د. محمد عبد السلام محمد ، الناشر: مكتبة الفلاح – الكويت ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ .

١٤٠- الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي ، تحقيق محمد بن صالح المديفر ، الناشر: مكتبه الرشد – الرياض ، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

١٤١- نزهة الأسماع في مسألة السماع ، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ، الناشر : دار طيبة – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧ – ١٩٨٦ ، تحقيق : وليد عبد الرحمن الفريان .

١٤٢- النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمدالشيباني الجزري ابن الأثير ، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى .

١٤٣- نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس ط : دائر البشائر الإسلامية

١٤٤- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، إسماعيل بن محمد أمين البغدادي ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١ م .

١٤٥- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، ط : مؤسسة الرسالة .

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	**المقدمة :**	١
٢	**الفصـــل الأول : ابن رجب الحنبلي بين التعريف والتصنيف ومصـادره في التـأليف.**	٧
٣	**المبحث الأول : التعريف بابن رجب الحنبلي .**	٧
٤	**المطلب الأول : اسمه ونسبه ولقبه وكنيته .**	٧
	المطلب الثاني : مولده ونشأته .	٧
٥	**المطلب الثالث : أسرته .**	٧
٦	**المطلب الرابع : طلبه للعلم ورحلاته فيه .**	٨
٧	**المطلب الخامس : عبادته وزهده .**	٩

٨	المطلب السادس : علمــه وفضله .	١٠
٩	المطلب السابع : مذهبه الفقهي .	١١
١٠	المطلب الثامن : عقيدته .	١٢
١١	المطلب التاسع : مناصبه العلمية .	١٢
١٢	**المبحث الثاني : شيوخه ومن تلقى عنهم العلم وتلاميذه ومن تلقوا عنه .**	١٢
١٣	المطلب الأول : شيوخه ومن تلقى عنهم العلم .	١٢
١٤	المطلب الثاني : تلاميذه ومن تلقوا عنه .	١٣
١٥	**المبحث الثالث : مصنفات ابن رجب الحنبلي .**	١٤
١٦	المطلب الأول : مصنفاته في العقيدة .	١٥
١٧	المطلب الثاني : مصنفاته في التفسير وعلوم القرآن .	١٥
١٨	المطلب الثالث : مصنفاته في الحديث وعلومه .	١٥
١٩	المطلب الرابع : مصنفاته في الفقه وقواعده .	١٦
٢٠	المطلب الخامس : مصنفاته في الفضائل والشمائل .	١٧
٢١	المطلب السادس : مصنفاته في السيِّر والتراجم .	١٧
٢٢	المطلب السابع : مصنفاته في المواعظ والرقائق.	١٧
٢٣	**المبحث الرابع : مصادر ابن رجب في التفسير .**	١٨
٢٤	المطلب الأول : مصادره من كتب الحديث وشروحه .	١٨
٢٥	المطلب الثاني : مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن .	١٩
٢٦	المطلب الثالث : مصادره من كتب الفقه .	٢١
٢٧	المطلب الرابع : المصادر الأخرى .	٢١
٢٨	**المبحث الخامس : وفاته .**	٢٢

٢٩	الفصل الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير من خلال كتبه ورسائله التي صنفها في هذا العلم .	٢٥
٣٠	المبحث الأول : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة الفاتحة .	٢٥
٣١	المطلب الأول : اهتمامه بموضع نزولها .	٢٥
٣٢	المطلب الثاني : اهتمامه بعدد آياتها وحروفها وكلماتها .	٢٦
٣٣	المطلب الثالث: عنايته بأسمائها .	٢٧
٣٤	المطلب الرابع : اهتمامه ببيان فضائلها وخصائصها .	٢٩
٣٥	المطلب الخامس: استنباطه لبعض الأحكام الفقهية التي اشتملت عليها السورة الكريمة	٣٠
٣٦	المطلب السادس : بيانه لبعض مقاصدها .	٣١
٣٧	المطلب السابع : تفسيره لبعض ألفاظها وطريقته في ذلك .	٣٢
٣٨	المبحث الثاني : جهوده في رسالته المسماة : الكلام على قوله تعالى : " إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ " (فاطر/٢٨)	٣٥
٣٩	المطلب الأول : اهتمامه بما دلت عليه الآية الكريمة من فوائد وتحرير أقوال المفسرين في ذلك والترجيح بينها	٣٥
٤٠	المطلب الثاني : عنايته بذكر بعض اللطائف المتعلقة بالآية الكريمة .	٣٦
٤١	المطلب الثالث : اهتمامه بنقل أقوال السلف – رضي الله عنهم – في تفسيرها .	٣٧
	المطلب الرابع : اهتمامه ببيان أوجه كون العلم يوجب الخشية .	٣٨
٤٢	المطلب الخامس : بيان وجه كون العلم يستلزم الخشية والخشية ملازمة للعلم .	٣٩
٤٣	المبحث الثالث : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة النصر	٣٩
٤٤	المطلب الأول : اهتمامه ببيان موضع ووقت نزولها .	٣٩
٤٥	المطلب الثاني : تفسيره لكلماتها وآياتها ومنهجه في ذلك .	٤٠
٤٦	المبحث الرابع : جهود ابن رجب الحنبلي في كتابه تفسير سورة الإخلاص	٤٣

٤٧	المطلب الأول : اهتمامه ببيان فضائلها .	٤٣
٤٨	المطلب الثاني : حديثه عن سبب نزول هذه السورة العظيمة .	٤٥
٤٩	المطلب الثالث : تفسيره لكلماتها وآياتها .	٤٥
٥٠	المطلب الرابع : اهتمامه بإعراب بعض ألفاظها و جملها .	٤٧
٥١	المطلب الخامس : عرضه لبعض مقاصدها .	٤٧
٥٢	المطلب السادس : بيانه لبعض اللطائف التفسيرية التي اشتملت عليها السورة الكريمة .	٤٨
٥٣	**الفصل الثالث : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير من خلال كتبه ورسائله التي صنفها في غير هذا العلم .**	٥٠
٥٤	**المبحث الأول : جهوده في التفسير بالمأثور .**	٥٠
٥٥	المطلب الأول : جهوده في تفسير القرآن بالقرآن .	٥١
٥٦	المطلب الثاني : جهوده في تفسير الآيات القرآنية بالسنة النبوية .	٥٥
٥٧	المطلب الثالث : جهوده في تفسير القرآن المبين بأقوال الصحابة والتابعين .	٦٥
٥٨	المطلب الرابع : جهوده في أمور أخرى تتعلق بالتفسير بالمأثور .	٨١
٥٩	أولاً : جهوده في عرض بعض القراءات القرآنية .	٨١
٦٠	ثانياً : جهوده في أسباب النزول .	٨٣
٦١	ثالثاً : جهوده في الناسخ والمنسوخ .	٩٠
٦٢	**المبحث الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير بالرأي.**	٩٤
٦٣	المطلب الأول : تفسيره لمفردات الألفاظ القرآنية ورجوعه في ذلك إلى اللغة العربية .	٩٤
٦٤	المطلب الثاني : شرحه للآية أو الآيات القرآنية بالتفصيل أحياناً .	٩٨
٦٥	المطلب الثالث : بيانه أحياناً للمعنى الإجمالي للآية أو الآيات .	١٠٠
٦٦	المطلب الرابع : إعرابه لبعض ألفاظ القرآن الكريم وجمله وتصريفه لبعض كلماته .	١٠١
٦٧	المطلب الخامس : بيانه لبعض الصور البلاغية في الآيات القرآنية .	١٠٤
٦٨	المطلب السادس : استنباطه لبعض ما دلت عليه الآيات القرآنية من فوائد ودلائل بهية .	١٠٦

٦٩	المطلب السابع : تفصيله لمجملات بعض الآيات القرآنية .	١٠٩
٧٠	المطلب الثامن : بيانه لبعض الكليات القرآنية من خلال ذكره للآيات الدالة عليها .	١١٠
٧١	المطلب التاسع : قيامه بدفع ما يوهم ظاهره التعارض في بعض الآيات القرآنية .	١١١
٧٣	المبحث الثالث : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير غريب القرآن الكريم	١١٢
٧٤	المطلب الأول : تعريف غريب القرن الكريم .	١١٢
٧٥	المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير غريب القرآن الكريم .	١١٢
٧٦	المبحث الرابع: جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير الموضوعي	١١٥
٧٧	المطلب الأول : تعريف التفسير الموضوعي .	١١٥
٧٨	المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في التفسير الموضوعي .	١١٦
٧٩	المبحث الخامس : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام .	١٢٠
٨٠	المطلب الأول : تعريف آيات الأحكام .	١٢٠
٨١	المطلب الثاني : جهود ابن رجب الحنبلي في تفسير آيات الأحكام .	١٢٠
٨٢	الخاتمة : نسأل الله حسنها .	١٢٨
	المصادر والمراجع .	١٣٠
٨٣	فهارس الموضوعات .	١٤٠

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

د / عبد المحسن أحمد محمد علي

مدر س بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين والدعوة بجامعة الأزهر فرع أسيوط